أسست عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

العدد (٥٩٢) محرم ١٤٣٦ هـ - نوفمبر ٢٠١٤ م

info@alwaei.com

www.alwaei.gov.kw

مجلة الوعي الإسلامي

مجانا مع العدد «براعم الإيمان»

الحفاوة العالمي بالكويت وأميرها

العمل الخيري بين الدول و الأفراد

الخطأ الطبي في جراحة الأعضاء البشرية

فقه التوقع المستقبلي عند الإمام الجويني

أثر حسن الظن في التماسك الاجتماعي

هدية العدد : ذخائر مجلة الوعي الإسلامي (٥)

ذخائر مجلة الوعي الإسلامي

جديدنا

الافتتاحية

«البلد الطيب»

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

حضارة الأمم والدول تقاس بمشاركتها الثقافية والإنسانية، ودولة الكويت اعتمدت على هذه الركائز، وفق الدين الحنيف، الذي يحث على المعرفة والعلم؛ فالثقافة الكويتية، تعد امتدادا للثقافة الإسلامية والعربية بشكل عام.

أما مشاركة الكويت في مجال نفع الإنسانية - بغض النظر عن أجناسها وألوانها - فهي ممن تساهم في مواجهة الكوارث الصحية والبيئية، وإعانة اللاجئين والمظلومين والمضطهدين، ودفع عجلة بناء وتنمية المجتمعات الإنسانية في كل مكان، وفي كل زمان، إلى غير ذلك من أعمال الخير، ولا أدل على هذه الريادة من تكريمها بلقب «مركز إنساني» وتكريم أميرها بلقب «قائد إنساني»؛ تقديرا لجهوده وجهود بلده في تحقيق عالم أفضل للإنسان؛ فقد أرسى دعائم التعاون الإنساني، مقتديا بأسلافه، بما يدل على أن المشاعر الإنسانية المتآلفة هي الباقية الدائمة، ذلك أن الإسلام العظيم أمرنا بالإيثار وعمل الخير، ولم يكن أمره موجها فقط إلى الأفراد، وإنما هو أيضا موجه إلى الدول والحكومات القادرة على البذل والعطاء؛ قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر:٩)، وفي الصحيح «أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الضحايا بعد ثلاث»، من أجل مواساة الفقراء والمحتاجين.

ولقد استطاعت الكويت بفضل الله تفعيل هذا المنهج القرآني العظيم، والمنهج النبوي الراقي؛ الداعيين إلى إنفاق المال في سبيل إطعام الجائعين، وكسوة العارين، وإيواء المشردين، إلى غير ذلك من وجوه الخير. ولم تكن المساعدات الإنسانية التي قدمتها الكويت مشروطة أو مرتبطة بهدف، وإنما بُذلت ابتغاء مرضاة المولى عزوجل، ولغايات سامية ونبيلة، وصدق الشاعر:

هذي الكويت وشعبها المعطاء ... ماذا أراه؟ أجنة معطاء
كم زرت قبلك يا كويت فلم أجد ... سحرا كسحرك إنك الحسناء
إن زرتها أدركت حكمة أهلها ... وطموحهم هم للسمو سماء
ومهنئا لأميركم إجماعكم ... شعب الكويت صباحكم وضاء
شاءت قيادتكم هنا ألا ترى ... إلا المحبة كي يسود صفاء
شعب الكويت وراءها متماسك ... وإلى التوحد قاده العقلاء

وبهذه الأعمال الخيرة تقاس عظمة الدول الحقيقية، وتأثيرها الفعلي، ولقد اختصر ابن خلدون - رحمه الله - دورة الحضارة في كلماته: «إن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، وإنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول»؛ ليؤسس منظورا عمرانيا حضاريا مفاده أن عظمة الدول لا تقاس بأشخاصها وترابها، بقدر ما تقاس باستقرار منهاجها في البناء والتنمية والثقافة والعطاء.

حفظ الله الكويت من كل مكروه...

الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في
دولة الكويت مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٩٣ | محرم ١٤٣٦ هـ
العام الثاني والخمسون
نوفمبر ٢٠١٤ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
عبادة السيد نوح

الإخراج والجرافيك
أبورواش زكي محمد
فاطمة الجندي

الإشراف الفني
الشركة العصرية
للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧
الكويت - هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
الموقع الالكتروني:
www.alwaei.gov.kw
مكتب مصر : دار الإعلام العربية-٤٣ شارع
دجلة - متفرع من شارع جامعة الدول العربية -
المهندسين - الدور الأول - مكتب ١٠٤ تليفاكس:
٠٠٢٠٢٣٣٣٦٤٠٤٣
alwaei@arabmediahouse.net

المجلة غير ملزمة
بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة
عن رأي المجلة.

في هذا العدد

الكويت منذ استقلالها تحرص على تقديم المساعدات الإنسانية والإغاثية إلى كل البلدان المحتاجة، انطلاقا من قناعتها بأهمية الشراكة الدولية والمحافظة على الأسس التي قامت لأجلها الحياة.

٢٦ القراءة التدبرية للقرآن وتزكية الإنسان

٣٤ أسباب التشويه الإعلامي الغربي لصورة الإسلام والمسلمين

٥٦ المعاني الإسلامية في شعر مجانين العصر العباسي الأول

٧٢ أثر حسن الظن في التماسك الاجتماعي

التوزيع وكيل التوزيع: شركة الشبكة الدولية للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع هاتف: ٢٤٩١٥١٠٦- ٢٤٩١٥١٠٧ (٠٠٩٦٥) - فاكس : ٢٤٩١٥١٠٩ (٠٠٩٦٥)

- مصر - القاهرة - شارع الصحافة - جريدة أخبار اليوم. - ت: ٢٥٧٨٢٧٠٠ (٠٠٢٠٢) ف: ٢٥٧٨٣٥٤-(٠٠٢٠٢)
- اليمن - صنعاء - الدار العربية للنشر والتوزيع ت - ف: ٣٣١٧٩٧ (٠٠٩٦٧)
- لبنان - شركة نعنوع الصحفية - ت: ٦٥٣٢٥٩(٠٠٩٦١١) ف: ٦٥٣٢٦٠
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت: ٢١٢٤٨٣١ (١١ ٠٠٩٦٣) ف: ٢١٢٨٦٦٤ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت: ٤٦٣٠١٩١(٠٠٩٦٢٦) ف: ٥٣٣٧٧٣٣
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢١٢) ف: ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت: ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف: ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة - ت: ٢٦٨٣٨٥٣ - ٠٠٩٧١٤ شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت: ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف: ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت: ٢٤٤٩٣٢٠٠ (٠٠٩٦٨) ف: ٢٤٤٩٣٣٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ت: ٢٤٤٩٣٣٠٠ (٠٠٩٧٤) دار الشرق للصحافة والطباعة والنشر.
- ماليزيا- شركة - المصطفى ميديا جروب سندرين برحد - ت- ٣٣٧١١٩٦٦ (٠٠٦٠٣)
- الجزائر - شركة ام بي سي ت: ٣١٩٠٩٥٩٠(٠٠٢١٣)
- تونس - الشركة التونسية للصحافة ت: ٧١٣٢٢٤٩٩ (٠٠٢١٦)
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

الأسعار

●الكويت : ٥٠٠ فلس ●السعودية: ٥ ريالات ● البحرين : ٥٠٠ فلس ● قطر : ٥ ريالات ● الإمارات : ٥ درهم ● سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة ●الأردن:دينار واحد ● مصر : ٢ جنيه ●اليمن : ١٠٠ ريال ●لبنان: ٢٠٠٠ ليرة ● سوريا: ٣٠ ليرة ● المغرب : ١٠درهم ● الجزائر: ٤ دينار جزائري ●تونس: دينار واحد تونسي ● المملكة المتحدة: ١,٥ جنيه استرليني ● باقي دول العالم : ٣ دولارات أمريكي أو مايعادلها.

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة

المحتويات

٣	**الافتتاحية/** البلد الطيب	فيصل يوسف العلي
٦	**ملف العدد/** احتفاء عالمي بالكويت وأميرها	د. عبدالله بدران
١٠	الأوقاف: الأمير جعل الكويت مركزا للفكر الإسلامي المعتدل	فهاد الفحيمان
١٣	السميط.. قمر مضيء في سماء الدعوة	سعد المحثوثي
١٤	العمل الخيري بين الدول والأفراد	د. آندي حجازي
١٨	أول جمعية خيرية في الكويت	نعيم السلاموني
٢٠	محسنون من بلدي.. قدوتنا في العطاء	التحرير
٢٦	**دعـوة/** القراءة التدبرية للقرآن وتزكية الإنسان	د. الميلود كعواس
٢٨	**فكر/** نقد الخطاب العلماني	د. سامي عطا
٣٠	**حوار/** د. طه ريان: الشريعة الإسلامية عصماء	عبدالله الشريف
٣٣	**تنمية/** الإيجابية في شخصية المسلم	د. محمد الدش
٣٤	**إعلام/** أسباب التشويه الإعلامي الغربي لصورة الإسلام والمسلمين	د. حسن عزوزي
٣٨	**دراسات/** الخطأ الطبي في جراحة زرع الأعضاء البشرية	د. رضا رضوان
٤٢	مكانة الصحابة الملزمة للمعرفة	أحمد صالح
٤٥	تجليات الخطاب العقلي في الآيات البينات	د. محمد الحجوي
٥٠	فقه التوقع المستقبلي عند الإمام الجويني	عبدالفتاح همام
٥٣	**لغة وأدب/** العشاء	مياسة النخلاني
٥٤	القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٦)	عبدالله أيت الأعشير
٥٦	المعاني الإسلامية في شعر مجانين العصر العباسي الأول	عاصم عبد ربه
٦٠	الأدب الإسلامي لا يعرف العبث	محمود زويل
٦٦	مخيم يا وطن	محمد أبوالسعود الخياري
٦٨	**أنباء الكتب/** كتاب «بر الوالدين» للإمام البخاري	التحرير
٧٠	**تزكية/** تزكية الذات	د. نبيل فولي
٧٢	**أخلاق/** أثر حسن الظن في التماسك الاجتماعي	الزبير مهداد
٧٥	**أسرة/** المرأة الجاهلية.. بين الحب والوأد والسباء	محيي الدين عواد
٧٨	الأسرة المسلمة وتجديد الإيمان	محمد شعطيط
٨١	**تخطيط/** التخطيط الاستراتيجي	د. سلطان السهو
٨٢	**مجتمع/** الشائعات.. إرباك للمجتمعات	د. خالد النجار
٨٤	**طب/** الطبيب القابع بين ضلوعنا.. لماذا لا نستشيره؟!	منور عثمان
٨٦	**حضارة/** الخان.. قصة منشأة خدمية في حضارتنا	محمد شعبان
٩٠	**كنوز الذاكرة/** تيسير الهجاء العربي	أحمد السكندري
٩٢	**فتاوى الوعي**	د. محمود الكبش
٩٤	**بريد القراء**	علاء عبدالفتاح
٩٦	**ينابيع المعرفة**	تركي النصر
٩٨	**مسك الختام/** مفهوم السلام الاجتماعي	د. نبيه الحصري

كلمة العدد

كويت الإنسانية

جاء تكريم سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - حفظه الله ورعاه - من قبل منظمة الأمم المتحدة «قائدا للعمل الإنساني» وتسمية الكويت «مركزا إنسانيا عالميا»، تتويجا لمسيرة العمل الخيري الإنساني الكويتي، الذي بات يشار إليه بالبنان بعدما ترك بصمة في جميع أقطار العالم، وأصبح محط أنظار المحتاجين والمنكوبين.

ولعل إطلاق اللقب على سمو أمير البلاد ودولة الكويت للمساهمة بسخاء في مؤتمري المانحين لسوريا اللذين استضافتهما الكويت، وكان لهما أكبر الأثر في التخفيف من المحنة المرة التي يعانيها ملايين السوريين النازحين داخل بلادهم أو المهجرين خارجها.

والكويت منذ استقلالها تحرص على تقديم المساعدات الإنسانية والإغاثية إلى كل البلدان المحتاجة، انطلاقا من قناعتها بأهمية الشراكة الدولية والمحافظة على الأسس التي قامت لأجلها الحياة.

إن الشعب الكويتي جبل منذ قديم الزمان على فعل الخير ومساعدة المحتاجين، حتى سطرت الجمعيات واللجان الخيرية صفحات من الدعم المتواصل لمشاريع إنسانية عدة في قارتي آسيا وإفريقيا بمبادرات أهلية، أصبحت الآن أحد العناوين البارزة لأيادي الخير التي يتميز بها أبناء الشعب الكويتي.

والكويت اليوم أصبحت مصدر دعم ونشر الفكر الإسلامي الوسطي الصحيح في مختلف دول العالم بعيدا عن الغلو والتطرف والعنف والإرهاب.

التحرير

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير - للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات: ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

احتفاء عالمي بالكويت وأميرها

د. عبدالله بدران
صحفي في وكالة كونا الكويتية

بعد تسعة أشهر من إطلاق الأمين العام للأمم المتحدة، بان كي مون، لقب «قائد للعمل الإنساني» على سمو أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، وتسمية دولة الكويت «مركزا إنسانيا عالميا»، أقامت الأمم المتحدة في التاسع من سبتمبر الماضي احتفالا رسميا بهذه المناسبة جرى فيه تكريم سمو الأمير ودولة الكويت أمام حشد من كبار قادة العالم ورؤساء المنظمات العالمية والإقليمية.

ومن دولة الكويت، وفي منتصف يناير من العام الحالي، جاء ذلك الاعتراف والتقدير على لسان الأمين العام للأمم المتحدة، عندما قال في كلمته في اختتام مؤتمر المانحين الثاني لسوريا، الذي استضافته دولة الكويت حينذاك، إن سمو أمير البلاد يستحق أن يوصف بأنه «قائد للعمل الإنساني» نظرا للدور الكبير الذي أداه سموه «على الصعيد الإنساني، وهو ما جعل من الكويت مركزا إنسانيا عالميا».

وأضاف بان كي مون أن إطلاق اللقب على سمو الأمير ودولة الكويت جاء تقديرا لجهود دولة الكويت، قيادة وحكومة وشعبا، التي شجعت الأسرة الدولية على المساهمة بسخاء في مؤتمري المانحين لسوريا اللذين استضافتهما الكويت، التي كان لها أكبر الأثر في التخفيف من المحنة المرة التي يعانيها ملايين السوريين النازحين داخل بلادهم أو المهجرين خارجها.

وفي حفل التكريم، الذي أقيم في مقر الأمم المتحدة في نيويورك، منح الأمين العام للأمم المتحدة سمو أمير الكويت شهادة تقدير من المنظمة الدولية، وقال في كلمة أمام الحضور إن جهود سمو أمير دولة الكويت مكنت الأمم المتحدة من مواجهة ما شهده العالم من معاناة وحروب وكوارث في الأعوام الماضية، وإنه مقابل حالة الموت

والفوضى التي شهدها العالم شاهدنا مظاهر كرم وإنسانية من قبل جيران سوريا قادتها الكويت، أميرا وشعبا.

وأفاد بأن الكويت أظهرت كرما استثنائيا تحت قيادة سمو أمير البلاد، وعلى الرغم من صغر مساحة البلاد فإن قلب الكويت كان أكبر من الأزمات والفقر والأوبئة. ونحن مجتمعون اليوم لنشكر سمو أمير الكويت وشعب الكويت على كرمهم الكبير تجاه السوريين والعراقيين، مستذكرا استضافة الكويت لمؤتمرين لمساعدة الشعب السوري، ساهما في جمع الملايين من الدولارات لمساعدة المحتاجين، ليس في سوريا والعراق فقط، بل في مناطق ودول أخرى امتدت من إفريقيا إلى آسيا.

وقال بان كي مون: «إن المبادرات التي قامت بها الكويت دفعت المجتمع الدولي إلى جمع المزيد من المساعدات بفضل جهود سمو أمير البلاد، مما ساعد الأمم المتحدة على القيام بوظيفتها الإنسانية»، مشددا على أن الدعم المستمر من سمو الأمير مكننا من ذلك، معربا عن فخره لمنح هذه الشهادة التقديرية لجهود سمو الأمير، اعترافا منا بدعمه المستمر وقيادته الاستثنائية للعمل الإنساني للأمم المتحدة، ورفع المعاناة عن المحتاجين في جميع دول العالم.

عطاء كويتي للإنسانية جمعاء

وألقى سمو أمير الكويت كلمة خلال الاحتفالية قال فيها: «إن مبادرة التكريم الطيبة وغير المسبوقة تجاه بلدي الكويت، شعبا وحكومة، وتجاهي شخصيا، تدل على الدور الحيوي الذي تقوم به منظمة الأمم المتحدة وأمينها العام، والذي تجسد بالاهتمام الدقيق والتفهم العميق، وبشكل ملموس وواضح، للعديد من المشاغل والهواجس والمستجدات التي تواجه الإنسانية وتتحدى السلم الاجتماعي والأمن السياسي في عالمنا اليوم».

وأضاف سمو الأمير: «إن الكويت، ومنذ استقلالها وانضمامها إلى هذه المنظمة سنّت لها نهجا ثابتا في سياستها الخارجية، ارتكز بشكل أساسي على ضرورة تقديم المساعدات الإنسانية لكل البلدان المحتاجة بعيدا عن المحددات الجغرافية والدينية والإثنية، انطلاقا من عقيدتها وقناعتها بأهمية الشراكة الدولية وتوحيد وتفعيل الجهود الدولية، بهدف الإبقاء والمحافظة على الأسس التي قامت لأجلها الحياة، وهي الروح البشرية».

وقال: «إنه تمت ترجمة هذه المسلّمات إلى واقع واكبت فيه الكويت المتغيرات العديدة، وعالجت خلاله العوائق التي أفرزتها التحديات المتنوعة من خلال تطوير وتحديث أساليب تقديم المساعدات، فأصبحت مبادرة سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الجابر الصباح - طيب الله ثراه - في إلغاء فوائد القروض الميسرة للعديد من الدول النامية والدول الأقل نموا، والتي أعلن عنها - رحمه الله - في الدورة الثالثة والأربعين لأعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة لعام ١٩٨٨م سابقة في العمل الإنساني الدولي، مدشنا بذلك نقلة نوعية في أساليب المساعدات التي ارتكزت عليها الدبلوماسية الكويتية، تمثلت في تلمس حقيقي للاحتياجات الإنسانية، وإبراز

المفهوم الإنساني البحت تجاهها، وهو أن هذه القروض والمساعدات ليس لتحصيلها وحساب فوائدها المادية البحتة، بل لجني ثمار التعاون الدولي الإنساني المتعدد الأطراف وفوائده التي تفوق معطيات المادة وتوابعها».

الجمعيات الخيرية

وذكر سمو الأمير أن الجمعيات الخيرية الكويتية واللجان الشعبية لجمع التبرعات سطرت صفحات من الدعم المتواصل لمشاريع إنسانية عدة في قارتي آسيا وإفريقيا بمبادرات شعبية أصبحت الآن أحد العناوين البارزة لأيادي الخير التي يتميز بها أبناء الشعب الكويتي، ولله الحمد.

وقال: «إنه عطفا على هذا النهج الذي أسسه الأمير الراحل، اتخذت الكويت في عام ٢٠٠٨م قرارا يجسد حرصها على دعم الدور الإنساني للأمم المتحدة، عندما خصصت ما قيمته ١٠ في المئة من إجمالي المساعدات الإنسانية التي تقدمها إلى الدول المتضررة من الكوارث الطبيعية أو الكوارث التي هي من صنع الإنسان، لكي تقدم لمنظمات الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة المعنية بالعمل الإنساني وتبعتها بقرارات رسمية بمضاعفة المساهمات الطوعية السنوية الثابتة لعدد من الوكالات والمنظمات الدولية، مثل المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وصندوق الأمم المتحدة للاستجابة للطوارئ، وصندوق الأمم المتحدة للطفولة، مما منح العمل الإنساني لدولة الكويت أفاقا أرحب وأبعادا أشمل، امتازت في تعزيز التعاون المباشر مع تلك الجهات الدولية في مختلف الأزمات».

وأعلن سمو الأمير في تلك الاحتفالية مضاعفة مساهمة الكويت الطوعية السنوية الثابتة لصندوق الأمم المتحدة المركزي للاستجابة إلى الطوارئ الإنسانية إلى مليون دولار، معتبرا أن تكريم الأمم المتحدة في هذا الحفل هو تكريم لأهل الكويت، وتقدير لمسيرتهم الخيرة في البذل والعطاء، والممتدة منذ القدم، والتي ستظل مستمرة إن شاء الله، لاسيما أن أعمال البر والإحسان قيم متأصلة في نفوس الشعب الكويتي تناقلها الأبناء والأحفاد بما عرف عنه من مسارعة في إغاثة المنكوب وإعانة المحتاج ومد يد العون والمساعدة لكل محتاج، حتى عندما كان يعاني في الماضي من شظف العيش وصعوبة الحياة، ولا تزال وستظل أعماله الخيرة ومبادراته الإنسانية سمة بارزة في سجله المشرف.

وقال سمو الأمير في ختام كلمته:

«في السنوات الثلاث الأخيرة، ونتيجة لتدهور الأوضاع الإنسانية في سوريا، واستجابة لتداعيات تلك الأزمة الإنسانية، وتلبية لطلب الأمين العام بان كي مون، استضافت دولة الكويت في يناير ٢٠١٣م ويناير ٢٠١٤م المؤتمرين الدوليين للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سوريا، حيث بلغت التعهدات المعلنة فيهما حوالي ٣,٨ مليارات دولار، ساهمت دولة الكويت بـ ٨٠٠ مليون دولار سلمتها بالكامل إلى وكالات الأمم المتحدة المتخصصة والمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية والمعنية بالشأن الإنساني».

إطلاق اللقب والتسمية

وعن اختيار سمو الأمير «قائدا للعمل الإنساني» وتسمية الكويت «مركزا إنسانيا عالميا»، يقول الدكتور عبدالله معتوق المعتوق (رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية والمستشار بالديوان الأميري ومبعوث الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية) «إن أفضل المقدمات يؤدي إلى أفضل النتائج، فقد واصلت الكويت، أميرا وحكومة وشعبا، نهجها الإنساني والخيري الذي بناه الأجداد والآباء، وقدموا للعالم نموذجا يحتذى في العمل الإنساني الذي يهتم بالإنسان من دون تمييز أو تفرقة على أساس دين أو عرق أو لغة أو جغرافيا، ولعل هذه الصورة المضيئة التي سطرتها الكويت عبر تاريخها قد رشحتها لتكون في هذه المكانة الإنسانية الرائدة».

ويضيف الدكتور المعتوق «إن السجل الإنساني لسمو الأمير يرشحه لأن يكون بالفعل رمزا للعطاء والإحساس بمعاناة الفقير والمنكوب وطالب العلم والأرملة والمطلقة في العالم، في زمن سيطرت فيه النزعات المادية وكثرت فيه الحروب والنزاعات الأهلية، وتضاعفت فيه أعداد الضحايا والمشردين والنازحين. وهذا التكريم دليل على أن سمو الأمير يحظى بتقدير المنظمات الإنسانية الدولية وقادتها، الذين ما برحوا يشيدون بدور سموه الإنساني في المحافل العامة وخلال اللقاءات المغلقة، وقد حضرت العديد من هذه اللقاءات التي تعظم من شأن الكويت وأميرها، فقد دأب الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون على وصف سمو الأمير في أكثر من مناسبة بأنه قائد إنساني، وأن الكويت باتت في ظل سموه مركزا عالميا للعطاء الإنساني».

لقد كانت الكويت، وستظل دائما، بسخاء شعبها وعطائها الإنساني المتجدد، وتوارث أعمال الخير والجود عبر الأجيال، وبفضل استجابتها المستمرة لحالات الطوارئ وإغاثة الشعوب، تحتل موقعا رياديا على خريطة العمل الإنساني الإقليمي والدولي، وجاء تكريم سمو الأمير تتويجا لهذا الدور الإنساني، وإقرارا دوليا بأهمية دور الكويت الإنساني المشرق، وإشادة بالعمل الخيري الكويتي الرسمي والأهلي الذي لطالما كان وسام فخر على صدور جميع أبناء الوطن.

بمناسبة تسمية أمير الكويت قائدا للعمل الإنساني

الأوقاف : الأمير جعل الكويت مركزا للفكر الإسلامي المعتدل

فهاد الفحيمان
الكويت

ارتفع اسم الكويت عاليا في هيئة الأمم المتحدة بعد تسمية أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد قائدا للعمل الإنساني، واختيار الكويت مركزا للعمل الإنساني، في سابقة هي الأولى من نوعها على مستوى العالم في مجال العمل الخيري والإنساني الذي جبل عليه أهل الكويت منذ القدم.

ولعل اختيار أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد «قائدا إنسانيا» دليل على اعتراف أكبر هيئة عالمية بالدور الكبير الذي يقوم به سمو الأمير في مشارق الأرض ومغاربها، حيث لم تتوان المساعي الكويتية في مناطق الكوارث والفيضانات وأماكن تجمع اللاجئين؛ لتنقل لهم المساعدات العاجلة، سواء كانت طبية أو إغاثية.

الشيخ محمد الخالد الصباح

قال نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالوكالة الشيخ محمد خالد الحمد الصباح، إن الأيادي البيضاء لسمو أمير البلاد امتدت بالخير والسلام للبشرية جميعا، مشيدا بسجل سموه الحافل بالمآثر والعطاء الإنساني.

وأضاف الشيخ محمد الخالد أن عطاء سمو أمير البلاد الإنساني انعكس أثره على مكانة ورفعة الكويت وشعبها في نظر العالم من الاحترام والتقدير والبعد الحضاري والإنساني.

وأعرب عن فخر واعتزاز الكويت وشعبها باختيار الأمم المتحدة سمو أمير البلاد قائدا إنسانيا، معتبرا ذلك وساما على صدورنا جميعا.

بدوره قال وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية د. عادل الفلاح إن تكريم سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد بإطلاق لقب «قائد العمل الإنساني» على سموه وتسمية دولة الكويت «مركزا للعمل الإنساني»

د. عادل الفلاح

في احتفالية عالمية غير مسبوقة تعتبر الأولى في تاريخ الأمم المتحدة، هو تقدير مستحق لزعيم وقائد إنساني حكيم، أعطى للبشرية جمعاء، وتجاوزت عطاءاته الإنسانية حدود الكويت إلى آفاق إنسانية عالمية، ونزع فتيل كثير من الأزمات في المنطقة والعالم.

واعتبر الفلاح أن تتويج سمو الأمير

بهذا اللقب الفريد من نوعه عالميا يبعث الفخر في نفس كل مواطن كويتي وعربي وإسلامي، ويأتي إدراكا من أكبر منظمة دولية لدور سموه المشهود في المجال الإنساني على مدى السنوات والعقود الماضية، وثمرة للجهود الكبيرة لسموه ودعمه اللامحدود للعمل الإنساني على مختلف الأصعدة وفي مختلف أرجاء الأرض.

وأوضح أن دور سموه في دعم ونشر الفكر الوسطي في مختلف دول العالم، وتوجيهه الدائم بضرورة أن تكون الكويت مركزا عالميا للوسطية ونشر الفكر الإسلامي الصحيح البعيد عن الغلو والتطرف والعنف والإرهاب، يؤكدان أن سموه قائد ذو رؤية حكيمة، يدرك خطورة ما يحيط بأمتنا العربية والإسلامية من أفكار مسمومة لمجموعات اتخذت من الدين ستارا لأغراضها وتوجهاتها الدنيئة.

ولفت إلى أن أهل الكويت جبلوا على مدى تاريخهم على تقديم الخير الكويتي إلى جميع بقاع الأرض من دون تمييز بين لون أو جنس أو عرق أو دين، ووقفت الكويت، وعلى رأسها صاحب السمو الأمير، حفظه الله، بجانب الكثير من شعوب العالم التي تعرضت إلى كوارث، ولا يوجد بلد في العالم ليس به مدرسة أو مستشفى أو جامعة قام ببنائها أبناء الشعب الكويتي، علاوة على مشاريع الخير الأخرى، كحفر الآبار وكفالة الأيتام وغيرها من المشاريع الإنسانية، وذلك عملا بقول النبي ﷺ: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء».

إبراهيم الصالح

وشدد الفلاح على أن تكريم صاحب السمو من قبل الأمم المتحدة قائدا للإنسانية، هو بمنزلة وسام شرف على صدر جميع أبناء الشعب الكويتي، لأن الله سبحانه وتعالى أكرم أبناء هذا الوطن الغالي بزعيم من الزعماء القلائل في العالم الذين ينحازون إلى الإنسان، أيا كان جنسه أو دينه أو لغته.

من جانبه، قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف د. عبدالمحسن الخرافي إن تكريم حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، يأتي تتويجا للمساعي التي بذلها سموه خلال عدة مراحل كانت خير شاهد على جهوده الكريمة تجاه المتضررين من الحوادث والكوارث.

وأضاف الخرافي أن أهل الكويت جبلوا على التسابق إلى فعل الخير الممتد على امتداد تاريخ الكويت.

بدوره، أكد الإمام والخطيب في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدر الحجرف، أن تكريم سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد بلقب «قائد العمل الإنساني» وتسمية دولة الكويت «مركزا للعمل الإنساني» مناسبة غير مسبوقة على مستوى العالم.

وأضاف الحجرف أن هذا التكريم ليس بغريب أن يوجه إلى حضرة صاحب السمو، فهو كان دوما قائدا إنسانيا يلتفت إلى المحتاجين والمتضررين قبل

داوود العسعوسي

أي جهة أخرى، مما جعل الكويت تتواجد في مواقع الأحداث والكوارث وقت وقوع هذه الأحداث.

وبين أن العمل الخيري الكويتي بات اليوم يشار إليه بالبنان بعدما وضع له بصمة في السجل الخيري العالمي، وبات يترقبه المحتاجون والمنكوبون في كل مكان، فالكويت سباقة في فعل الخيرات، سواء كانت كفالة الأيتام أو حفر الآبار أو بناء المساجد أو المساكن أو المدارس، فهذا نهج أهل الكويت منذ القدم.

وقال الحجرف إن التكريم الذي قدمته هيئة الأمم المتحدة إلى حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد، جاء تتويجا للعمل الخيري الكويتي الذي كان كالشجرة المثمرة

د. عبد المحسن الخرافي

ثابتة في الأرض وفروعها في السماء؛ ليتظلل بظلها كل محتاج ويتيم ومسكين وملهوف ومطارد.

بدوره قال مدير عام بيت الزكاة الكويتي إبراهيم أحمد الصالح إن منح الأمم المتحدة لسمو أمير البلاد لقب «قائد إنساني»، يأتي تقديرا لجهود سموه وعطاءاته المتوالية والكبيرة على المستويات المحلية والإقليمية والدولية، ودعمه للعمل الخيري والإنساني، مما ساهم في تعزيز مكانة الكويت في المجتمع الدولي.

وأضاف الصالح أن لسموه مبادرات خاصة وتوجيهات سامية لبيت الزكاة لتوجيه جهوده وأنشطته الخيرية والإنسانية لخدمة فريضة الزكاة والعمل الخيري والإغاثي، محليا وخارجيا، مما مكن البيت من تسجيل إنجازات وبصمات واضحة في مجال العمل الخيري والإنساني حتى أصبح صرحا خيريا مميزا يعبر عن الأيادي

الشيخ بدر الحجرف

الكويتية البيضاء في المحافل الدولية.

من جانبه، أشاد الوكيل المساعد للشؤون الثقافية في وزارة الأوقاف داوود العسعوسي بتكريم سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد قائدا للعمل الإنساني من قبل منظمة الأمم المتحدة وتسمية دولة الكويت مركزا إنسانيا، معتبرا أن هذا التكريم مصدر فخر واعتزاز لجميع أبناء الشعب الكويتي.

وقال العسعوسي إن مسيرة أمير البلاد حافلة بالعطاء والمبادرات لإغاثة الشعوب المنكوبة بسبب الكوارث الطبيعية أو الاضطرابات التي دفعتها نحو أوضاع البؤس والفقر والأمراض والمعاناة.

وذكر أن رعاية أمير البلاد للعمل الإنساني جاءت من إيمان سموه بنبل الرسالة الإنسانية ودورها في إنقاذ الأرواح وانتشال الفقراء من مستنقع الجهل والمرض، سائلا الله تعالى أن يرفع سمو الأمير بالإسلام وينصر به دينه.

وأوضح العسعوسي أن أعمال البر والإحسان والخير جبل عليها الشعب الكويتي من قديم الأزل بما عرف عنه من مسارعة في إعانة المحتاج وتقديم يد العون والمساعدة، مؤكدا أن الكويت ستظل أعمالها الخيرة ومبادراتها الإنسانية سمة بارزة في سجلها المشرف.

السميط .. قمر مضيء في سماء الدعوة

سعيد المحثوثي
صحفي وكاتب يمني

في مجاهل إفريقيا، حيث الألم والجوع والعوز وكل ما يعني الحرمان من معان... هناك.. حيث الوباء والفقر والعطش... هناك.. حيث تمنح الإرساليات النصرانية كأسا من الماء مقابل أن يتخلى الإفريقي المسلم الفقير عن هويته ودينه وعقيدته، ليعيش في دائرة رحلة الضياع التي يرعاها أولئك الفجرة، حيث الشرك والتنصير تحت مسمى «التبشير»..

إزاء هذه الصعوبات، ورغم شتى المتاعب، قرر العربي المسلم أن يقف سدا منيعا في وجوه الشياطين، وأن يفيض أنهارا زلالا؛ ليقوض جهودهم، بعد أن تفانوا في إيصال رسالتهم الشركية الضالة.

وقف الشيخ الداعية الكويتي عبدالرحمن السميط - رحمه الله - وقفته، فأنار مساحات القارة السمراء بعد ظلام دامس، وبذر الخير والسلام والمحبة على أنقاض وفخاخ صنعتها إرساليات الضالين.

عرفه الصغير والكبير، وأحبه كل مسلم فوق فسيح إفريقيا بعد أن زرع الابتسامة، وأعاد الكرامة، وهدم بأخلاق الصابرين الشرك ومقامه.

إن المتتبع والمتابع لجهود شيخنا المجاهد الراحل ليرى سمات السلف الصالح.. من بلّغوا الإسلام بطيب أفعالهم، ونشروا أخلاقه بأخلاقهم، واستسهلوا الصعوبات من أجل أن تظل رايته المجيدة خفاقة وضاءة في سماوات الرفعة والخلود.

تظل حياة السميط منارة غراء، تهدي الدعاة إلى الثبات، وتحضهم على الصبر، وتلين لهم كل شديد، وتسهل لهم أي صعب، لأن شيخنا الراحل وضع تقوى الله تعالى ومرضاته وحده نصب عينيه، فسار على هذه الرؤية مجاهدا بوقته وعلمه وماله وحياته.. فأنعم به من جهاد وأنعم به من مجاهد.

لقد عانى شيخنا الأهوال والصعوبات في مسيرته الدعوية المباركة، حيث نجا أكثر من مرة من محاولة اغتيال وخطف على أيدي العصابات المسلحة التي تنتشر في الكثير من مساحات إفريقيا السمراء جراء تواجده المستمر بين الفقراء والمساكين.

كما تمكن بفضل الله تعالى من الإفلات والنجاة من موت محقق، بعدما حاصرته أفعى «الكوبرا» في أدغال موزمبيق الرهيبة.

مات شيخنا المجاهد السميط إثر مرض عضال ألم به،

واصطفاه الله تعالى إلى جواره.. بلّ بالثواب والمغفرة ثراه، وجعل الفردوس الأعلى داره ومأواه.. اللهم آمين.

صحيح أن الخطب بفقدان شيخنا أليم ومؤلم، لكن العزاء أن الشيخ قد وضع لبنات وإشارات في طريقه وطريقته مفادها الصبر والتضحية والتجلد، وإيصال صوت المسلم الرحيم إلى كل مسحوق ومقهور وذي عوز على ظهر هذه الفسيحة.

العمل الخيري بين الدول والأفراد

د. آندي حجازي
أستاذة تربوية أردنية

إن كنت تبحث عن السعادة فإن سبلها كثيرة، لكن أجمل لحظات السعادة تجدها في العمل الخيري والعمل التطوعي، فلا أجمل من لحظات تمضيها من حياتك وأنت تبذل من نفسك من أجل إسعاد الآخرين وتقديم العون لهم ودعمهم، فإن طعم العطاء لا يوازيه طعم، ولا يذوق حلاوته إلا من جرب العطاء يوما ما.

والعطاء والبذل يورثان المحبة والتآلف بين بني آدم، ويجلبان للإنسان شعورا لا يوازيه أي شعور على وجه الأرض. وتخيل أن أرسطو، وقبل آلاف السنين، وصف ذلك بقوله: «إن الرجل المثالي يشعر بالمتعة في إسداء المعروف للآخرين»، فتقديم العون للآخرين اعتبره من المثالية والالتزام بالمبادئ. والعظماء هم الذين يحملون المبادئ، ويحملون الهم الإنساني، ويبذلون من أرواحهم وأنفسهم من أجل تحقيق تلك المبادئ الإنسانية.

وكثيرا ما نسمع عن أشخاص سخروا أنفسهم للعمل التطوعي ولتقديم المشاريع الخيرية، فنسمع عن أثرياء مسلمين وغير مسلمين قاموا بدعم مشاريع إنتاجية أو إعمارية في بلادهم، كبناء المساكن أو المصانع، وتوظيف الشباب وتوفير فرص العمل لهم، أو بناء مدارس في قرى نائية لا تصل إليها الحكومات من أجل تعليم أطفال بلدهم، أو دعم وبناء المستشفيات أو المعاهد التعليمية ومراكز محو الأمية، وكلها تكون مجانية أو بأسعار رمزية جدا.. فما الذي دفعهم إلى ذلك إلا الشعور بالفرح والرضا في أعين الناس ومن حولهم؟

ولذلك لا يقتصر العمل الخيري على المسلمين، فما الذي يدفع - على سبيل المثال - بيل غيتس (مالك شركة مايكروسوفت)، الذي أصبح من أثرى أثرياء العالم، للتبرع بملايين الدولارات سنويا من ثروته من أجل دعم مشاريع إنسانية وتنموية في مختلف أنحاء الأرض، ومنها لمناطق إسلامية فقيرة؟! وما الدافع له لدعم المراكز الخيرية والبحوث العلمية بمبالغ طائلة عن طريق مؤسسة «بيل وميليندا غيتس» التي افتتحت عام ٢٠٠٠؟ بالتأكيد هي مشاعر سعادة يجد حلاوتها في قلبه ونفسه وأعين من حوله.

وما الذي يدفع ثريا عربيا مثل عبداللطيف جميل، وهو تاجر سيارات كبير، لأن يتبنى مشاريع لخدمة المجتمع، فقد عملت مجموعته وشركاته التي أنشأها في المملكة العربية السعودية على تقديم المنح التعليمية والتدريبية للشباب السعودي من أجل الارتقاء بعمليات تأهيلهم لمواجهة التحديات التي يفرضها سوق العمل، وتعددت تلك البرامج لتشمل المجالين الإنساني والاجتماعي حتى وصلت إلى ٢٥ برنامجا خيريا وتنمويا تنفذها المجموعة كـ «صندوق عبداللطيف جميل للتأهيل المهني والحرفي» والممول بـ ١٠٠ مليون ريال، وكذلك «مختبر عبداللطيف جميل لمكافحة الفقر»، و«باب رزق جميل» و«عبداللطيف جميل لخدمة المجتمع».. وكثيرة هي الأمثلة لشخصيات نذرت نفسها من أجل استثمار طاقاتها ومواهبها وإمكاناتها لإسعاد الآخرين، ومشاركتهم في حلول لمشكلات حياتهم.

وما الذي دفع عبدالرحمن السميط، الداعية الكويتي ومؤسس جمعية العون المباشر (لجنة مسلمي إفريقيا سابقا)، لقضاء أكثر من ٢٩ عاما في القارة السمراء لنشر الإسلام والعمل الخيري في تلك البلدان، فأسلم على يديه ١١ مليون شخص تقريبا، مع نشاطه في العمل الخيري، كإطعام الفقراء وحفر الآبار ومعالجة المرضى وتعليم الأطفال - ومن حسابه الخاص في معظم الأحيان - مع الاستفادة من كونه طبيبا متخصصا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي.. فما الذي دفعه لقضاء أكثر من ربع قرن في إفريقيا وفي

أدغالها وأهوالها وميليشياتها ونقص خدماتها وتعريض نفسه للخطر؟! فما هو إلا لذة العطاء، والنتائج المرئية للعمل الخيري، والذي استمر على الرغم من كبر سنه ومرضه حتى آخر لحظة من حياته.. رحمه الله وأكثر من أمثاله.

دول داعمة

لم أتعجب حينما تقرر من قبل الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون إطلاق لقب «قائد العمل الإنساني» على أمير دولة الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، تقديرا لجهوده في العمل الخيري والإنساني، وإطلاق لقب «مركز العمل الإنساني» على دولة الكويت، فالكويت مصدر فخر واعتزاز عربي، فهي سباقة في عمل الخير، وداعمة للإنسانية ومن دون تحيز لأي عرق أو دين أو جنس. ولا تدخر جهدا في مساعدة أي دولة منكوبة أو شعب تعرض لأزمة، مع تقديمها جهودا منظمة لخدمة الإنسان من خلال برامجها الحكومية وهيئاتها الخيرية المتنوعة، والتي تهدف إلى خدمة الإنسان وإغاثته في أي مكان في العالم. وعلى الرغم من صغر حجمها كدولة وكعدد سكان فإن لها مواقف مضيئة في العمل الإنساني والخيري وإغاثة المحتاج أينما كان، كمساعدة المتضررين جراء الكوارث الطبيعية في إفريقيا وآسيا، أو في الحروب والنكبات، كاستضافة دولة الكويت المؤتمرين الدوليين للمانحين لدعم الوضع الإنساني في سورية واللذين كان من نتائجهما جمع مليارين ونصف المليار دولار للمساعدات السورية

حدود العمل الخيري

إن سألت عن حدود العمل الخيري والإنساني؛ فهي ليست لها بداية ولا نهاية، فمشاريع العمل الخيري مستمرة باستمرار البشر والحياة على سطح الأرض، فطالما وجدت الحياة وجدت الأعمال الخيرية، وهي لا تقتصر على الحكومات والهيئات والجمعيات الخيرية دون الأفراد.. وما أسعى لقوله إن الإنسان كفرد يستطيع القيام بالأعمال الخيرية بحدود إمكاناته وقدراته ومواهبه... فلا تنتظر أن تصبح ثريا أو تصبح حاكما أو مسؤولا كبيرا في الدولة حتى تساعد في الأعمال الخيرية أو التطوعية، فأعمال الخير لا تقتصر على الأغنياء والأثرياء والحكام، أو على تقديم المال، وإنما هي لكل فرد من أفراد المجتمع، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (التوبة:١٠٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ:٣٩)، فـ ﴿شَيۡءٖ﴾ في الآية الكريمة تشمل المال والجهد والوقت والطاقة وكل ما يملك الإنسان لينفق منه، والله يعوضه الخير على ذلك فهو يخلفه خيرا مما أعطى. فابحث في نفسك وفي قدراتك ومواهبك وتخصصك وما حباك الله من قدرات، فعطاء الله متنوع، وقدم في حدود ما تملك من ذلك لمساعدة الآخرين، ولا تنتظر المقابل أو التكريم من أحد؛ لأنك قد تناله في الدنيا وقد لا تناله، ولكن عند الله لا تضيع الودائع.

وتذكر أن العطاء يحتاج منك إلى المبادرة والدافعية والبذل من ذاتك للآخرين، فإن كنت مثلا طبيبا أو ممرضا فبإمكانك المساهمة في الحروب والكوارث الإنسانية بشكل كبير في معالجة المرضى والمصابين، أو المساهمة اليومية في جزء من وقتك للمرضى الفقراء في بلدك، وأجرك على الله تعالى. وإن كنت مهندسا أو فني صيانة أو تركيب أو لديك مهنة فممكن أن تتبرع بجزء من وقتك للعمل في مشاريع خيرية تساهم في بناء المدارس أو البيوت أو المعامل أو المراكز الصحية في بلدك أو في البلدان المحتاجة إلى العون.

وإن كنت معلما فيمكن أن تتبرع بجزء من وقتك لتدريس طلبة ضعاف المستوى أو طلبة ذوي صعوبات تعلم أو طلبة كبار في السن كمحو الأمية، أو الطلبة اللاجئين في خيام التشرد والهروب من الحروب، أو تساهم في تحفيظ القرآن الكريم أو تعليم علوم الدين وما إلى ذلك. وإن كنت طالب علم فيمكنك المشاركة في المشاريع الإنسانية والخيرية والتطوعية في بلدك كتنظيف الشواطئ أو الحدائق العامة، أو ترتيب وتنظيف بيوت الله وصيانتها، ومشاريع رعاية الأيتام أو مساعدة الفقراء أو رعاية كبار السن، أو مشاريع إفطار الصائمين في رمضان، أو المساهمة في حفر الآبار لمياه الشرب، أو بناء بيوت للفقراء في بلدك مساهمة منك مادية أو جسدية... فمشاريع الخير كثيرة لا تنتهي لمن يبحث عن الخير ولن يضل الطريق ولن يعدم الوسيلة.

وإعادة إعمارها.

وكان مما أثار إعجاب هيئة الأمم المتحدة بأمير الكويت تبرع دولة الكويت مؤخرا بخمسة ملايين دولار إلى المنظمات الدولية لمواجهة انتشار فيروس «إيبولا» في بعض مناطق إفريقيا. بالإضافة إلى جهود دولة الكويت في نشر العلم والمعرفة، ودعم التعليم والمشاريع الصحية في الدول العربية وغير العربية، فهي كدولة لا تبخل بما حباها الله من موارد طبيعية لتهب من مردوداتها للدول المحتاجة.

وكمثال؛ كنت قد زرت دولة الكويت قبل عامين تقريبا، وكان أن كتب الله لي زيارة «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» والاطلاع على بعض مشاريعها وإنجازاتها وأهدافها، والتي تعمل في كل دول العالم الإسلامي، وبالفعل أعجبت جدا بما تقدمه من أعمال خيرية للدول العربية والإسلامية المحتاجة، كتقديم الاحتياجات الأساسية من طعام وشراب وخدمات صحية وتعليمية وإغاثية إلى المجتمعات الفقيرة في إفريقيا وآسيا، وإنشاء المشاريع التعليمية والتدريبية المختلفة كمعاهد ومدارس بهدف تنمية الطاقات البشرية واستغلالها والقضاء على الأمية، وإنشاء المشاريع التنموية الإنتاجية في المجتمعات الإسلامية الفقيرة بغرض تمكينها من استثمار مواردها البشرية والمالية وثرواتها كإندونيسيا وبنغلادش واليمن والصومال.. وتوفير فرص العمل ليتمكن أفراد المجتمع من العيش الكريم معتمدين على أنفسهم، والتنسيق مع الجهات والمنظمات الخيرية الإنسانية ذات الاهتمامات المشتركة والتعاون معها بحيث تتفاعل وتتكامل معها في دعم المشاريع الكبيرة.

ومن الجهود الدولية الكبرى الداعمة للأعمال الخيرية والإنسانية في كل العالم، جهود المملكة العربية السعودية التي لم تألُ جهدا، حكومة وشعبا، في دعم أية منطقة منكوبة في العالم وتقديم المساعدات المالية والفنية لها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، كتقديم المساعدات المالية والغذائية والتنموية والطارئة للصومال والسودان وباكستان وإندونيسيا والفلبين وبنغلادش وكشمير وإفريقيا الوسطى وبورما وسورية ومصر واليمن.. وحتى مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية كدولة متضررة في أيام الكوارث والأعاصير؛ لتعزيز العلاقات الدولية والإنسانية.

والمملكة العربية السعودية ثرية بمنظماتها الخيرية كرابطة العالم الإسلامي، التي انبثقت منها «الندوة العالمية للشباب الإسلامي»، و«هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية» التي قدمت خلال أكثر من أربعين عاما خدمات ومساعدات لملايين المستفيدين حول العالم من دون تفريق بينهم على أساس العرق أو اللون أو الديانة، في كل المجالات الصحية والإغاثية والتعليمية والاجتماعية والدعوية والتطورية. وكذلك «منظمة التعاون الإسلامي»، التي يمتد نشاطها عالميا ليشمل مشاريع تعليمية وصحية وتنموية واجتماعية واقتصادية وإغاثية وتثقيفية ودعوية.. في الدول الإسلامية جميعها، مع اهتمامها أيضا بالأقليات الإسلامية في دول العالم المختلفة، والتي كان لمشاريعها الهائلة، من إنشاء مدارس وجامعات ومعاهد ومستشفيات ومصانع ومحطات كهرباء ومحطات تنقية مياه ومطارات وموانئ وطرق وجسور وبرامج محو أمية.. وغيرها، أثر كبير في التطور والنماء وإحداث الفروق في حياة الشعوب.

وهناك دول أخرى، كالإمارات العربية المتحدة ودولة قطر وغيرهما، تسهم كثيرا في العمل الخيري والإنساني، حكومة وشعبا، فتغيث المنكوب وتعين على نوائب الدهر في كل الأزمات، كإرسال المساعدات المالية لإعمار غزة مثلا، وترسل الفرق الطبية الدورية إلى مناطق في إفريقيا مع إنشاء مستشفيات متنقلة لمعالجة المرضى، وإجراء العمليات الطبية التي يحتاج إليها الفقراء مجانا كـ«برنامج نور الإماراتي» من أجل معالجة المكفوفين ومساعدتهم على الإبصار من خلال تركيب القرنيات وغيرها لمن يحتاج. بالإضافة إلى تقديم الإمارات المساعدات الغذائية للمناطق الفقيرة، كتقديم التمور عالية الجودة لنواكشوط في موريتانيا مؤخرا، وحفر الآبار لتوصيل المياه لمناطق محتاجة كما في بعض الدول الإفريقية، وبناء المساجد ومعاهد تحفيظ القرآن الكريم، ودعم المشاريع التنموية والاقتصادية في الدول الفقيرة من أجل التحسين والتطوير والتشغيل لأبنائها، وبناء المدارس ودعم برامج محو الأمية، وتشغيل الشباب وتوفير فرص عمل لهم من أجل حياة

أفضل.

ونذكر على سبيل المثال «هيئة الهلال الأحمر الإماراتي»، و«هيئة الأعمال الخيرية الإماراتية»، ومن أعمال الأخيرة الإنسانية مؤخرا وبدعم من حاكم دبي محمد بن راشد آل مكتوم؛ مشروع «سقيا المسجد الأقصى»، الذي يقوم على توزيع عبوات الماء البارد ووجبات الطعام على الصائمين والعاكفين في رمضان في المسجد الأقصى، وسد حاجة المصلين من النقص في المياه النظيفة الصالحة للشرب، في مبادرة إنسانية داعمة.

وكمثال آخر من دولة قطر؛ حيث وقعت مؤخرا «مؤسسة قطر الخيرية» في سبتمبر ٢٠١٤م اتفاقية بقيمة مليوني ريال قطري لحفر ٤٠٠ بئر بإندونيسيا في مناطق فقيرة لا تصل إليها المياه كعمل خيري تطوعي، وهو واحد من مشاريعها الكثيرة الصحية والتنموية والاقتصادية والتعليمية والإغاثية والبنية التحتية ومحاربة الفقر وتوفير السكن.. فقطر الخيرية تعمل في أكثر من ستين دولة حول العالم.

وكمثال آخر في تركيا مؤسسة «حقوق الإنسان والحرية والإغاثة الإنسانية»، التي أسست عام ١٩٩٥م في تركيا، استجابة للمعاناة التي تسببت بها الحرب في البوسنة والشيشان. وتهدف إلى تقديم الإعانة الإنسانية إلى الجميع والعمل على التصدي لأي خروقات لحقوق الإنسان وحرياته المدنية في مناطق المجاعات والحروب والاضطهاد في العالم.

ومن البرامج المنبثقة من هيئة الأمم المتحدة لدعم العمل الخيري، والتي يمكن تقديم المساعدات الإنسانية والتطوعية من خلالها لكل دول العالم: برنامج الأمم المتحدة للإنماء، والمفوضية العليا لشؤون اللاجئين، وصندوق الأمم المتحدة للطفولة، وبرنامج الغذاء العالمي، والصليب الأحمر، والهلال الأحمر.

خير البرية قدوة

وتذكر أن أعظم الخلق محمد ﷺ كان المثال الأعظم في العطاء والعمل الخيري والحث على عمل الخير بكل أشكاله، وقد شهد له سيدنا علي كرم الله وجهه: «كان أجود الناس كفا، وأكرمهم عشرة، لم أر مثله قبله ولا بعده». وأتاه رجل مرة فسأله العطاء، فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين، فرجع إلى قومه وقال: «أسلموا، فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر». فقد امتاز رسول الله ﷺ بخلق إنساني رفيع وسلوك اجتماعي مميز مع جميع البشر على اختلاف شرائحهم وانتماءاتهم، مما جعله يمتلك عقول الناس وقلوبهم ويكسب محبتهم بعطاءاته المادية والمعنوية. وقد حث المسلمين على مساعدة بعضهم بعضا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه البخاري ومسلم). فهذا التكاتف يظهر بشكل أوضح في أيام الشدة والكوارث والحروب.

وقد امتدح الشاعر رسول الله ﷺ قائلا:

تعود بسط الكف حتى لو أنه
ثناها لقبض لم تجبه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله
هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس» (رواه البخاري ومسلم). فرسول الله ﷺ هو قمة من أعطى وجاد بكل خير. وقد اقتدى به صحابته فنذكر موقف سيدنا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - حينما كانا يتسابقان لخدمة امرأة عجوز كبيرة في السن لا تقدر على خدمة نفسها، فكان أبو بكر يأتي بنفسه لينظف لها بيتها ويرعى شؤونها تطوعا منه، ثم يأتي عمر من بعده لمساعدتها، فيجد أن بيتها قد تمت شؤونه وأن هناك من سبقه لفعل الخير من دون أن يعلم من الفاعل حتى أدرك أن لا أحد يسبقه لفعل الخير غير أبي بكر الصديق، فكان كما أدرك. فكان هدف كل منهما العمل الخيري لوجه الله تعالى لا لقول مادح أو سمعة طيبة أو استغلال للمواقف وحاجة الفقراء.

فهناك من يعطي بلا مقابل وبلا حدود وبلا موانع أو تردد... فالعطاء نهر لا يتوقف، وبحر لا ينضب، تروي به ظمأ القلوب لترتوي من ذلك الفيض الذي لا ينضب معينه، فينبت به زرعا أخضر تنتعش به الأرض ومن عليها.

أول جمعية خيرية في الكويت (١٩١٣-٢٠١٣)*

نعيم السلاموني
باحث دراسات إسلامية

في سنة ١٩١٤م كانت الحرب العالمية وحوصرت كثير من البلدان مما أدى لوقوع مجاعة شديدة عام ١٩١٩م، لاسيما في العراق وسورية، وكانت الكويت تمد سورية والبلاد الأخرى بالأطعمة المستوردة من الهند وإفريقيا... ولقد جاد الأجواد في الكويت مما من الله عليهم، فواسوا الضعفاء وأطعموا الجياع وكسوا العراة، وتفقدوا من يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف، فأرسلوا إليهم بالدراهم والطعام.. فعلوا ذلك كله بلا من ولا أذى، ومن أولئك الأجواد، حمدين عبدالله الصقر، فقد تصدق يوما من الأيام بشحنة من الأرز تفقد بها أهل الحاجة فأنفقها عليهم في يومين اثنين.

صاحب السبق في هذه المؤسسة النافعة الشاب التقي المبرور فرحان الفهد الخالد الخضير فهو أول من أخذ يفاتح الناس بأمرها، ويحسن لهم القيام بمشروعها، ولقد لقي رحمه الله آذانا مصغية وتشجيعا كبيرا من المواطنين لما له من المكانة السامية بينهم، ولما له من الجاه والسمعة الحسنة والاستقامة، وكان الغرض من تأسيسها كما جاء في المنشور، ابتعاث الطلاب للدراسة في البلاد العربية الراقية كمصر وبيروت ودمشق وغيرها، وبذل ما يقتضي لهم من المصاريف في مدة تحصيلهم من صندوق الجمعية. وقد افتتحت الجمعية في ربيع الآخر سنة ١٣٣١هـ، وألقى ببعض الخطب في حفل افتتاحها بعض الفضلاء، من بينهم العالم الفاضل الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، والمرحوم فرحان الفهد الخالد.

أعمالها

افتتحت الجمعية في ١٧ مارس ١٩١٣م، للقيام بأعمال طيبة، لخدمة الكويت والمواطنين، وبخاصة الفقراء والمساكين والغرباء، ومن هذه الأعمال:

١- المستوصف

وهو أول مستوصف يؤسس في الكويت من قبل الأهالي، وأحضروا له من البصرة طبيبا تركيا ومعه صيدلي للعمل

في المستوصف، ويعد إنشاء هذا المستوصف المجاني من أهم الأعمال التي قامت بها الجمعية نظرا لحاجة الكويت الماسة إليه.

٢- جمعت الجمعية الكتب من الأهالي وحفظتها في مقرها حتى يؤسس لها مكتبة عامة يرتادها الجمهور للقراءة، وكذلك اشتركت في بعض الصحف ليطلع أعضاء الجمعية على الأحداث العالمية.

٣- الواعظ

أحضرت الجمعية العالم الجليل المرحوم الشيخ محمد الشنقيطي،

العمل الخيري بالكويت

العمل الخيري في الكويت مستمر بعطائه، متنوع ومتشعب، من جمعيات صغيرة إلى مؤسسات كبيرة وعالمية، ومن خلال مؤسسات حكومية كبيت الزكاة والأمانة العامة للأوقاف.

فكان يلقي الأحاديث الدينية في المساجد والجوامع، ويحث الناس على العلم والأخذ بأسباب الحضارة.

٤- تعليم الأميين

افتتحت الجمعية في مقرها صفا لتعليم الأميين القراءة والكتابة، وكان يشرف على التعليم وعلى إلقاء الدروس فضيلة الشيخ محمد الشنقيطي.

٥- سقي الماء

كانت الجمعية تجلب الماء من شط العرب في البصرة بواسطة سفن شراعية (أبوام) وتقدم الماء مجانا للفقراء والمساكين، وكانت الكويت في ذلك الوقت تعاني من قلة الماء، خاصة في فصل الصيف، فكانت توزع المياه على الأهالي لاسيما الفقراء الذين ليس في استطاعتهم شراء الماء من السفن التي كانت تجلبه من شط العرب.

٦- تجهيز الموتى وتكفينهم

قامت الجمعية بتجهيز دفن أموات المسلمين والفقراء والغرباء.

٧- الإصلاح بين الناس

توجه فرحان الخالد إلى الإصلاح الاجتماعي من خلال حثه على صلة الرحم وإصلاح ذات البين وزيادة التواصل والتراحم بين الناس.

وقد فاض خير هذه الجمعية وفضلها على غير المسلمين، حتى إنه قد أسلم بعد افتتاحها جماعة من اليهود ومن النصارى المقيمين في الكويت.

*** نظرا لأهمية المقال ومناسبة عرضه في سياق الأحداث الجارية نعيد نشره بتصرف.**

الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

في عام ١٩٨٦م صدر مرسوم أميري من سمو الأمير الشيخ جابر الأحمد رحمه الله بإنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ومقرها الرئيسي الكويت، على أن تكون مؤسسة خيرية إنسانية ذات طابع عالمي ونشاط خيري وإنساني، يشمل الإنسان في كل مكان وتشمل خبرتها جوانب مختلفة من حاجات الإنسان، واستطاعت الهيئة أن تضع بصمات إنسانية واضحة خلال فترة مسيرتها في العمل الخيري، واتسعت في أنشطتها ومشاريعها الخيرية والتنموية لأكثر من ١٤٠ دولة، ومن أبرز إنجازات هذه الهيئة:

١- تقديم الدعم والعون الإنقاذي في حالات الكوارث والنوازل الطبيعية، والأزمات والحروب والنزاعات الأهلية للمنكوبين.

٢- العمل على تلبية احتياجات شرائح المعوزين من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام وطلاب العلم وغيرهم.

٣- إنشاء المشاريع الإنتاجية والتمكينية وتشغيل العاطلين عن العمل.

٤- الإسهام في التنمية الاجتماعية عبر إنشاء المدارس والجامعات ومراكز تحفيظ القرآن الكريم.

٥- العمل على الارتقاء بالخدمات الصحية وتوفيرها في كثير من المناطق التي تفتقر إليها.

٦- قامت الهيئة بمد يد العون لملايين المسلمين في كل مكان في العالم، من خلال دعمها للمشاريع الخيرية وتقديم المعونات والمساعدات لرعاية المسلمين في مجال التعليم والصحة وحفر الآبار وكفالة الأيتام ورعاية الفقراء والمحتاجين، وأصبحت الهيئة عضوا في العديد من الهيئات والمنظمات الدولية والعربية.

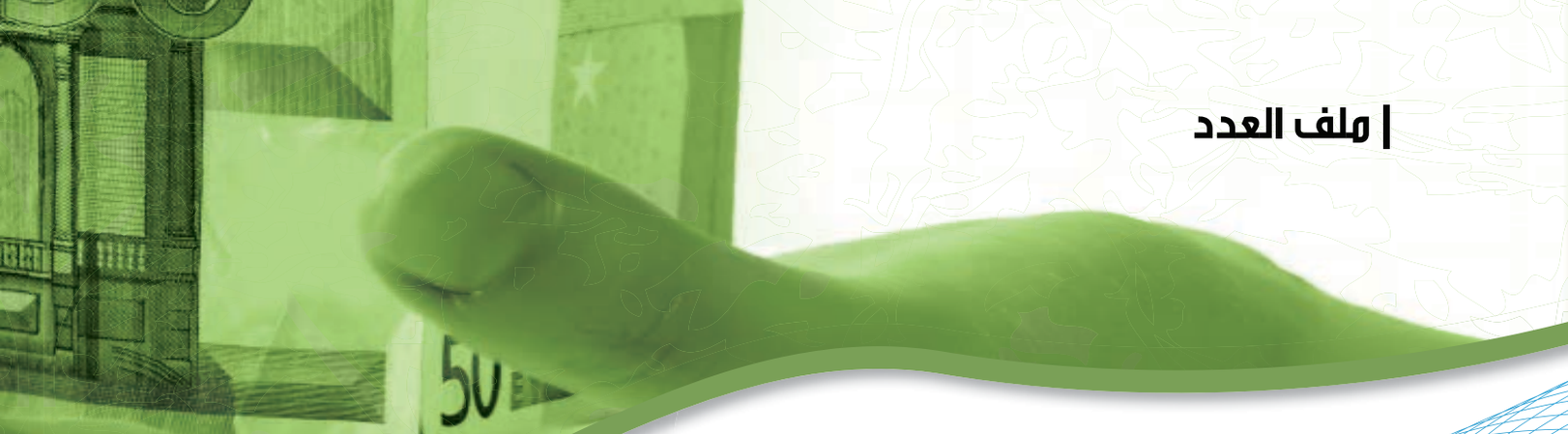

بيت الزكاة وثق أعمال الخير الكويتية في عشرة أجزاء

«محسنون من بلدي».. قدوتنا في العطاء

التحرير

منذ أن اجتمع الناس على هذه البقعة الطيبة من الأرض التي أطلقوا عليها «الكوت»، ثم في ما بعد «الكويت»، ظهرت فيهم أصالة الإنسان العربي، وما هو معروف عنه من جود وكرم.

وعلى الرغم من أن ظروف الحياة كانت قاسية على آبائنا الأوائل، فقد قدموا دروسا في العطاء قلما نجدها في مجتمع آخر. لذلك، كان «بيت الزكاة» الكويتي موفقا كل التوفيق حينما جمع قصص وحكايات الجود والإحسان لرجالات الكويت؛ لتتناقلها الأجيال وتحذو حذو أصحابها في مقدمة الجزء الأول (حتى الآن صدر عشرة أجزاء) من كتاب «محسنون من بلدي».

يؤكد «بيت الزكاة» على أن هذا الإصدار لمحة وفاء للرعيل الأول من رجالات الكويت، الذين سبقوا بالإيمان وأتموا إيمانهم بإحسان.. إنهم أناس آمنوا بربهم فزادهم الله هدى، صفت نواياهم فصلحت معيشتهم، عملوا لما بعد الموت فطابت لهم الحياة، عمرت قلوبهم بالإيمان فعمروا مساجد الله، منهم من قضى حياته يتعلم ليعلم الآخرين فترك للناس علما ينتفع به، ومنهم من جعل للفقراء والمساكين وذوي القربى وابن السبيل من ماله نصيبا موفورا، ومنهم من كان طوافا بالليل والناس نيام يتصدق بصدقة يخفيها لا يريد من المخلوق جزاء ولا شكورا، ومنهم من كان لليتيم أهلا وسندا فأطعم وكسا وعلم.

هؤلاء هم الـ «محسنون من بلدي»، الذين يقدمهم «بيت الزكاة»؛ وفاء لهم وتذكرة بأعمالهم الخيرة، باعتبار أن الذكرى تنفع المؤمنين.

ويوضح «بيت الزكاة» أن هذه الثلة الطيبة من شخصيات هذه السلسلة لم يتم التعريف بهم جميعهم بعد، وأن أعمالهم التي ذكرت ليست على سبيل الحصر لما قدموه، وإنما هي المعروف من إحسانهم فقط، وربما ما لا يعرف أكثر بكثير، وقد اختار منها ما يستند إلى مرجع أو وثيقة في زمن ندر فيه التدوين إلا ما تناقله الناس.

وقد حرص «بيت الزكاة»، كما جاء في مقدمة الجزء الأول من السلسلة، على أن يوثق المعلومات المستقاة من أحد أفراد أسرة كل

شخصية محسنة ما أمكن، معتمدا في ذلك على الثقة والموضوعية اللتين يتحلى بهما كل منهم، معربا عن استقباله - وبكل شكر وامتنان - أي معلومات عن أي محسن من بلدنا الحبيب الكويت تمهيدا لتوثيقها في الإصدارات المقبلة. كما يستقبل البيت أي مقترح لتطوير الكتاب.

وأكد «بيت الزكاة» على أن آل الصباح الكرام كان لهم دورهم الخيري في الماضي والحاضر، ومن باب أنهم ولاة الأمر، فقد تم استثناء أسمائهم من شخصيات هذا الكتاب تقديرا لدورهم الذي لا تمكن الإحاطة به في صفحات معدودة.

وقد وجه «بيت الزكاة» دعوة للكتابة إلى جميع المهتدين بكتاب «محسنون من بلدي»، متضرعا إلى الله تعالى أن يجعل إحسان أهل الخير في ميزان حسناتهم، وأن يثيبهم خيرا عما قدموه من عمل صالح هو الآن قدوة حسنة للأجيال القادمة؛ ليكونوا نعم خلف لخير سلف، ينعم المجتمع الكويتي بترابطهم وتآزرهم؛ لمساعدة الفقراء والمساكين وإغاثة المنكوبين من المسلمين في جميع بقاع المعمورة.

وقد أفاد «بيت الزكاة» بأنه تقصى الحقائق التي وردت في هذه السلسلة من جميع المراجع التاريخية المتاحة، ومن الرواة الثقات، ومن أقارب المحسنين، آملا أن يكون قد وفى بما هو مستطاع.

وزراء وعلماء ومفكرون يحتفون بها

«الوعي الإسلامي».. ٥٠ عاما تعريف بسماحة الإسلام

عبدالله الشريف و إسلام لطفي و هالة عبدالحافظ
دار الإعلام العربية

أكد كثير من العلماء والمفكرين وكبار المسؤولين أن مجلة «الوعي الإسلامي» قامت على مدار ٥٠ عاما بدور جليل في خدمة القضايا الإسلامية والدعوية المستنيرة، وأنها حافظت دوما على وسطيتها وتركيزها على نشر قيم الإسلام السمحة. وأشاروا إلى أن المجلة، وهي تحتفل هذه الأيام بمرور ٥٠ عاما على إصدارها، حرصت على تنويع مضامينها، وعملت على طرح المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي والأقليات والجاليات الإسلامية في العالم، واهتمت في السياق ذاته بالمرأة والشباب والأطفال.. وإلى التفاصيل.

نبدأ مع فضيلة الدكتور شوقي علام، مفتي جمهورية مصر العربية، الذي تقدم بخالص التهنئة لأسرة مجلة «الوعي الإسلامي» الغراء بمناسبة مرور خمسين عاما على مسيرتها المباركة التي بدأت مع غرة محرم عام

١٣٨٥ هـ الموافق مايو سنة ١٩٦٥م، مشيرا إلى أنه منذ انطلاق المجلة وإلى الآن حملت على عاتقها مهام ثقيلة، تتمثل في تأصيل القيم والمساهمة في تنمية المجتمعات الإسلامية بخطاب شرعي معتدل يجمع كلمة المسلمين.

وأضاف فضيلته أن المتتبع لهذه المسيرة المباركة يجد أنها حققت – بفضل الله عزوجل – أهدافا كثيرة، من أهمها تنمية الوعي الإسلامي بمفهومه الشامل، وتأكيد الهوية الإسلامية وتعزيز الشعور بالانتماء إلى الأمة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، والرد على الشبهات بالدليل العلمي، والاستفادة من التقنيات الحديثة لتحقيق النهضة الفكرية، ودراسة المشكلات المعاصرة وطرح الحلول والبدائل.

وقال: «لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بخالص الشكر والتقدير لأسرة المجلة مع صادق الدعاء بمزيد من التقدم والنجاح».

منارة متنوعة

بينما أكد د. عبدالصبور فاضل، عميد كلية الإعلام بجامعة الأزهر الشريف، ورئيس لجنة الإعلام بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، أن المجلة حافظت على مكانتها لمدة ٥٠ عاما تنشر بانتظام، وتعتبر منارة للصحافة الإسلامية في العالم العربي والعالم الإسلامي بما تقدمه من مواد متنوعة، وهي محببة للقارئ المسلم في كل مكان، وجعلت لنفسها قراء يتابعونها ويبحثون عنها في كل مكان.

وأضاف أنه من حيث المضمون فإن المجلة متنوعة، وعملت على طرح المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي والجاليات الإسلامية في العالم، موضحا أنها خطت خطوات مهمة في الفترة الأخيرة من خلال الملحقات التي تطرحها وتخص فئتي الشباب والأطفال.

وأشار إلى أنه من حيث الشكل، فإن المجلة حافظت على العراقة والأصالة الكلاسيكية، وسعت إلى التجديد، وضربت المثل الأعلى للصحافة الإسلامية، مطالبا بمزيد من الاهتمام بمشاكل المسلمين في العالم الإسلامي وبقية الدول والجاليات، إضافة إلى إقامة مسابقات دولية بين الشباب، والاهتمام أكثر بقضايا المرأة العربية والمسلمة.

- مفتي مصر: حملت على عاتقها تأصيل القيم وتنمية المجتمعات بخطاب شرعي معتدل
- عميد إعلام الأزهر: منارة للصحافة الإسلامية.. وحريصة على تنويع مضامينها
- د. محمد مورو: لعبت دورا مهما في الدفاع عن وسطية الإسلام دون تطرف
- وكيل الأزهر: نرحب بالتعاون مع المجلة للوصول إلى أكبر عدد من المسلمين
- د. أسامة العبد: عليها أن تفتح أبوابها للوسطيين بطريقة أكبر
- د. أحمد زارع: طباعتها متميزة وألوانها وصورها موفقة
- د. إبراهيم الهدهد: تعتمد في كتاباتها على الراسخين من أهل العلم

مدافعة عن الوسطية

من جانبه، أكد د. محمد مورو، رئيس تحرير مجلة «المختار الإسلامي»، أن المجلة لعبت دورا مهما في تمثيل الإسلام الوسطي، والدفاع عن المشروع الإسلامي الوسطي من دون تطرف، كما أنها فتحت الكثير من القضايا عن الأقليات الإسلامية في العالم، ودافعت عنهم، بالإضافة إلى تقديم مفاهيم صحيحة عن المشروع الحضاري الإسلامي.

وشدد مورو على أن المجتمع في حاجة ماسة إلى مثل هذه المجلة؛ لتقدم الإسلام الوسطي غير المتطرف بصورة نقية وواضحة تخاطب العالم بتسامح الإسلام.

تعاون

إلى ذلك، وجه د. عباس شومان، وكيل الأزهر الشريف، رسالة إلى المجلة عنوانها الشكر والتحية على الجهد المبذول لرفعة الإسلام والمسلمين.

وأكد شومان أن الأزهر الشريف يسعى إلى مزيد من التعاون مع جميع الجادين في مختلف العالم الإسلامي عامة، والعربي خاصة، مشيدا بدور المؤسسات الدينية الكويتية في مساعدة الأزهر على توصيل رسالته.

وطالب شومان المجلة بفتح مجالات للتعاون الثقافي والديني والاجتماعي للوصول إلى أكبر عدد من الناس على مستوى العالم، داعيا إلى تسليط الضوء على الأقليات المسلمة التي تتعرض للاضطهاد ولا يعلم الناس عنها شيئا.

وأوضح أن هناك مسؤولية عن الإعلام الديني، فهو يخاطب وجدان الناس وعقيدتهم ويرشدهم

د. مختار جمعة: منارة من منارات الإعلام الإسلامي

أكد د. محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف المصري، أن مجلة «الوعي الإسلامي» منارة من منارات الإعلام الإسلامي، مستمرة في أداء رسالتها منذ عشرات السنين.

وعبر الوزير عن خالص تهانيه وشكره على المجهود المبذول من أسرة المجلة على مدى ٥٠ عاما من أجل رفعة الإسلام ومصلحة أهله في العالمين العربي والإسلامي.

وأضاف أنه لابد أن يستمر الجهد واليد التي تبني؛ للحفاظ على الهوية الإسلامية والتراث الزاخر بتعاليم ديننا العظيم، لاسيما في الوقت الذي تنتشر فيه الضلالات والخرافات والأيادي التي تسعى إلى هدم أساسات الدين.

وأشار إلى أن وزارة الأوقاف الكويتية لها جولات في محاربة الفكر المتشدد البعيد عن المنهج الوسطي المعتدل، متمنيا لها مزيدا من التوفيق والنجاح، مطالبا باستمرار العمل على وحدة العالم الإسلامي ونشر ما يحتاج إليه المسلمون تجاه دينهم ودنياهم إلى يوم لقاء الله عزوجل.

وأوضح د. جمعة أن بلدان العالم الإسلامي تواجه تحديات كبيرة تتطلب تضافر الجهود الدعوية والإعلامية للعمل على توحيد الأمة ورفعة شأنها والحفاظ عليها من الدنس والشبهات والأباطيل.

وأشار الوزير إلى ضرورة أن تستمر المجلة في رسالتها لرفع القيم الإنسانية وإظهارها واضحة جلية أمام الناس ليعملوا بها، وكذا الدعوة إلى الأخلاق التي اختفت من بعض المجتمعات الإسلامية.

وتابع «إن الأزهر الشريف ووزارة الأوقاف المصرية، مستعدان للتعاون مع الجميع من أجل مواجهة التشدد والفكر التكفيري اللذين يشوهان الإسلام»، موضحا أن المؤسسات الدينية في الكويت لها دور كبير في تحقيق الهدف ذاته.

إلى الطريق الحق، ولا يسعى إلى الإثارة أو إلى تحقيق ربح على حساب عقول الناس، موضحا أن الإعلام الديني رسالة لابد من الحفاظ عليها.

وأشار وكيل الأزهر الشريف إلى أن هناك روابط قوية تربط بين الكويت ومصر، خصوصا المؤسسات الدينية بعضها ببعض لوحدة أهدافها.

فكر معتدل

أما د. أسامة العبد، الرئيس السابق لجامعة الأزهر، فأكد أنه زار دولة الكويت وعاش فيها ما يقرب من ١٢ عاما، ويعلم جيدا الفكر الديني المعتدل الموجود في المؤسسات الكويتية، وحجم الجهد المبذول من أجل الوسطية والاعتدال، وحجم تقدير الشعب الكويتي والدولة عامة للأزهر الشريف.

وطالب العبد، في تهنئته للمجلة بمناسبة مرور ٥٠ عاما على التأسيس، بزيادة ما ينشر عن الفكر الوسطي والاستعانة بعلماء الأزهر للكتابة وتوضيح الحقائق والرد على الشبهات.

وأكد أن ما يميز «الوعي الإسلامي» البساطة والوضوح في طرح القضايا الدينية بما يجعل الهدف يصل إلى المتلقي من دون عوامل خارجية.

وأشار إلى أن المجلة لها تأثير في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وعليها أن تفتح أبوابها للوسطيين بطريقة أكبر لتوحيد الأهداف.

رصيد حافل

أما د. أحمد معبد، أستاذ الحديث في كلية أصول الدين بجامعة الأزهر، فأوضح أن مجلة «الوعي الإسلامي» منذ انطلاقها وحتى اليوم تقدم موضوعات قوية تتجاوب مع تطلعات الدعوة الإسلامية، والمبادئ والأهداف التي يريد المسلم أن ينبه العالم والأجيال الناشئة إليها.

وأضاف: «لا أنسى أنها كانت المجلة الوحيدة التي كنت أحصل منها على الأحاديث التي كان الشيخ الألباني ينشرها بعنوان «سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها على الأمة». وآنذاك كنا طلبة في مرحلة الثانوية العامة نبحث عن عدد المجلة بمجرد صدوره حتى نستفيد منها، لدرجة أن كل صديقين كانا يشتركان في ثمن العدد، حتى نحصل على الموضوعات عن الأحاديث، تصحيحا وتضعيفا، في حين لم تكن أي مجلة أخرى تفعل ذلك. وأيضا لا ننسى جهود إدارة تحرير المجلة ورئيسها في طبع مقالات الدكتور محمد الغزالي، التي طبعت مجتمعة في كتاب.. وكذا فتاوى بعض العلماء، والتي تم جمعها من خلال أعداد المجلة، حيث إن مثل هذه المجموعات تدل على رصيد المجلة الحافل بما يفيد الأجيال المسلمة في أمور دينها، وما تضطلع به من أعمال وجهود تدعو المسلمين إلى القيام بها، لكي

تكون مكانة المسلمين في تقدم، وأيضا في وعي إسلامي صحيح بعيدا عن أي أفكار فيها انحراف عن الوسطية الإسلامية التي هي روح الدين الإسلامي».

وأبدى معبد تمنيه بأن تناقش المجلة مسألة بعض الفتاوى المطروحة على الساحة، مثل الخلاف في ما يطرح من إنكار عذاب القبر، أو ما يوجه إلى كتب السنة من طعون، أو ما يطعن في بعض المعاملات الإسلامية، لافتا إلى أنه لو خصص باب من كل عدد لفتوى أو فتويين للعلماء المعاصرين في هذه الموضوعات، سيفيد المجتمع، لما للمجلة من انتشار واسع في البلاد العربية، فتكون مثل هذه الفتاوى، التي تصدر من أناس معروفين بالعلم والاعتدال وأيضا برؤيتهم الصحيحة إلى الإسلام، بمنزلة مرشد لهم للطريق الصحيح.

تواكب الأحداث

كما أبدى د. أحمد زارع، المتحدث الإعلامي لجامعة الأزهر، ترحيبه بما تقدمه المجلة من موضوعات، قائلا: «أحرص دائما على قراءتها، ولدي منها نسخ ضخمة منذ زمن بعيد، فهي تتسم بالاعتدال في أسلوب تناول موضوعاتها، علاوة على المنهجية الإسلامية التي تتفق مع صحيح الإسلام، لاسيما أنها تتميز باستكتاب كتّاب على أعلى درجة من العلم والرقي الفكري والحضاري، وأنه لا خلاف عليهم في المجتمع الإسلامي، ويعتبرون من قادة الفكر في العالم الإسلامي».

ولفت إلى أنها دائما ما تكون حاضرة في قضايا المسلمين، وتواكب الأحداث، علاوة على اهتمامها بقضايا المواطن المسلم في جميع أنحاء العالم، إضافة إلى أنها لم تنس الأقليات في المجتمعات الغربية والشرقية، وكانت حاضرة عند القضايا الآنية للمسلمين، ولم تتجاهلها، كما كانت تتجاهل بعض المجلات الأخرى هذه القضايا.

كما أكد أنها لا تنحاز إلى جهة ما على حساب أخرى، مضيفا: «لذلك، نقول إنها تعبر بالفعل عن قضايا الإسلام والمسلمين، والطبيعة الوسطية التي يرتضيها الله ورسوله، كمنهج وسطي إسلامي نعتز به، فضلا عن تميزها في الطباعة، واختيار الألوان التي تتناسب مع طبيعة الموضوعات، والصورة الجيدة، وتعد تعبيرا حقيقيا عنها، إضافة إلى الطباعة المتميزة الراقية، ونوع الورق، ورخص سعرها، الذي يسمح للقارئ المسلم البسيط ويمكّنه من أن يقتنيها ويقرأها».

العلامة المعمر معوض إبراهيم: مجلة مجاهدة تخاطب العقول والقلوب

أكد فضيلة الشيخ العلامة المعمر معوض عوض إبراهيم، حفظه الله، أن مجلة «الوعي الإسلامي»، التي تصدر منذ خمسين عاما عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت، ليست مجلة واحدة، لكنها بالنظر إلى عطائها السوي وجهادها الذي شمرت له عن ذراعيها منذ اللحظة الأولى من صدورها، تعتبر موسوعة متكاملة، وأن المجلة جديرة بالإشادة بها، والتنويه بما أدته وتؤديه مشكورة منذ خمسين عاما وحتى اليوم، وإلى ما شاء الله.

وأضاف: «كم يسعدني أن أكون من الرعيل الأول من كتّاب المجلة. فلقد عرفتني وعرفتها منذ العدد الثاني من سنتها الثانية، منذ أن كان يرأس تحريرها الدكتور عبدالمنعم النمر، ثم تولى رئاستها الشيخ أحمد البسيوني، وخلفه في هذه المهمة الشيخ محمد الأباصيري، ثم الشيخ حسن مناع، رحم الله الجميع.. والمجلة الآن برئاسة الأستاذ فيصل يوسف العلي في أزهى أيامها».

وأشار فضيلته إلى أن إسهام المجلة في مجال الدعوة الإسلامية بالغ المدى، وأن عطاءها في المجال الثقافي لا يختلف اثنان في أنه مستوى رفيع، ولاشك أنها تعرض الإسلام دينا قيما يخاطب العقول والقلوب على حد سواء، بمنهجية واستيعاب، تغبطها عليه كبريات المجلات الإسلامية، فللمجلة مع هذه الخصائص عنايتها في ملحقاتها لشباب الأمة الإسلامية الذين هم زينة حاضرها، وأمل مستقبلها، وروائح الجنة في الشباب كما قال الشاعر قديما.

ولا تكاد تقلب صفحة من صفحات هذه المجلة إلا وترى فيها مشاهد سماحة الإسلام ويسره وشموله، ونسأل الله تعالى أن يزيد هذه المجلة تألقا وارتفاعا واستهدافا لكل ما يجعلها منبر دعوة للدين والدنيا على السواء، فما تصلح الحياة إلا بدين الله ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (آل عمران:١٠١).

القراءة التدبرية للقرآن و تزكية الإنسان

د. الميلود كعواس
كاتب مغربي

لقد خلق الله تعالى الإنسان في قوام عجيب يباين سائر المخلوقات، إذ ركبه من شق طيني أرضي، ونفخ روحاني سماوي، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ (ص:٧١-٧٢)، فهو على هذا مخلوق بين منزلتين: حيوانية وملائكية. لذلك، فهو مطالب بالحفاظ الدائم على هذا التوازن، من خلال تلبية الحاجات الشهوانية المركوزة فيه، لكن من دون إغفال عن توفير الحاجات الروحانية أيضا.

ولا جرم أن الإنسان قد حاد على مر التاريخ - ولا يزال - عن منهج التوازن إلى تغليب العناية بالأشباح وخدمتها، والغفلة عن العناية بالأرواح وتزكيتها، وهذا ما نتج عنه تشوه في تركيبة الإنسان، فصار يعاني إعاقة روحية على الرغم من استوائه الجثماني.

ولأجل معالجة هذه الإعاقة «الطارئة» هدانا الشرع الحنيف إلى عدد من السبل، لعل من أبرزها: تلاوة كتاب الله تعالى، قال ﷺ: «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد. قيل: يا رسول الله، فما جلاؤها؟ قال: تلاوة القرآن» (مصنف عبدالرزاق، شعب الإيمان للبيهقي)، أي إن الإعراض عن الإقبال على كتاب الله تعالى يؤدي إلى أن تصدأ القلوب، وهذا ما يورث بالتبع انسدادها وانغلاقها.

لكن القراءة المقصودة هنا ليست أية قراءة، وإنما هي القراءة التدبرية الواعية، التي تتجاوز الحلاقيم نافذة إلى القلوب. ولذلك، بين سبحانه أن عماية القلوب وانسدادها نتيجة مباشرة لانعدام التدبر لآي الكتاب المبين، قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد:٢٤).

فالآية كاشفة عن العلاقة السببية بين عدمية التدبر وعماية القلوب التي هي أشد وأنكى من عماية الأبصار، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (الحج:٤٦). ثم إن الآية تشير إشارة واضحة إلى أن التدبر لكتاب الله تعالى، هو الذي يفتح القلوب ويكسر أقفالها، التي تحول دون تذوق جمال القرآن والإحساس بجلاله، وأنه هو البلسم الشافي الذي يزيل أدرانها ويطهرها من الرذائل والبذاء، ويهديها إلى سواء الصراط، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس:٥٧).

إذن، فهذه القراءة التدبرية لكتاب الله تعالى تقي الإنسان من أن يخلد إلى الأرض ويتبع هواه، وترتقي به وتزكيه وتعلمه من العلم والحكمة ما لم يكن يعلم، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:١٥١)، وقال أيضا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة:٢).

فهذا الترتيب البديع «تلاوة - تزكية

– تعلم» ليس عبثا، وإنما هو مقصود لذاته، أي إن الآيات تلمح بوضوح إلى أن من تبعات التلاوة التدبرية: حصول التزكية، واستجلاب العلم والحكمة.

فتحصل من خلال ما سبق كله أن الرقي الإنساني لا يتحقق إلا بالقراءة المتفحصة المتدبرة للقرآن الكريم، لأنها قراءة تتجاوز الحروف إلى المعاني، وتتجاوز الحناجر إلى القلوب، فتثمر فكرا وحكمة وسلوكا، وانقيادا مطلقا لأحكام القرآن ومقرراته، وهذا ما بينه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فيقول: «والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله» (١). وعن الحسن البصري – رحمه الله – قال: «والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل» (٢). ولعل هذا هو ما يفسر بطء بعض الصحابة في حفظ حروف القرآن الكريم، قد ثبت أن عمر الفاروق رضي الله عنه «تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة» (٣)، وذلك ليس عجزا منه، وإنما هو الحرص على التدبر والعمل، وهذا ما أكده ابن عمر فقال: «كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها، ورزقوا العمل بالقرآن، وإن آخر هذه الأمة يقرأون القرآن، منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به» (٤). وفي هذا المعنى يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «إنا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به» (٥)، وثبت عنه رضي الله عنه أيضا أنه قال: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن» (٦).

ومن الأمثلة الشاهدة على أثر تدبر القرآن في تزكية النفس، وإقبالها على فعل المأمور، ما أثر عن الصحابة – رضي الله عنهم – من سرعة الاستجابة إلى نداء الله تعالى حينما قال: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ (المائدة:٩٠)، إلى أن قال سبحانه: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة:٩١)، فقال الصحابة: «انتهينا يا ربنا». ثم أهريق ما كان بأيديهم من خمر ومسكر (٧). وما فعلوا ذلك إلا لأنهم وعوا معنى الآية وتدبروها وفقهوا أحكامها.

ومن نماذج الصالحين من بعدهم في الباب ما روي في سبب توبة الفضيل ابن عياض – وكان شاطرا يقطع الطريق – فقد عشق جارية فصار إلى بيتها في سكون الليل، فبينما هو يرتقي الجدار إليها إذ سمع رجلا قائما من الليل يتهجد ويقرأ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦). فلما سمعها تجاوزت آذانه وبلغت جنانه، ففقه مبناها، وأجرى معناها آنا غير مسوف، فقال: «بلى يا رب قد آن، بلى يا رب قد آن، بلى يا رب قد آن». ثم قال: «اللهم إني تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام» (٨).

بناء على ما سبق أقول إن القراءة التدبرية الواعية للقرآن الكريم تثمر اهتداء ورحمة وتزكية وشفاء، أي إنها تزكو بالقلوب في مقامات العبودية، وترقى بها إلى مدارج السالكين لرب العالمين. وفي هذا الصدد، يقول ابن القيم رحمه الله: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنها (...) تعرفه النفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصححاتها، وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم، ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه (...) تريه الحق حقا والباطل باطلا، وتعطيه فرقانا ونورا يفرق به بين الهدى والضلال، والغي والرشاد، وتعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحا وبهجة وسرورا، فيصير في شأن والناس في شأن آخر» (٩).

الهوامش

١- تفسير ابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة:١٢١)، ٤٠٣/١.
٢- نفسه، ٦٤/٧.
٣- شعب الإيمان، ح: ١٩٥٧، ٣٣١/٢.
٤- الجامع لأحكام القرآن، ٤٠/١.
٥- الجامع لأحكام القرآن، ٤٠/١.
٦- جامع البيان في تفسير آي القرآن، ٨٠/١.
٧- الجامع لأحكام القرآن، ٨٢/١٥.
٨- الجامع لأحكام القرآن، ٢٥١/١٧.
٩- مدارج السالكين، ٤٨٥/١، ٤٨٦.

نقد الخطاب العلماني

د. سامي عطا
باحث دراسات إسلامية

استُهدِفَ الإسلام بحملة ضارية من دعاة العلمانية... وحملوا الإسلام الذي وسموه بـ «العقلية الدينية والعقلية الغيبية» وزر الهزيمة التي منيت بها الأنظمة، والتي لم يكن لها أي محتوى إسلامي يذكر.. الأنظمة التي كانت علمانية بدرجة أو بأخرى.. والتي كان يقودها ويوجه سياستها الداخلية والخارجية قوميون وعلمانيون، وأجهزة علمانية.. والحقيقة أن العلمانيين هم الذين قادوا العرب إلى الهزيمة، وأرادوا أن يقدموا للرأي العام ضحية تغطي على هزيمتهم وهزيمة فكرهم القومي.. فلم يجدوا إلا الإسلام كبش فداء فحملوه مسؤولية الهزيمة.. وهو منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.. لأنه لم يكن له دور.. بل لم يتركوا له أي دور في حربهم مع عدوهم.. ولا في أي وجه من وجوه سياساتهم.

وللعلمانيين في خطابهم، والدائرين في فلكهم مفاهيم متعددة، مثل: المقاصد، والمصالح، والمغزى، والجوهر، والروح، والمنهج، والرحمة.. وغيرها، وهي كلمات حق يراد بها باطل، يراد بها استئناس الضمير الإسلامي.. مثلها مثل: الكلمات التبجيلية التي يتداولها العلمانيون أثناء الحديث عن القرآن الكريم، تمهيدا لإقصائه عن الحياة والتشريع وذلك كقولهم:

- القرآن كتاب هداية، وإقحامه في كل أمورنا الحياتية ليس من تخصصه، إنه ليس كتابا في الطب والفيزياء.
- والخطاب القرآني خطاب تثقيفي تربوي من أوله إلى آخره..
- القرآن كتاب دين وإيمان، وليس كتاب تقنين وتشريع، بعكس التوراة..!!.
- شريعة موسى الحق، وعيسى الحب، ومحمد الرحمة..

وعلى هذا السبيل تستخدم المقاصد، والمصالح والتأويل.

فعقوبات مثل الرجم كانت سارية المفعول في ذلك العصر التاريخي، بسبب ملاءمتها للأحوال الاجتماعية آنذاك، حيث كانت المجتمعات بدوية بدائية متنقلة، فلا يوجد سجون ولا جدران وإنما خيام، فكيف يسجن السارق؟! وكيف تحفظ الأموال؟ لابد من عقوبة تميز السارق وتجعل الناس يحذرون منه، أما اليوم فقد تغير الحال.

والثابت إذن هو مبدأ العقوبة أو الجزاء، أما الأشكال التطبيقية لهذا المبدأ فموكولة إلى كل عصر!!

حسب أوضاعه وأعرافه وقيمه، وبذلك تظل التشريعات تفاصيل تطبيقية مشدودة إلى كلية المنهج. وبهذا يستوعب القرآن متغيرات العصور، ويبقى كما أراد الله صالحا لكل زمان ومكان. والمنهج هو الشريعة والشريعة هي المنهج، لأن معنى الشريعة في القرآن هو المنهج والمدخل والسبيل، وليست الشريعة القواعد والأحكام التفصيلية، ذلك لأن المنهج قادر على الحركة الدائمة مع الواقع، أما الأحكام التفصيلية فهي نسبة مرتبطة بظروفها، ولذلك يخطئ الكثيرون عندما يظنون أن تطبيق الشريعة، يعني تطبيق أحكامها وتفاصيلها، والحق أنه تطبيق روحها، أما تفاصيل المعاملات وغيرها فليست هي الشريعة، وإنما هي أحكام الشريعة.

إن تطبيق الشريعة يعني إعمال الرحمة في كل شيء، لأن القرآن يقوم على منهج الرحمة أو التجديد والمعاصرة، ومن هنا مادامت الرحمة هي المنهج والمنهج هو الرحمة، فإن القانون الوضعي بكل فروعه المدنية والتجارية الآن موافق لشريعة الإيمان وروح القرآن وفق دراسة «المدخل المقاصدي و المناورة العلمانية» للدكتور أحمد إدريس الطحان

ونظام الربا في الإسلام يؤكد ذلك، فقد تغير الحال، ولم يعد الأمر كما كان استغلالا لحاجة المدين يؤدي الى إعساره وإفلاسه، ولم يعد ثمة نظام للربا، وإنما نظام لحساب الفوائد على الديون في مجتمع يقوم فيه المشروع بدون الرقابة على المعاملات، ويحدد الفائدة بحيث لا تغني الدائن ولا تستغل المدين.

ونظام الحدود في الإسلام يؤكد ذلك أيضا، فالشروط التي وضعها الفقهاء لإدانة السارق أو الزاني وإقامة الحد عليه يصعب أن تتحقق... كما أن تطبيق حد الرجم، لا يتفق مع روح الإسلام وأحكامه، لأنها تقرنه بالعنف والتشدد والقسوة أمام الرأي العام العالمي. ولذلك فتطبيق هذه العقوبات باسم القرآن خيانة له، وأقوم الطرق أن نبحث عن الجوهر، إذ لا يجب التمسك بحرفية النصوص، إنما بروحها ومغزاها ومقصدها، وهو يكفل لنا الحفاظ على مصداقية الإسلام، وصلاحه لكل زمان ومكان.

وهذا ما عناه د. نصر حامد أبوزيد بقوله: «أدرك عمر بن الخطاب حكمة التشريع الذي يعطي للمؤلفة قلوبهم نصيبا من الزكاة، لا من بنية النص ذاته، بل من السياق العام للنص، فأدرك أن حكمة هذا التأليف تقوية الإسلام الذي كان ضعيفا... إلى أن يقول: وبنفس الفهم من جانب عمر لحكمة فرض حد السرقة لم يقم هذا الحد على العبدين اللذين سرقا سيدهما الذي كان يجيعهما، وهدد ابن الخطاب السيد نفسه بقطع يده لو عاد العبدان للسرقة مرة أخرى». ولم يعلن أبوزيد عن هدفه صراحة، بل نستشفه من توظيف

جوقة العلمانيين والحداثيين اجتهادات سيدنا عمر رضي الله عنه للقول بأن المقاصد أو المصالح هي الحاكمة على النص القرآني، وأن النص يدور معها وجودا وعدما، أو يوقف أو يعطل إذا حصل تعارض بينهما، وأن الاجتهادات الجريئة التي صدرت من سيدنا عمر رضي الله عنه في القضايا المستجدة، أبلغ دليل على ذلك مثل:

- إيقافه لحد السرقة عام الرمادة.. وإيقافه لسهم المؤلفة قلوبهم.

وإليك ما يقوله الخطاب العلماني في ذلك:

- عمر ألغى بعض الفرائض، وأوقف بعض الأحكام.
- ألغى عمر حصة المؤلفة قلوبهم اتباعا لمقاصد الشرع.
- يمكن للاجتهاد المطلق أن يخصص العام، ويقيد مطلقه وأن يوقف العمل بنصوص ثابتة، وقد فعل عمر ذلك!.
- لقد أبطل عمر رضي الله عنه القطع عام المجاعة وقطع سهم المؤلفة قلوبهم.
- حكم عمر بما لا يطابق النص القرآني.
- عمر أبطل مفعول آيتين في القرآن وهو موقف مستنير.
- لقد غير عمر شرائع ثابتة في القرآن والسنة مثل: حد الخمر وحد السرقة وسهم المؤلفة قلوبهم.
- أوقف عمر حد السرقة عام المجاعة، وسهم المؤلفة قلوبهم مع أن النصوص ثابتة لم تنسخ. إلى آخر هذا الخبال والكلام البطال على حد قول المرحوم محمد جلال كشك!.

وهنا لابد من توضيح:

إن قول كل المستشرقين وتابعيهم من العلمانيين والحداثيين بأن عمر رضي الله عنه خالف النص القرآني الصريح بقطع يد السارق ينم عن جهل قائله بمقاصد الشريعة الإسلامية، وكأن الواحد منهم يقول للمسلمين لا حرج عليكم في مخالفة نصوص الشريعة فقد خالفها من قبلكم عمر..

والأمر ليس كما يتصورون.. فجريمة السرقة من الجرائم التي وضع الشارع الحكيم لها قيودا معينة، وهذه الأركان تسمى بأركان جريمة السرقة، فإذا توافرت هذه الأركان جميعها اعتبرت جريمة السرقة متكاملة.. وتسقط عقوبة القطع من كل جريمة سرقة لا تتوافر فيها الأركان مجتمعة. وقد بينتها كتب الفقه المختلفة، كما لا يقام الحد على السارق إذا وجد مانع موضوعي واحد من ثلاثة عشر مانعا بينها الفقهاء لوجود شبهة دارئة للحد... ومن هذه الموانع:

- حدوث مجاعة.. فلا يقطع من سرق في مجاعة مضطرا لدفع الهلاك عن نفسه، روى مكحول رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا قطع في مجاعة مضطر».

وحالة الضرورة تسقط الحد والتعزير معا..

وقد نفى الله سبحانه عن المضطر الإثم بقوله: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة:١٧٣)، فحد السرقة لم يلغه عمر رضي الله عنه، بل نفذ نصوصا إسلامية أخرى كما أسلفنا، فعمر اعتبر المجاعة هذه شبهة فدرأ بها الحد.. لقد أعمل نصا مكان نص آخر اقتضته الضرورة.. وأين المجال للتخرص بأنه أبطل الحد وخالف القرآن؟.

لقد أعمل عمر رضي الله عنه الحد مع إيقاف التنفيذ أو بالتعبير الإسلامي درأه..

وقد قال أحد الفقهاء بسقوط القطع في عام المجاعة، كما فعل عمر رضي الله عنه، قال الإمام أحمد بن حنبل «لا قطع في مجاعة... وروي عن الأوزاعي مثل ذلك، ولا قطع على المرأة إذا منعها الزوج قدر كفايتها أو كفاية ولدها فأخذت من ماله، ولا قطع على الضيف إذا منع قراه فأخذ أيضا من مال المضيف..

بل لم يحد عمر رضي الله عنه غلمان حاطب ابن أبي بلتعة عندما سرقوا ناقة رجل من قبيلة مزينة ونحروها، لأنه تبين له أنهم سرقوا ناقته تحت حاجة ملحة، وهي الجوع، فحكم عمر رضي الله عنه بالضمان على سيدهم لأنه كان يستخدمهم ويجيعهم حتى دفعتهم معاملته القاسية إلى السرقة، ولذلك حكم عمر بالضمان على سيدهم تأديبا له وزجرا لأمثاله..

ويتضح مما ذكرنا: أن شرط الإعفاء من القطع في حالة الضرورة، أن لا يأخذ المضطر إلا ما يدفع به الضرر، فمن القواعد الفقهية الشرعية «الضرورة تقدر بقدرها»، وعلى هذا الأساس ليس للجائع أن يأخذ من طعام غيره إلا ما يسد به جوعه، ولا تتحقق الضرورة إلا إذا وجد الإنسان نفسه في حالة يخشى فيها تلف النفس والأعضاء، وإذا أمكنه دفع الضرورة بفعل مباح، امتنع دفعها بفعل محرم.

وبعـــد:

هذا ما فقهه عمر رضي الله عنه وهو يبين لنا مدى أحكام الإسلام وتقدمها على الأحكام التي يريد لنا الكتاب العلمانيون والحداثيون ومن يرددون أقوالهم بغير فهم أو عن سوء قصد كأبي زيد، والجابري، وجعيط وغيرهم أن نرجع إليها القهقرى بدلا من الحالة المتقدمة التي وصلنا لها، فليتروّ الكتاب قبل الخوض في أمر لم يفقهوه، وقبل أن يغمز أحد منهم بعينه ويقول لنا: إن الآية بطلت أو ألغاها عمر رضي الله عنه وأرضاه، وهكذا نرى أن توظيف المقاصد دون ضوابط أو معايير، ما هو إلا وسيلة لهدم الشريعة وإقصاء القرآن عن القيادة والمرجعية، وتبرير للحلول التي تمليها المناهج الحديثة.

د. طه ريان: لا عذر لعلماء الأمة في استمرار القوانين الوضعية التي تخالفها

الشريعة الإسلامية عصمة

عبدالله شريف
القاهرة : دار الإعلام العربية

أكد عضو هيئة كبار علماء الأزهر الشريف ورئيس موسوعة الفقه الإسلامي، وأحد أبرز شيوخ الفقه المالكي العلامة د. أحمد طه ريان، أن الشريعة والأحكام الفقهية الإسلامية عصمة لمن تمسك بها وسار على نهجها.. وأوضح في حواره مع «الوعي الإسلامي» أن كثيرا من القوانين الأوروبية مأخوذة من الفقه الإسلامي، وتحديدا الفقه المالكي، واعتبر أنه لا عذر لعلماء الأمة في بقاء الاحتكام إلى القوانين الوضعية.. وتحدث فضيلته عن مسيرته العلمية والفكرية، وعن العديد من القضايا، فإلى التفاصيل:

● بداية.. حدثنا عن نشأتك والمشايخ الذين تتلمذت على أيديهم؟

- نشأت في الأقصر جنوب الصعيد وحفظت القرآن، وتعلمت مبادئ العلوم في الصعيد أيضا، ثم أتيت إلى القاهرة للدراسة بكلية الشريعة والقانون، ودرست فيها العلوم الشرعية على أساتذة كبار، منهم الشيخ الحسيني والشيخ أنيس عبادة والشيخ زهير محمد زهير، وغيرهم من كبار العلماء الذين تلقيت على أيديهم العلم الشرعي في كلية الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر.

ومن ثم أكرمني الله وحصلت على درجات علمية متتابعة، منها ماجستير الشريعة، ثم الدكتوراه في الفقه المقارن عام ١٩٧٣م، ثم درجة أستاذ مساعد عام ١٩٨٠م، ثم درجة أستاذ عام ١٩٨٥م، وتوليت العديد من المناصب الإدارية في جامعة الأزهر وفي العديد من جامعات العالم الإسلامي، كما أتولى في الوقت الحاضر رئاسة موسوعة الفقه الإسلامي.. وأحمد الله أن من علي بزيارة العديد من البلدان الإسلامية لنشر وتلقي العلم.

● ما هي أبرز الكتب التي قمت بتأليفها؟

- ألفت عددا من الكتب، ومنها «الرسالة في عقد الوكالة في الشريعة الإسلامية» وكتاب «فقهاء المذهب المالكي» وكتاب عن الإمام مالك بن أنس.

كما ألفت عددا من الكتب الحياتية التي تهم البيت المسلم، ومنها: فقه الأسرة وتعدد الزوجات ومعيار العدل بينهن في الشريعة الإسلامية، وأيضا ضوابط الاجتهاد والفتوى.

ومعروف أن مصر تحكم منذ ١٥٠ عاما بالقانون الفرنسي في معظم القضايا، باستثناء الأحوال الشخصية كالطلاق وغيره، ومن خلال البحث تبين أن القانون الفرنسي مأخوذ من الفقه المالكي.

على السائل أن يحسن اختيار مفتيه كي لا يشاركه الوزر

وأصدرت كتابا منذ شهرين يوضح كيف صاغ علماء الثورة الفرنسية قانونهم من الشريعة الإسلامية، والفقه المالكي تحديدا، وحكمت العديد من الدول الأوروبية بهذا القانون، وهذا هو آخر مؤلفاتي.

وتساءلت في الكتاب الذي جاء بعنوان «أوجز المسالك في الإبانة.. عن أخذ القانون الفرنسي الذي تحكم به مصر من الفقه المالكي فإلى متى؟»، عن سبب الاستمرار في هذا القانون الفرنسي بعد أن علمنا أن أصله شرعي، ولماذا لا نعود للاحتكام للشريعة الإسلامية.

وشمل الكتاب شهادات وأدلة على تأثر دول أوروبا واليابان وأميركا بالفقه المالكي.

وقد قمت بتأليف الكتاب بهدف إثبات أن الشريعة الإسلامية هي الأصل، ولابد من العودة إليها والاتفاق على أصولها، لأنها عصمة لمن تمسك بها وسار على نهجها من أفراد وجماعات وأمم.

ولقد ابتعدنا عن شريعتنا مدة قرن ونصف من الزمان، وكنا نُحكم بقوانين أجنبية أُتي بها إلينا بقصد تطويرنا، ثم اكتشفنا أن هذه القوانين من شريعتنا، لكنها جاءت بصياغة جديدة ولغة أجنبية.

ويجب إعمال قول الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (المائدة:٤٤)، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (المائدة:٤٧).. ولا عذر للعلماء في استمرار العمل بالقوانين الوضعية على حساب الشريعة السمحة.

● تعددت مذاهب العلماء، فما الفرق بين الفقه المذهبي والفقه العام؟

- تنوع المذاهب رحمة بالناس، حيث تتفق على أصول وتختلف في فروع، والفقه المذهبي يعطي أكثر من تفسير للمسألة الواحدة، أما الفقه العام وتفسير الأحاديث وغيرها فلا يأتي بمثل هذه التفاصيل، وقد اعترضت من قبل على الأفكار التي تطرح بمنع الفقه المذهبي في جامعة الأزهر الشريف.

فمثلا في اليمن كانوا يصرفون النظر عن الفقه المذهبي، ولكن اكتشفوا بعد ذلك أن قواعد الناس تؤخذ من الفقه المالكي، فأصبح هناك تدريس سنة كاملة للفقه، بعد ما يحصل الطالب على الماجستير، وانتدبت في جامعة الإيمان لتدريس الفقه المالكي.

● كيف يمكن للشريعة أن تعاصر الزمان المتغير؟

- العادات والتقاليد تتغير، وعلى الفقيه أن يجتهد حتى يجد أحكاما تتناسب مع البيئة الجديدة، والأعراف تختلف من جيل إلى جيل ومن عصر إلى آخر، وأذواق الناس وطموحاتهم وطريقة تعاملهم في العبادات والمعاملات المالية وغيرها.

ويجب على الفقيه أن يوازن التغيرات حتى يجد الحكم الشرعي المناسب، كما يجب عليه أن يعلم تلاميذه ذلك منذ البداية.

الشريعة سهلة وواضحة، وينبغي على الداعية والفقيه عدم ترك الأصول، وكل فقهاء الإسلام اتفقوا على الأصول واختلفوا في الفروع.

وينبغي على البلاد التي كانت تحكم بالشريعة الإسلامية ومن ثم تم احتلالها وتغيير قوانينها، أن تستعيد حقها في الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية، وعلى علماء الأمة أن يجتهدوا في تحقيق ذلك وتبيان آثاره.. كما يجب على المشرعين في الدول الإسلامية أن يراجعوا الدساتير التي يقسمون على احترامها ويكتبون فيها أن الإسلام دين الدولة، بينما نجدهم يوافقون على إصدار تشريعات تخالف هذا الدين.

● الجهاد والتكفير مصطلحان فقهيان تزايد استخدامهما في الفترة الأخيرة، كيف يتم استيعابهما وشرحهما؟

– كلمة «الجهاد» أخذت من الفقه الإسلامي ومن الشريعة، لكن لم تؤخذ بكل أركانها أو أحكامها، وعندما أريد أن أغير نظاما في أي دولة ينبغي أن تكون لدي قدرة على التغيير من معدات وأسلحة وبشر.

أما قيام مجموعة مسلحة بمواجهة دولة ونظام فهذه فتنة، والفتنة توجد الحرب وتهدم الإنسانية، وما يحدث في مالي والعراق خير دليل على هذه الفتن التي تأتي على الأخضر واليابس.

وعندما نريد أن نؤسس دولة على الشريعة الإسلامية ينبغي أن يجتمع أهل العلم وكبار العلماء من جميع الدول ليضعوا قواعد وأصول تأسيس نظام الحكم الإسلامي، ويتم عرضها على حكام الدول.

أما كلمة «كفر» فهي مصطلح صعب في الشريعة الإسلامية ويجب عدم التساهل في إطلاقه، فليس من حق أحد إخراج الناس من الدين إلا بإنكار معلوم من الدين بالضرورة.

● كيف ترى مستوى العلم الشرعي عند الدعاة الجدد؟ وبم تنصحهم؟

– الشباب ينبغي أن يتجه للقاء أهل العلم من العلماء الثقات، وعليه أن يستمد علمه أيضا من أمهات الكتب المعتمدة، وينبغي أن لا يبحث بنفسه في الكتب دون الرجوع إلى العلماء، فقد يقع في مشكلة القراءة التي لا تقوم على صحيح الدين.. ولابد من التوسع في تدريس الشريعة حتى يصل العلم الشرعي إلى الجميع، ففي كليات الحقوق مثلا؛ يجب أن يدرس بجانب مقرراتها القانونية مقررات شرعية حتى تتسع الآفاق لفهم العصر.

ووسائل الإعلام الجديدة العابرة للحدود ساهمت بشكل كبير في وصول الدعوة مراحل جيدة، لكن ينبغي الحذر، فلا ينبغي أن يتحدث في أمور الدين من ليس لديه العلم الشرعي الذي يهيئه إلى ذلك.

● كيف ترى التعليم الأزهري في هذه المرحلة؟ وهل هناك قصور؟

– الأزهر الشريف يقوم بدوره على أكمل وجه في العالم الإسلامي أجمع؛ من خلال نقل العلم وشرحه في الجامعات والمدارس والمعاهد، إضافة إلى البعثات التي يرسلها إلى دول العالم الإسلامي، ولكن هناك قصور في العملية التعليمية الأزهرية، فضلا عن أوضاع الطلاب أنفسهم ومعاناتهم، حيث أتوا من بلدان مختلفة، فتشغلهم هموم وأمور كثيرة عن التفرغ للعلم فقط.. لذا ينبغي تحسين الأحوال المعيشية للطلاب والمعلمين على السواء، كي يمكنهم أداء رسالتهم على الوجه الأمثل.. أيضا من المهم الارتقاء بمستوى العملية التعليمية وتطويرها بما يوظف الاستفادة من تقنيات العصر.

● كيف نضبط الفتوى من خلال مصادر موثوقة؟ وكيف نواجه فتاوى الفضائيات؟

– مشكلة الفتوى تحدث فيها العلماء كثيرا، والفتوى في مصر محكومة بمؤسسات معروفة، قائمة بعلمائها الأجلاء، كما أن هناك برامج ثابتة في الإذاعة للرد على فتاوى الناس وحاجاتها من مصادرها الأصلية الموثوقة، كما تتلقى دار الإفتاء فتاوى المواطنين وتجيبهم، وأتمنى من الناس في العالم الإسلامي والعربي أن يتجهوا إلى مصدر الفتوى والعلماء الصحاح الموثوقين لتلقي الإجابة وعدم الاستسهال.

أما فتاوى الفضائيات فليست محكومة، ومعظم الفضائيات تجارية تأتي بمن صوته عالٍ ومسموع، وتعطيه ألقابا تخدع الناس، لذا ينبغي على من يريد الفتوى أن يحسن اختيار مفتيه، حتى لا يحمل بدوره وزرا في أن يطلب العلم من غير أهله.

الإيجابية في شخصية المسلم

بقلم د.محمد أحمد الدش
أستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الإيجابية تعني التحرك السريع في معالجة الواقع إصلاحا أو تغييرا دون توجيه أو أمر خارجي، وإنما هو تحرك ذاتي بتوجيه داخلي، ومعنى أن يكون الإنسان إيجابيا أن يصير قوة فاعلة في مجتمعه، وعنصرا نشطا في أمته من أجل رفعتها وبناء نهضتها، فهو صاحب همة عالية وجدية بناءة لا تؤثر فيه الخطوب، ولا يثنيه عن هدفه يأس أو قنوط، وهو لغيره ملاذ آمن وعون يجد فيه المستنصح النصح الأمين، ويجد عنده صاحب الحاجة قضاء لحاجته... وهو فوق ذلك مكثر من الطاعات، مسارع في فعل الخيرات، مغتنما لوقته غير لاه أو مضيع...هذه هي الإيجابية التي تمثل صفة أصيلة ومكونا من مكونات الشخصية العربية لا سيما الشخصية الإسلامية، فقد جبلت الشخصية العربية على جملة من الصفات التي لا توجد في غيرها من الأجناس، تحمل صورا إيجابية من النجدة والمروءة والبذل والتضحية... إلخ، ولقد جاء الإسلام داعيا إلى هذه الصفات الإيجابية وأكدتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فيقيمها القرآن الكريم على أساس الأخوة التي تقتضي النجدة والنصرة والتعاون وإعانة المحتاج وإغاثة الملهوف.

وإذا كنا نعيش هذه الأيام حالة من الانفلات الأخلاقي فإن إيجابية المسلم تأخذ تجاهها أشكالا عدة، منها: نصرة المسلم لأخيه المسلم، فإن إيجابية المسلم هنا أن ينصر أخاه ظالما أو مظلوما، وببداهة العقل نصرته مظلوما ممكنة، فكيف تكون نصرته ظالما؟!! تكون بحجزه عن اقتراف الظلم سواء وقع منه الظلم على مسلم أو على غير مسلم، وفي ذلك نصرة له ونجاة من التعرض لعقاب الله تعالى في الآخرة، ومن الإيجابية كذلك، الجلسات العرفية التي انتشرت في أرجاء الوطن لرأب الصدع بين المتنازعين وفض الخلاف بين المتخاصمين، فهي إيجابية محمودة، وسبب لإزالة الشحناء، والقضاء على البغضاء التي تكدر النفوس وتوغر الصدور، بيد أنها لا يمكن بحال أن تكون بديلا عن تطبيق القانون وإقامة العدل.

ولا تزال أمتنا بخير ما أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، فبهذا استحقت خيريتها على سائر الأمم.

أسباب التشويه الإعلامي الغـــــ

د. حسن عزوزي
رئيس تحرير مجلة كلية الشريعة بفاس - المغرب

ـــــربي لصورة الإسلام والمسلمين

لم تعد وظائف وسائل الإعلام والاتصال الحديثة تقتصر على نقل الأحداث والوقائع وتفسيرها من وجهة نظرها، بل أصبح لها دور في صنع هذه الأحداث وصياغة القرارات وتوجيه الرأي العام وتنميط سلوكه وأفكاره، كما أصبحت القدرة على استقبال المعلومات ونشرها وتداولها من بين أهم مرتكزات القدرة على السيطرة على سائر الأعمال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وأضحى الإعلام اليوم قادرا، بفضل التطور الهائل لتقنياته، على المساهمة في بناء الإنسان أو هدمه، وعلى ترسيخ القيم أو تخريبها، كما أنه أصبح قادرا على تعزيز التفاهم والاحترام بين الشعوب، بقدر ما هو قادر كذلك على أن يشوه الآخرين ويضفي التعتيم على قضاياهم.

الإعلام الغربي وصورة الإسلام

منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، لم يعرف الحديث عن واقع صورة الإسلام والمسلمين في الغرب من الاهتمام والبحث والمدارسة ما يعرفه الآن، حيث إن المتتبع لتداعيات تلك الأحداث لا يملك إلا أن يستغرب لفظاعة الصورة التي تكونت في الإعلام الغربي عن الإسلام والمسلمين، حيث وجد في الصورة المصطنعة عن الإسلام مادة خصبة لنسج صور نمطية موغلة في الازدراء والاستخفاف بتعاليم الإسلام ومبادئه من جهة، وعادات وتقاليد المسلمين من جهة أخرى.

وإذا كانت ظاهرة صنع صورة مسيئة للإسلام والمسلمين في الغرب ذات جذور تاريخية وفكرية امتدت إلى قرون عديدة، ابتداء من المرحلة الصليبية خلال القرون الوسطى ومرورا بالمرحلة الاستشراقية، فإنه يمكن القول إن هذه الظاهرة السلبية قد استأثرت بها في السنوات الأخيرة وسائل الإعلام الغربية، حيث أمست ظاهرة تشويه صورة الإسلام والحضارة الإسلامية في وسائل الإعلام ظاهرة حقيقية، وليست متوهمة أو مبالغا فيها، فقد استطاعت الأجهزة الإعلامية الغربية أن تنقل صور التشويه والتمييع من بطون الكتب والدراسات الاستشراقية إلى أن تكون زادا مثيرا تقتات منه وسائل الإعلام في كل مكان، وغدت تلك الصور «جماهيرية» بعد أن كانت «نخبوية».

لقد أضحى الحديث عن الإسلام يشكل وجبة دسمة في مختلف وسائل الإعلام الغربي، والتي برعت في إلصاق تهمة العنف والإرهاب به وبأتباعه، مما فاقم من حدة الاهتمام والمتابعة لكل ما يرتبط بالعالم الإسلامي، الذي أمسى منبع الخوف والريبة بالنسبة إلى

الغربيين. ولاشك في أن الإعلام الغربي، بما يمتلكه من إمكانات جبارة وقوة الجذب والتأثير، قد استطاع أن يجعل الشأن الإسلامي ضمن اهتمامات الإنسان الغربي، الذي أصبح في الآونة الأخيرة ينظر إلى المسلم في الديار الغربية نظرة حذر وارتياب وخوف. ولذلك، باتت الصور الكاريكاتيرية العنصرية، واللقطات الإعلامية السلبية أكثر الصور انتشارا وذيوعا، وأمست الآلة الإعلامية الغربية لا تجد غضاضة في نهج مختلف السبل لعرض الإسلام وتحليله وتصويره بشكل يجعله «معروفا»، وفق طريقتها، للقراء والمشاهدين الغربيين، فتكونت من جراء ذلك صور مشوهة عن ديننا تهم كل مجالاته وتعاليمه ومبادئه تكرست في أذهان الغربيين وأمست شيئا مألوفا، فأصبحنا نقرأ ونسمع أوصافا فظيعة وتهما مكذوبة وأراجيف مختلفة توجه ضد الإسلام والمسلمين، وتعمل على تشويه الصورة وتزييف الحقائق من خلال الكتابات الاستشراقية ومواد الموسوعات ودوائر المعارف وكتب المناهج الدراسية الغربية، فضلا عن وسائل الإعلام بمختلف مكوناتها: المكتوبة والمرئية والمسموعة.

أبرز أسباب التشويه الإعلامي الغربي لصورة الإسلام والمسلمين

لم يكن صعبا على مختلف مكونات الإعلام الغربي في فترة من الفترات العمل على إشاعة الخوف من الإسلام، وإحداث نوع من الإقناع لدى الإنسان الغربي بأن الإسلام دين مخيف. ولذلك، تم العمل على إيجاد صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين تجرد الإسلام من كامل خصائصه وملامح حضارته الإنسانية.

والواقع أن هناك أسبابا وبواعث كثيرة تدفع الإعلام الغربي، بمختلف مكوناته، إلى تشويه صورة الإسلام والمسلمين، لعل أبرزها ما يلي:

أولا - الجهل وسوء الفهم

تقوم مختلف مكونات الإعلام الغربي، المرئية والمسموعة والمكتوبة، بإمداد القراء والمشاهدين بالأفكار المغلوطة والصور الذهنية السلبية عن الإسلام والمسلمين، مما هو ناتج، في بعض الأحيان، عن جهل مطلق بحقائق الإسلام وتعاليمه، وسوء فهم كبير لقيمه وثقافته المتميزة. إن سوء فهم الغربيين للإسلام يرجع -أحيانا- إلى حرص المسلمين على تمسكهم بمبادئ الإسلام وأن تكون حاكمة لهم في جميع مناحي الحياة، وهذا ما يجعل الغربيين لا يفهمون الإسلام إلا من خلال هذه المظاهر والمشاعر الدينية التي يرونها غير منسجمة مع قيم الغرب الحداثية. لذلك، فسوء الفهم يرجع أساسا إلى وجود ميل متواصل لافتراض أن المعايير والقيم الغربية هي المرجع الوحيد في أي تحليل أو حكم على الأشياء، وأن مثل هذه المقاربة تركز بشكل رئيسي على تحليل نقط الاختلاف بين الإسلام والثقافة الغربية. ويلاحظ أن البحث عن نقاط الخلاف لا يهدف إلى فهم سلوك المسلمين، وإنما من أجل التأكيد على الاختلاف والتمايز، والتشديد -ضمنا- على تفوق الثقافة الغربية. ويرى بعض الباحثين الغربيين المنصفين أنه من أجل إزالة سوء الفهم المتبادل لابد من الاعتراف البصير والمتسامح بمساحات الاختلاف بين الثقافتين الإسلامية والغربية، فليس أمينا ولا راغبا في بناء علاقات سوية وواقعية من يتجاهل الاختلاف بين الحضارتين أو ينكره (١).

كما أن من أكبر أسباب الجهل وسوء الفهم لدى الغربيين بالإسلام أن كثيرا من الحقائق والتعاليم والقيم الإسلامية بقيت غير معروفة، خصوصا تلك القيم والمثل المرتبطة بوسطية الإسلام وسماحته، ودعوته الخالدة إلى الحوار والتعايش، ونبذ العنف والتطرف، وربما لو عرفها عموم الغربيين لكان لها أكبر الدور في تحسين صورة الإسلام وإزالة سوء الفهم الموجود اليوم.

ثانيا - الإرث الاستعماري

يمكن التأكيد على أن واقع الاستعمار الغربي للدول الإسلامية كان منبعا أصيلا لكثير من الصور الزائفة التي صنعها الغرب، وهي الصور النمطية التي عادت لتزكي وتبرر المخيلة الغربية نزعة الاستعمار والاستعلاء والرغبة المستمرة في الاحتواء، وذلك بصناعة صورة الآخر عن الإسلام وحضارته، تلك الصورة التي نمت مكوناتها لتبرر للغرب نفي الآخر الإسلامي من جهة، ولتشحن الشعوب غير الإسلامية بالعداء للإسلام. يقول المؤرخ الفرنسي ذو الكتابات المنصفة عن الإسلام مارسيل بوازار Marcel Boisard: «إن كتابات المستشرقين -عدا بعض الاستثناءات النادرة- لم تسهم في تصحيح فهم الإسلام أو إعادة تدقيق الصورة التي كانت

لدى الرأي العام الغربي إلى نصابها الصحيح، لأن الاستشراق كان في الأصل أحد الفروع العلمية المرتبطة بالعلوم الاستعمارية....» (٢).

ثالثا - أفعال وتصرفات بعض المسلمين المتطرفة

ينبغي ألا ننكر أن أفعال وسلوكيات بعض فئات المسلمين تغني -أحيانا- عن مساهمة الإعلام الغربي في تشويه صورة الإسلام، فتكون تلك التصرفات كافية لكي يحصل الخلط لدى الآخرين بين مبادئ الإسلام وتعاليمه وتصرفات بعض المسلمين التي يتبرأ منها الإسلام والتي تسهم في ترسيخ صور نمطية سلبية عن الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين.

وهكذا، فإن الإعلام الغربي يصر على الربط بين ظاهرة الأصولية الإسلامية، وحركة التدين بصفة عامة، مع الإصرار على التركيز على بعض السلبيات، مثل: الغلو والتشدد والتطرف وأحداث العنف، من جانب هذه الجماعات عند الربط بينها وبين الإسلام والمسلمين.

ويؤكد الباحث الفرنسي فرانسوا بورغا Francois Burgat على أن الإعلام الغربي يبرز وجها سيئا للإسلام من خلال تصرفات بعض المسلمين المتطرفة، ولا يبرز الوجه الإيجابي، كما أنه يتم التركيز على العناصر والحركات غير المنضبطة، والتي لا تعبر إطلاقا عن مجمل الظاهرة الإسلامية، فعمليات خطف الرهائن والتفجير وأعمال العنف الناشئة عن سوء الفهم لحقيقة الإسلام في مبادئه وتعاليمه وقيمه، كلها تدفع الإعلام إلى استغلالها والتركيز عليها وبالتالي يتم الربط بينها وبين الإسلام (٣). وعلى الرغم من اعتراف كثير من وسائل الإعلام الغربية بنتيجة الحكم على الإسلام من خلال تصرفات طائشة وسلوكيات عنيفة لبعض المنتسبين إلى الإسلام، فإن واقع صورة الإسلام والمسلمين في الإعلام الغربي يظهر تمادي جل الوسائل الإعلامية الغربية في تبني أسلوب الخلط المتعمد، علما بأن الجميع يقر بأن ظاهرة التطرف والغلو تمس جميع الديانات والحضارات وليس الإسلام فحسب.

رابعا - الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)

تعتبر لفظة الإسلاموفوبيا Islamophobie المصطلح الأكثر تعبيرا عن عقدة الخوف والهلع من انتشار الإسلام ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية. وتدل اللفظة في القواميس النفسية على الخوف المرضي والرهبة والخوف اللاشعوري (٤). وفي الاصطلاح العام تدل اللفظة: على ما تم ترسيبه وإشاعته من قلق مرضي وخوف نفسي لا شعوري لدى الغرب من الإسلام وكل ما يتصل به. وينتعش هذا المصطلح أكثر عندما يحتد العداء الغربي للإسلام، ويظهر من خلال القيام بحملات تشويهية لصورة الإسلام والمسلمين، خصوصا عبر الإعلام الغربي لكل مكوناته. إنه مصطلح جامع لعمليات التشويه المشحونة بالدسائس والأكاذيب ضد الإسلام وحضارته.

ويمكن إجمال أسباب تفاقم واستمرار الخوف من الإسلام في ما يلي:

- قدرة الإسلام على الانتشار والامتداد. فالغربيون يعترفون، مع شيء من الحيرة والدهشة، بأنه فعلا هناك ما يخيف في الإسلام كدين كاسح له قابلية التنامي والانتشار بسرعة مذهلة.
- إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة، وبكل تلقائية وطواعية واقتناع، مما يدفع إلى التخوف من احتمال تناقص أتباع المسيحية لمصلحة الإسلام.
- تزايد أعداد العرب والمسلمين وأبنائهم وأحفادهم في البلدان الغربية، ودخول نخبة منهم تحت قبة البرلمانات الغربية، مما يدعو الغربيين إلى التوجس من احتمال بروز دور قوي للجاليات العربية والإسلامية في القرارات السياسية للدول المضيفة. إن اللافت للنظر والداعي للاستغراب أن بقية الأديان في العالم لا ينظر إليها مثل ما ينظر إلى الإسلام كدين مخيف وعدواني، فأتباع البوذية والكونفوشية والهندوسية كثر في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، لكنها لا تلقى ما يلقاه الإسلام من إقصاء وتخويف وتشويه.

هكذا إذن يتبين بوضوح أن ثمة أسبابا تكمن وراء التحامل الإعلامي الغربي ضد الإسلام والمسلمين، وهي الأسباب التي يمكن التأكيد على أن تبديدها ومواجهتها ليس بالأمر الهين، خصوصا أنها تبدو متجذرة في المخيلة الغربية التي أضحت لا تصدق إلا ما هو سلبي تجاه الدين الوافد عليها. ويبقى مع ذلك واجب العمل على تصحيح الصورة قائما لابد أن تقوم به كل جهة تستأنس من نفسها القدرة على تحسين صورة الإسلام والمسلمين.

الهوامش

١- جون سيوزيتو، التهديد الإسلامي: خرافة أم حقيقة، طبعة القاهرة، ص٣١٤.

٢ - M. Boisard : l'humanisme de l'Islam. Paris ١٩٩٢p ٣٨.

٣ - Francois Burgat : L'Islam au Maghreb--ed Karthala ١٩٨٨ ١٢٠ p.

٤ - د. أسعد زروق، موسوعة علم النفس، طبعة بيروت ١٩٧٩، مادة فوبيا.

د. رضا رضوان
أستاذ القانون الجنائي

الخطأ الطبي في جراحة زرع الأعضاء البشرية

يسجل الطب الحديث نجاحات مبهرة في جراحة زرع الأعضاء، سواء بنقل عضو من إنسان وزرعه في آخر، أو نقل عضو من حيوان وزرعه في إنسان. ونعلم أن هذه الجراحة يباشرها مهنيون متخصصون في العمل الطبي. ومهما قيل في خبراتهم وتميز في أدائهم المشمول بجل أصول علم الطب والعلوم ذات الصلة، إلا أنهم كحقيقة واقعة بشر غير معصومين من الخطأ، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ (البقرة: ٢٨٦). والمعصوم صلوات الله وسلامه عليه مستثنى من ارتكاب الأخطاء، وكيف لا يكون كذلك وقد قال فيه رب العزة: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ (النجم:٢-٥).

ينبغي في الجراحة الطبية المختصة بزرع الأعضاء ألا تخرج على قواعد الشريعة، فإن توافرت شرعية الجراحة صارت عملا مباحا، ينبغي عند ممارسته التزام الجراح الأصول العلمية المتعارف عليها في علم الطب الجراحي، باذلا العناية المتطلبة لتحقيق الغرض من التطبيب، دون تقصير أو إهمال، وإلا أضحى مسؤولا عن خطئه الطبي، إذا وقع.

وشرعتنا تقرر عقوبة على الخطأ الطبي الجراحي في مجال زرع الأعضاء، شأن أي خطأ طبي يقع بإهمال أو عدم احتياط من القائم عليه؛ ويعاقب بالتالي الطبيب المخطئ، وجزاؤه تنظمه أحكام الدية في الشريعة، ولقد نص الشارع سبحانه وتعالى على التزام المخطئ بهذه الدية، وقد اختلف فقهاؤنا، قديما وحديثا، في مقدار دية المرأة المجني عليها بين من قال باستحقاقها نصف دية الرجل، ومن يرى باستحقاقها الدية كاملة مساواة بالرجل، وهذه إحدى معضلات الاجتهاد الإسلامي المعاصر.

زرع الأعضاء

مع تقدم الطب، وإلحاح الإنسان الدائم على الرغبة في الاستمرار في الحياة، والدعم التكنولوجي للعلوم الطبية، تطورت زراعة الأعضاء. ومنذ نجاح عملية نقل دم إنسان إلى آخر، فكر الأطباء في نقل الأعضاء السليمة وزراعتها لدى المحتاجين إليها. وتؤكد التقارير العلمية الحديثة أن عمليات زرع الأعضاء تنمو بصورة إيجابية وصحية. ولقد أضحت هذه العمليات، بعد خمسين سنة من الممارسة العملية الأولى، تقنية طبية حديثة أكثر فاعلية في علاج المرض، وذلك بالاستعاضة عن الأعضاء البشرية التالفة أو الفاشلة بأعضاء صالحة، ومع اطراد النجاح، ازدادت طلبات الحصول على الأعضاء. إن النجاح يظهر تباعا خصوصا في زراعة الكلى، وقد شجع هذا تناول أعضاء أخرى بزراعتها مثل القلب والكبد والنخاع، حسب ما أظهرته تقارير المراكز الطبية العربية، وفي مقدمتها الجمعية الكويتية للتبرع بالأعضاء التي تأسست في العام ١٩٨٤م، ويذكر أن الكويت كانت من أوائل الدول في المنطقة العربية في زراعة الأعضاء، وقد سجلت تفوقا ملحوظا في مجال هذا النشاط الطبي المتخصص، يشهد على ذلك مركز حامد العيسى لزراعة الأعضاء الذي أنشئ في العام ١٩٨٦م، والذي لم تتوقف أنشطته عن التحديث في ضوء جديد العلم والتكنولوجيا الفائقة التطور. وبصفة

عامة أصبحت زراعة الأعضاء صناعة قائمة مدعومة بالبحوث والدراسات الطبية المتخصصة في مجال تطوير وتحسين واستخدام الطرق الجراحية الحديثة لنقل الأعضاء.

هذا ومع استمرار عجلة تطور علم الطب لم يعد نقل الأعضاء مقتصرا على المصدر البشري، بل تعداه إلى زرع أعضاء الحيوان في الإنسان، ويغني عن الذكر ما سجلته تقنية المورثات، التي فتحت مجالات لزراعة مورثات حيوانية أو نباتية في جسم الإنسان.

شرعية زرع الأعضاء

نقل الأعضاء وزرعها بحثها الاجتهاد الإسلامي المعاصر، وأصدرت المجامع الفقهية فتاويها بإباحتها وجواز ممارستها بصفة عامة مع بعض القيود والشروط. فقد أصدرت هيئة كبار العلماء بالرياض قرارها برقم ٩٩ في ١٤٠٢/١١/٦ هـ بجواز نقل عضو أو جزء منه من إنسان حي أو ميت مسلم أو ذمي إلى نفسه أو غيره إذا اضطر إلى ذلك، وأمنت الفتنة في نزعه لمن أخذ منه، وغلب على الظن نجاح زرعه في من سيزرع فيه، كما يجوز كذلك تبرع الإنسان الحي بنقل عضو منه أو جزئه إلى مسلم مضطر إلى ذلك. كما أجاز المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة نقل الأعضاء البشرية وزراعتها، في دورته الثامنة المنعقدة بين ٢٨/ ٤/ ١٤٠٥ و١٤٠٥/٥/٧ هـ على النحو السابق في قرار هيئة كبار العلماء. كذلك أجاز المجمع الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي في دورته المنعقدة في جدة سنة ١٤٠٨ هـ نقل الأعضاء البشرية وزراعتها على النحو السابق في قراري هيئة كبار العلماء ومجمع الفقه الإسلامي برابطة العالم الإسلامي. وكانت قد أفتت هيئات إسلامية عدة بجواز نقل وزراعة الأعضاء، بدول عديدة منها الإمارات والكويت ومصر. فقد أفتى فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي العام ١٩٨٧م بإباحة الاستفادة بجميع أعضاء جسد المتوفى في حادث أو بطريقة عادية إذا كانت هناك ضرورة ومنفعة للمريض المنقول إليه العضو من المتوفى شريطة أن يحكم بذلك طبيب ثقة متخصص، ودون الرجوع إلى الورثة أو النيابة العامة، لأن الضرورات تبيح المحظورات، وأضاف فضيلته أن بيع الأعضاء البشرية كالكلى والعين حرام شرعا لأن جسم الإنسان ليس ملكا له بل هو ملك لله عزوجل. أما التبرع بها فجائز شرعا، دون مقابل مادي.

كانت لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، قد أيدت نقل الأعضاء، بموجب فتواها رقم (١٣٢/ ٧٩) بتاريخ (٣١/ ١٢/ ١٩٧٩)، حيث قررت بأنه «إذا كان المنقول منه ميتا جاز النقل، سواء أوصى أو لم يوص، ويقدم الموصى له أو من سمحت أسرته بذلك عن غيره، أما إذا كان المنقول منه حيا، فإذا كان الجزء المنقول منه يفضي إلى موته كان حراما مطلقا، سواء أذن أو لم يأذن، وإن لم يكن الجزء المنقول منه مفضيا إلى موته، ولكن فيه تعطيل له عن واجب، أو فيه إعانة المنقول إليه على محرم كان حراما أذن أو لم يأذن، وإن لم يكن فيه ذلك أو كان النقل بغير إذنه يكون حراما وإن كان بإذنه جاز».

وبوجه عام يكاد يكون هناك اتفاق بين أكثرية علماء المسلمين في العصر الحاضر على جواز زراعة الأعضاء البشرية بعد نقلها من أجسام حية أو ميتة لمصلحة المنقولة إليهم من المرضى، وهذا هو السائد في مجمعي الفقه الإسلامي الرابطي والدولي اللذين يضمّان أعضاء من كافة دول العالم الإسلامي.

يذكر أنه تم مناقشة وبحث مسألة نقل الأعضاء من الحيوان إلى الإنسان، وحيث حسمت المسألة، من زاوية مدى استفادة الإنسان من نقل أعضاء الحيوان إليه في حالة حاجته لهذا النقل نتيجة مرضه. فالقرآن بيّن أن الله خلق الحيوان لمنفعة الإنسان، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥﴾ (النحل:٥). والمنافع جمع منفعة، وهي اسم عام يقصد به الخير للإنسان، وبهذا المعنى فإن استفادة الإنسان من الحيوان للعلاج مما يدخل في المنفعة. وقد دلت أقوال الفقهاء على طهارة عدد من الحيوانات والحشرات فلهذا يجوز استعمالها في الطب لمنفعة الإنسان حين تنزل به ضرورة أو حاجة تؤدي به الى المشقة. فإذا كان شعر الخنزير مثلا مما يمكن الانتفاع به في الخرز (كما يقرر بعض الفقهاء)؛ فإن الانتفاع به في حال المرض أوعى وآكد. وإذا كانت الديدان ونحوها تعد طاهرة وحلالا في الأكل (على قول بعض الفقهاء)؛ فإن الانتفاع بها في حال المرض أوعى وآكد... أما ما نزل من القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة بتحريمه نصا كالميتة ولحم الخنزير، فإن إباحته في الطب يجب أن تبنى على الضرورة استدلالا بقول ربنا: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (البقرة:١٧٣).

صدرت قوانين في العديد من الدول العربية والإسلامية، تناولت تنظيم زرع الأعضاء، منها القانون الكويتي رقم ٥٥ لسنة ١٩٨٧م، والقانون المصري رقم ٥ لسنة ٢٠١٠م، حيث صاغت النصوص أحكام نقل الأعضاء وزرعها كممارسة طبية مباحة، ونظمت النصوص، بالإضافة إلى ضوابط عملياتها، وإجراءات مباشرتها وعقوبة مخالفة أحكام القانون. وبصفة عامة استندت القواعد القانونية إلى ما استقر عليه الاجتهاد الإسلامي.

الخطأ الطبي

مزاولة مهنة الطب والجراحة بوجه عام مقيدة بثلاثة قيود:

القيد الأول موضوعي: وهو حسن، أي أن تكون الغاية هي العلاج. فإن خرج الطبيب على هذه الغاية يكون قد خرج على حدود الشرعية فيسأل عن جريمة عمدية.

والقيد الثاني شكلي أو تنظيمي: وهو ضرورة الحصول مسبقا على «ترخيص» قانوني من الجهة المختصة

لمزاولة المهنة.

والقيد الثالث عرفي: وهو ضرورة الحصول على إذن المريض أو المصاب صراحة أو دلالة وبخاصة في الحالات الخطرة.

إن حق الطبيب أو الجراح محدود بضرورة مراعاة القواعد الأساسية التي يعترف بها علم الطب وجراحاته، ومن ثم فإنه يسأل جنائيا عن نتائج فعله بوصفها جرائم غير عمدية إذا أهمل أو أخطأ في مراعاة هذه القواعد، ويسمى الخطأ عندئذ الخطأ الفني أو المهني.

إن القائم على ممارسة عمليات زرع الأعضاء كما نعلم هو طبيب مجاز علميا تتوافر لديه خبرة أداء مثل هذه العمليات الدقيقة الخطرة في معظم تطبيقاتها الفنية. وكانت وسائل الإعلام وتقارير بعض الهيئات القضائية قد أشارت إلى وقوع أخطاء طبية، أودت بحياة بعض الأشخاص في حالات، وحالات أخرى تخلف عنها أضرار جسيمة متمثلة في العاهة المستديمة، كل ذلك ناشئ عن أخطاء مهنية... ثبت في بعض الوقائع إخلال القائم على الجراحة بما تفرضه أصول المهنة وقواعدها المقررة الثابتة، وقد انطوت بعض الحالات على الإخلال بالأصول المتعارف عليها في الأداء الاحترافي لهذه العمليات التي تتطلب مهارات خاصة.

إن هذه الأخطاء يطلق عليها في علم القانون «الأخطاء الجنائية غير العمدية»، وهذه تأخذ إحدى صورتين: (الأولى): الخطأ العادي وهو الحالة الذهنية لدى الفاعل الذي «لا يتوقع» النتيجة الإجرامية أي المعاقب عليها والتي أدى إليها سلوكه الإرادي، وكان بوسعه أو كان يجب عليه أن يتوقعها. فخطؤه كامن إذن في أنه لم يتوقع هذه النتيجة وبالتالي لم يتخذ ما كان يجب عليه من الحيطة والحذر مما يكفل تجنب حدوثها.

(الثانية): الخطأ الواعي أو مع التبصر. والخطأ هنا خطأ جسيم، ذلك أن الفاعل «يتوقع» النتيجة الإجرامية بالفعل، ولكنه يحسب أن بوسعه تجنبها. كما أن الجراح الأرعن أو المتهور، الذي لم يأخذ في اعتباره مستجدات علم المناعة، بشأن تقنيات مواجهة ظاهرة رفض العضو المغروس في جسد آخر، مثل الكلى وغيرها مما هو سائد في تقنيات غرس الأعضاء، كما رصدت حالات أخطاء عند زرع أعضاء من الحيوان في الإنسان نظير عدم متابعة الطبيب الجراح أحدث تقارير المجتمع العلمي في طب زراعة الأعضاء، والتي تحظر نقل أعضاء معينة من الحيوان إلى الإنسان، مما أسفر عن حدوث عاهة مستديمة.

عقوبة الخطأ الطبي

قد ينتج عن خطأ الطبيب أو جراح زرع الأعضاء، الوفاة أو الإصابات بأنواعها المختلفة. هنا يثار التساؤل حول الجزاء المقرر شرعا!

لا شك- حسب التشريع الجنائي الإسلامي- يطبق على المخطئ أحكام الدية، وهي مقررة بالكتاب والسنة والإجماع.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ (النساء: ٩٢).

كتب رسول الله ﷺ إلى أهل اليمن كتابا، فيه الفرائض والسنن والديات، وبعث به عمرو بن حزم، فقرئت على أهل اليمن نسختها من محمد النبي ﷺ إلى شرحبيل بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال، والحارث بن عبد كلال، قبل ذي رعين ومعافر وهمدان، وكان في كتابه أن من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة، فإنه قودٌ،إلا أن يرضى أولياء المقتول. وأن في النفس الدِّيةُ مائةٌ من الإبل، وفي الأنف إذا أُوعب جدعُهُ الدية، وفي اللسان الدية، وفي الشفتين الدية، وفي البيضتين الدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية، وفي الرِّجْل الواحدة نصفُ الدية، وفي المأمومةَ ثلثُ الدية، وفي الجائفة ثلثُ الدية، وفي المُنَقِّلة خمس عشرة من الإبل، وفي كل أصبع من أصابع اليد والرِجْل عشرٌ من الإبل، وفي السِّنِّ خمس من الإبل، وفي الموضحة خمسٌ من الإبل، وأن الرَّجُل يُقتل بالمرأة، وعلى أهل الذهب ألفُ دينار (١).

الدية في اصطلاح الفقهاء: قال ابن عرفة: «الدية مال يجب بقتل آدمي حر عن دمه أو بجرحه مقدرا شرعا لا باجتهاد» (٢)، ويعرفها الشربيني قال: «الدية هي المال الواجب بجناية على الحر في نفس أو فيما دونها» (٣). ويقول البهوتي هي: «المال المؤدي الى المجني عليه او وليه بسبب جناية» (٤). إذن الدية هي: مال مقدر شرعا، يؤدى للمجني عليه أو وارثه بسبب جناية على نفس الحر أو ما دونها. فالدية عقوبة ذات طبيعة تجمع ما بين الجزاء بتحميل الجاني تبعة تصرفه الخاطئ وكذلك إلزامه بالتعويض لجبر الضرر الذي يحيق بالمضرور.

نص رسول الله ﷺ- كما جاء في الحديث النبوي الشريف- على «أن من قتل خطأ فديته من الإبل مائة: ثلاثون بنت مخاض، وثلاثون بنت لبون، وثلاثون حقة، وعشرة ابن لبون ذكر» (٥).

وقد نص العلماء على أصول الدية، وهي: الإبل، والذهب والورق، والبقر، والغنم، والحلل؛ لحديث عطاء ابن أبي رباح: «أن رسول الله ﷺ قضى في الدية على أهل الإبل مائة من الإبل، وعلى أهل البقر مائتي بقرة، وعلى أهل الشاء ألفي شاء، وعلى أهل الحلل مائتي حلة، وعلى أهل القمح شيئا لم يحفظه محمد» (٦).

دية المرأة المجني عليها

ساوى الشارع الحكيم بين الذكر والأنثى في المسؤولية الجنائية والمدنية، وفي الولاية على المال والعقود؛ وجعلها الإسلام مستقلة بجميع تصرفاتها، قال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ

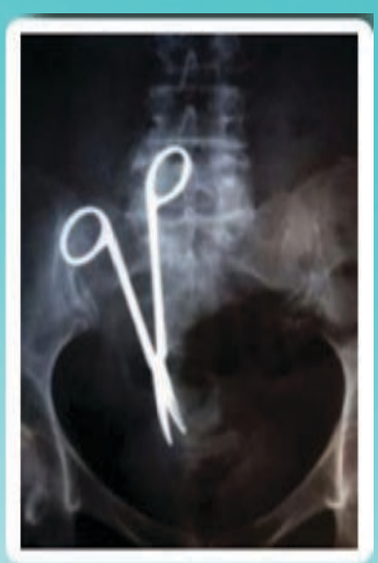

إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ (النساء: ٦). إن الإسلام حرص على أن يعطي المرأة الأهلية الكاملة ولم ينقصها من أهليتها مقدار قنطار. ساواها بالرجل في جوانب عديدة وفرق بينهما في أمور أخرى، ومن المؤكد أن هذا التفريق لا علاقة له بالمساواة في الكرامة الإنسانية أو الأهلية والحقوق، وإنما لضرورات نفسية واجتماعية. وعلى الرغم من اتفاق الفقهاء على بعض الجوانب التي افترقت فيها المرأة عن الرجل، لضرورات اجتماعية ونفسية، إلا أنهم اختلفوا في جوانب أخرى، ومن هذه الجوانب دية المرأة أتكون مساوية للرجل، باعتبار إنسانيتها الكاملة، وأهليتها الحقوقية أم على النصف من دية الرجل لضرورات اجتماعية؟

اختلف العلماء في هذه المسألة، على رأيين:

الرأي الأول: دية المرأة نصف دية الرجل.

يأخذ بهذا الاتجاه فقهاء المذاهب الفقهية الإسلامية: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة سواء كان مجنيا على نفسها أو على أحد أعضائها. فمن مذهب الحنفية، جاء في المبسوط: «بلغنا عن علي، أنه قال: في دية المرأة على النصف من دية الرجل في النفس وما دونها، وبه نأخذ» (٧)، وفي مذهب المالكي، جاء في التلقين: «والدية تختلف باختلاف حرمة المقتول ودينه، فدية المسلم الذكر هي الدية الكاملة، وقد بيّناها، ودية المرأة المسلمة نصفها، ودية الكتابي الذكر كدية المرأة، ودية إناثهم نصف دية ذكورهم» (٨). أما عند الشافعي، فقد نص في المذهب: «ودية المرأة نصف دية الرجل، لأنه روي ذلك عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن عباس، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم» (٩). والمذهب الحنبلي، نص في كشاف القناع: «ودية المرأة مسلمة كانت أو كافرة، نصف دية رجل من أهل دينها، حكاه ابن المنذر، رواه ابن عبدالبر إجماعا» (١٠).

واستدلوا بالأدلة النقلية، عن فقهاء الصحابة أنهم اتبعوا سنة المصطفى ﷺ بجعله للمرأة نصف دية الرجل، وقد انعقد إجماعهم على ذلك، محتجين بالسنة النبوية الشريفة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن النبي ﷺ: قال: «دية المرأة على النصف من دية الرجل» (١١).

الرأي الثاني: دية المرأة تساوي دية الرجل.

وهو على النقيض من الرأي الأول، فقد ذهب الظاهرية وبعض فقهاء المعتزلة، وجمهرة كثيرة من الفقهاء المعاصرين، بالتوسعة في دية المرأة، واعتبارها قبل دية الرجل. ومن أقوى حججهم، ما جاء في الكتاب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ (النساء: ٩٢)، وأجمعوا على أن هذه الآية، دخل فيها حكم الرجل والمرأة، فوجب أن يكون الحكم فيها ثابتا بالسوية (١٢). وما نصت عليه السنة، بقوله ﷺ: «في النفس المؤمنة مائة من الإبل» (١٣)، باعتبار أن «النفس» ذات لفظ مطلق، ينطبق على الرجل والمرأة، فهما سواء بسواء في الدية المفروضة.

وتدق أهمية التوصل إلى رأي بات في هذه المسألة الخلافية، خاصة مع قوة رأي الفريقين، وكذلك للحاجة العلمية التطبيقية بالنسبة للأنظمة المطبقة لنظام الدية في جرائم الخطأ غير العمدي، كما هو حال دولة الإمارات، إذ اختلفت الأحكام ما بين المحكمة الاتحادية العليا، ومحاكم الإمارات، خصوصا محكمة التمييز بدبي (١٤)... ولا شك أن حسم هذه المسألة سيكون له انعكاساته على مقدار دية المرأة المجني عليها في الخطأ المهني الطبي غير العمدي في مجال زرع الأعضاء إذا ما أثيرت قضاياه أمام القضاء المختص... وصدق رب العالمين إذ يقول في محكم تنزيله: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم﴾ (الأحزاب:٥).

الهوامش

(١) أخرجه النسائي في سننه، كتاب القسامة، في ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلة عنه: ج ٨ ص ٥٨. وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب العقول، باب ذكر العقول: ص ٤٧٤، وأخرجه البيهقي في سننه، كتاب الديات، باب دية النفس: ٨ ص ٧٣.

(٢) شرح حدود ابن عرفة (٦٢١/٢).

(٣) مغني المحتاج (٥٣/٤).

(٤) حاشية الروض المربع (٢٢٩/٧).

(٥) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٥٤١). كتاب الديات، باب: الدية كم هي؟ والنسائي في سننه عن ابن مسعود برقم (٤٨٠٤).

(٦) رواه أبو داود في سننه برقم ٤٣ ٤٥ كتاب الديات، باب: الدية كم هي؟ ومحمد هو ابن إسحاق، راوي الحديث عن عطاء.

(٧) للسرخسي: ج ٢٦ ص ٧٨.

(٨) للقاضي عبد الوهاب البغدادي: ص ٤٨١.

(٩) للشيرازي: ج ٢ ص ٢٥، روضة الطالبين للنووي: ج ٧ ص ١٢١

(١٠) للبهوتي: ج ٦ ص ٢٠، ومطالب أولى النهي للرحيباني: ج ٦ ص ٦٦.

(١١) أخرجه البيهقي في سننه، كتاب الديات، باب ما جاء في دية المرأة: ج ٨ ص ٩٥.

(١٢) تفسير الفخر الرازي، ج ١٠ ص ٢٣٣.

(١٣) نقلا عن المغني لابن قدامة: ج ٧ ص ٧٩٧.

مكانة الصحابة الملزمة للمعرفة

أحمد علي صالح
كاتب دراسات إسلامية

مكانة الصحابة رضوان الله عليهم من القضايا التي لها أهمية خاصة لدى كل مسلم في هذا العصر وغيره، إذ الصحابة عنصر مهم في بناء وتطور المجتمع الإسلامي، ليس فقط لكثرتهم العددية يوما بعد يوم منذ بدء الدعوة، وإنما لأهمية الوظائف المتعددة التي قاموا بها في كافة المجالات المختلفة، وتأسيهم برسول الله ﷺ في متغيراتهم الزمنية، وهو ما أدى بفقهاء كل عصر إلى بذل الجهود وتعدد المحاولات من أجل معرفة مكانتهم وفضلهم وحكمة مواقفهم لاستلهام النموذج والعبرة والطريق الرشيد.

ضرورة معرفة المسلمين لفضائل الصحابة

إن المسلمين اليوم هم في أشد الحاجة إلى معرفة فضائل الصحابة، وكريم معدنهم، وأثر تربية رسول الله ﷺ فيهم، وما كانوا عليه من علو المنزلة، التي نالوا بها ثناء الله تعالى عليهم. خصوصا فيما عليه المسلمون اليوم في أنحاء المعمورة من الضعف، وتسلط الأعداء، والتحكم فيهم.

بينما الحل بين أيديهم متمثل في التمسك بصحيح دينهم ومبتغاه، واقتفاء أثر نبيهم والاهتداء بهديه، وسبل الرشاد التي بذلها أصحابه في وظائفه المتنوعة، وابتكارهم وتجديدهم فيها، وهو ما يذكرنا الآن بكيفية الاستعداد وآلات الحرب التي يمتلكها أعداؤهم بما في ذلك من الاطلاع والإضافة على علوم الغرب، وهو مما برع فيه الصحابة، فضلا عن دلالة تطور ذلك الأمر في صناعة المعرفة والتقدم العلمي وهما لغة هذا الزمان.

يضاف لتلك الطبيعة العصرية في استلهام فضائل الصحابة، ما هو معروف ومؤسف من أن أخبار أولئك الأخيار قد طرأ عليها من التحريف والبتر والزيادة، وسوء التأويل والأغراض من قلوب قد شحنت بالغل على أفاضل هذه الأمة، فأنكرت عليهم حتى نعمة الإسلام.

وفي هذا حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وكون هذه الفرق من أهل الوعيد، ومستوجبة دخول النار؛ لبعدها عن السير على منهج النبي ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – والفرقة الوحيدة الناجية هي الفرقة التي كانت تسير على ما كان عليه العمل في عهد النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم (١).

ضرورة اقتفاء آثار الصحابة رضوان الله عليهم

لذا قد صار الآن فرضا من الفروض على كل من يستطيع تصحيح تاريخ صدر الإسلام على طريقة المحدثين، ووضع ذلك بين يدي شباب هذه الأمة حتى يكون ذلك قدوة لهم، ودافعا إلى النهوض بالأمة إلى ما فيه عزتها ورفعتها (٢).

وفي تلك القدوة وتعدد نماذجها لن نجد أفضل ممن كانوا بطانة خاتم الأنبياء والمرسلين، وهم من أصلح أهل زمانه بطبيعة الحال، إذ واجهوا الموت في سبيل الدعوة، واستمروا حاملي أكفانهم من أجل إتمام مسيرتها بعد وفاته، وبلّغوا الأمة الإرث المحمدي من غير زيادة ولا نقصان، فهم على ما تركهم نبيهم متمسكين به، أما التبديل والتغيير فقد أتى من الذين بعدهم، فبدلوا وغيروا في دين الله.

إذ لا صلاح للأمة – ونحن من الأمة – في دينها ودنياها، ولا عز، ولا نصر، ولا تمكين لها إلا إذا اقتفت آثار أصحاب النبي ﷺ وترسمت خطاهم في العبادة والاعتقاد والسلوك والاقتصاد والسياسة والدعوة والجهاد.

ويحصل لها من ذلك بقدر اتباعها لنبيها ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – يقول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ (الأنعام: ٩٠).

بل وكيف لا نقتدي بهم، وهم من حباهم الله تعالى أسمى المنازل الكريمة اللائقة بهم، وهو ما كان من منطلق النظر في قلوبهم، وعلم صلاحها وصدقها، وإخلاصها وطهارتها، لذا لم يكن غريبا أن يختصهم

بأفضل رسله، وأن يجعلهم أصحابه وأنصاره، وحملة دينه، ومبلغي شريعته، وأن يكونوا أول غرس للإيمان في هذه الأمة، حتى كانت أنوار الوحي التي نهتدي بها إنما جاءت منهم - رضي الله عنهم - حملوها وبلغوها، وتحملوا المكاره في تبليغها، وهجروا الراحة لأجلها وأجلنا، ولولاهم لما عرفنا الله تعالى حق المعرفة، ولولاهم لما عرفنا نبينا ودِيننا، ولولاهم لما عبدنا الله تعالى على بصيرة.

إذ هم من خص الله بهم نبينا محمدا ﷺ، وهم خير من وطئ الثرى بعد الأنبياء، فحملوا الدعوة بعد وفاته، فكانوا نجوم الهدى، وبدور التقى، نجوما لوامع، وبدورا طوالع، رهبانا الليل، وفرسانا النهار، كحلوا عيونهم بنور المصطفى ﷺ، وشرقوا بالإسلام وغربوا، حتى انتشر في كل البلاد والأصقاع، أنصارا نصروا الرسول ﷺ، ومهاجرين هاجروا في سبيل الله تاركين ديارهم وأموالهم.

ولهذا صح من قال: من سلك طريق الصحابة أفلح ونجح، ومن اتبع السبل تفرقت به عن سبيل محمد ﷺ، فاتباع الصحابة قربة وطاعة، ومخالفتهم ضلال في الدنيا والآخرة (٣).

كما صدق فيهم قول الشاعر:

عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا
فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا
ويضحك الدهر منهم عن غطارفة (٤)
كأن أيامهم من أنسها جمع (٥)
فما العز للإسلام إلا بظلهم
وما المجد إلا ما بنوه فشيدوا

ولهذا يمكننا أن نستعرض الآن، أهم السمات التي وضعت أمامنا إلزامية الاقتداء بهم، والعناية بتصحيح ما حرف عنهم، ومن ثم تحقيق فضائل التعرف عليهم لدى المسلمين في هذا العصر وغيره، وذلك عبر النقاط الأربع التالية:

أولا: الصحابة رضوان الله عليهم هم الأقرب للصواب:

مما لا شك فيه أن صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم - هم أقرب للصواب، وأبعد عن الخطأ، لأنهم حضروا التنزيل، وسمعوا كلام النبي ﷺ وتقريره منه، فهم أعلم بكلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأعلم بمقاصد الشريعة.

وفي ذلك ما هو معلوم من سنة الخلفاء الأربعة، وهي واجبة الاتباع بأمر النبي ﷺ ففي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» (رواه الإمام أحمد ١٦٦٩٢)، وغيره بإسناد حسن.

وفي هذا يتأكد الأمر في سنة الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر؛ فعن أبي قتادة رضي الله عنه في قصة مسيرهم مع النبي ﷺ، قال النبي ﷺ: «إن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا» رواه مسلم (٦٨١).

فإذا كان الرشد يحصل للصحابة بطاعة الصديقين، واتباع سنتهما من الصحابة مع ما لهم من المنزلة والفضل، فحصول الرشد لمن أتى بعدهم من باب أولى متى ما اتبعوا هديهما (٦).

ثانيا: الصحابة رضوان الله عليهم يقفون عند نصوص الوحي:

كون أصحاب النبي ﷺ يقفون عند نصوص الوحيين، يسلمون لها، ويمتثلون لها مباشرة من غير تسويف، أو توقف، سواء كان الأمر أمر إيجاب، أو أمر استحباب.

ويشتد نكيرهم على من أتى بعدهم ممن لا يمتثلون أمر النبي ﷺ بعد بلوغه لهم؛ فهذا عبد الله بن مغفل يرى رجلا يخذف، فقال له: «لا تخذف؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف، أو كان يكره الخذف، وقال:« إنه لا يصاد به صيد، ولا ينكى به عدو؛ ولكنها قد تكسر السن، وتفقأ العين».

ثم رآه بعد ذلك يخذف، فقال له: أحدثك عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن الخذف، أو كره الخذف، وأنت تخذف، لا أكلمك كذا وكذا (رواه البخاري ، ٥٤٧٩، ومسلم ،١٩٥٤).

فهم صحابة رسول الله ﷺ، قوم يسلمون لأمر الشارع، ولا يرضون من غيرهم إلا ذلك؛ لأنهم يعلمون أن من تمام الإيمان الواجب الامتثال والتسليم للشرع؛ ظاهرا وباطنا؛ يقول تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (النساء:٦٥).

ثالثا: الصحابة رضوان الله عليهم يعارضون كل من يعارض النصوص الشرعية:

صحة المعارضة ووجوبها للمخالفين من السمات البالغة الأهمية لحماية الدعوة والمجتمع، وفي ذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يشتد نكيرهم على من يعارض النصوص الشرعية بعقله القاصر أو بآراء الرجال؛ لأنهم يعلمون أن في ذلك الضلال المبين، والبعد عن الصراط المستقيم؛ فعن أبي قتادة العدوي، قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا، وفينا بشير بن كعب، فحدثنا عمران يومئذ، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء خير كله، قال: أو قال: الحياء كله

خير»، فقال بشير بن كعب: إنا لنجد في بعض الكتب، أو الحكمة أن منه سكينة ووقارا لله، ومنه ضعفا. قال: فغضب عمران، حتى احمرت عيناه، وقال: ألا أراني أحدثك عن رسول الله ﷺ وتعارض فيه ؟! قال: فأعاد عمران الحديث، قال: فأعاد بشير، فغضب عمران، قال: فما زلنا نقول فيه: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به) (رواه البخاري ،٦١١٧، ومسلم (٣٧).

إذ من يعارض النصوص الشرعية الثابتة بعقله، يؤتى من سوء فهمه واعتداده برأيه، فإن الأمر اختلط عند بشير بن كعب، فلم يفرق بين الحياء الشرعي، وبين الضعف الذي يعتري بعض الناس، وهذا واقع كل من يعارض النصوص الشرعية، ويحاول تطويعها لتوافق ما يراه الأفضل والأنسب لهذا الزمان بغير ذي حق.

بل وكيف يعارض شخص مقصر كثير الزلل والخطأ نصا ثابتا عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؛ يعارضه بعقله القاصر؟ يقول تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ (البقرة:٦١)، والله لا يصدر هذا إلا من شخص مخذول، استهوته شياطين الجن والإنس (٧).

رابعا: الصحابة رضوان الله عليهم هم صمام أمان الأمة:

والصحابة أيضا هم صمام أمان هذه الأمة في حياتهم، وبعد وفاتهم؛ فعن أبي موسى رضي الله عنه قال: رفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء، وكان كثيرا ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» (رواه مسلم ،٢٥٣١).

فالنجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت النجوم وتناثرت، ذهبت وقامت القيامة، والنبي ﷺ أمنة لأصحابه، فإذا ذهب أتى أصحابه ما يوعدون من الفتن، وارتداد من ارتد من الأعراب.

ولهذا يمكننا أن نرى الصحابة كيف كانوا أمنة لأهل زمانهم، فلم تظهر البدع وتشتد ويكثر الاختلاف والتفرق إلا بعد ذهاب عامتهم، وهم أمنة لهذه الأمة إلى قيام الساعة، وذلك باقتفاء أثرهم، وعدم مخالفتهم (٨).

الصحابة رضوان الله عليهم ليسوا معصومين:

هذا ومع كل ما قدمنا من ضرورة معرفة الصحابة واقتفاء أثرهم، فضلا عن سماتهم، إلا أنه بقي أن نشير في ختام دراستنا إلى أن الصحابة ليسوا معصومين، فهم بشر قد يقع الواحد منهم في الخطأ والزلل، ويعتريهم ما يعتري سائر البشر من الشهوات المحرمة، فربما غلب أحدهم شيطانه في حالة ضعف؛ لكنهم يخالفون غيرهم في أن الواحد منهم رجّاع للحق، لا يلج في معصية؛ بل يبادر بالتوبة، ولو كلفه ذلك حياته؛ فعن عمران بن حصين: أن امرأة من جهينة أتت النبي ﷺ وهي حبلى من الزنا، فقالت: يا نبي الله أصبت حدا، فأقمه علي، فدعا ﷺ وليها، فقال: «أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها»، ففعل. فأمر بها ﷺ فشدت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر رضي الله عنه: تصلي عليها يا نبي الله، وقد زنت ؟! فقال: «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى» (رواه مسلم ،١٦٩٦).

بل وما حصل بينهم من خلاف بعد وفاة النبي ﷺ حتى الاقتتال، كان الدافع وراءه الإصلاح، وتصحيح الأخطاء، فلم يكن لحظوظ دنيوية محضة، فكلهم مجتهدون مأجورون، فالمخطئ له أجر واحد، والمصيب له أجران، ولا يقدح ذلك في عدالتهم أو في كونهم قدوة لمن بعدهم، ومذهب أهل السنة والجماعة الترضي عنهم جميعا، وعدم الخوض فيما شجر بينهم (٩).

الهوامش

١- «الصحابة» للشيخ أحمد الزومان، ص ٦٦-٦٧ (بتصرف)- ط دار التراث.

٢- «شدة الحاجة إلى معرفة فضائل الصحابة رضي الله عنهم» للشيخ عبد الله محمد الغنيمان، ص ٢٠-٢٢ (بتصرف) - ط دار العلم للملايين.

٣- «الصحابة» ص ٧.

٤- الغطارفة: جمع غطريف، والغطريف: السيد السخي الكثير الخير.

٥- «مجموعة المعاني» عبد السلام هارون جـ ١ ص ٥٥٦ - ط دار الكتاب العربي.

٦- «الصحابة» ص ١٣.

٧- «معرفة الصحابة رضوان الله عليهم» للدكتور إبراهيم محمد الحقيل، ص ٤٥، ٤٦ - ط دار الريان.

٨- المرجع السابق، ص٢٥- ٢٦ (بتصرف).

٩- المرجع السابق، ص٣٣-٣٩ (بتصرف).

تجديد الخطاب العقلي في الآيات البينات

د. محمد الحجوي
أستاذ التعليم العالي - المغرب

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل:١٢٥)

القرآن المجيد هو كتاب هداية وإرشاد، ورسالة خاتمة من رب العالمين إلى الناس جميعا؛ ليكون مصدر العبادة والتشريع والقوانين التي تنظم حياة الناس في كل عصر ومكان، ومنبعا للمعرفة التي تنير العقول وتهذب المشاعر والأحاسيس. وقد أنزل الله كتابه على رسوله الأمين لينذر قوما كانوا في ضلال بعيد بعدما حرفوا ملة إبراهيم، عليه السلام، واتبعوا الشهوات والأهواء، ولم يهتدوا لمن يستحق العبادة، وهو الله خالق هذا الكون؛ فبعث رسوله ليحيي الملة التي فطر الناس عليها جميعا، ملة الإسلام ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الروم:٣٠).

إن الله سبحانه وتعالى أوجد في كل زمان ومكان فئة من الناس ملأ قلوبهم بالمحبة والفضيلة؛ فتراهم في المجتمع كالشمعة المضيئة تنير للناس طريقهم لفعل الخير واتباع سبل الرشاد، فيسعد من اقتدى بهم ويشقى من ظل عبدا لأهوائه. وهذه الأصوات تكون قليلة في سائر المجتمعات؛ لميل النفس الأمارة بالسوء إلى النزوات والشهوات؛ ولذلك يكون تأثيرها بطيئا، وقد عانى الرسل والمصلحون من هذا الصنف من الناس.

والخطاب الإلهي، الذي بشر به الرسل والأنبياء من عهد آدم عليه السلام إلى خاتم الرسل محمد ﷺ، واحد في نهجه وغاياته، وهو الدعوة إلى وحدانية الله والامتثال لأوامره والإيمان بكل ما أخبرنا به ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴾ (فصلت:٤٣). فكانت الآيات البينات التي نزلت على الأعراب في تلك المرحلة بردا وسلاما على النفوس المثخنة بالجراح، وبلسما وشفاء لقلوب طال عذابها وغارت جراحاتها في مستنقع الظلم والجور من سادة القوم الذين استعبدوا الضعاف وعاثوا في الأرض فسادا. في خضم هذا الوضع الممتلئ بظلم الأقوياء، وغياب شعلة الفضيلة والخير العام، أشرقت على المجتمع العربي رسالة الرحمة تبشر المستضعفين بتحريرهم من العبودية والاستغلال والظلم، وتدعو الطغاة إلى التوقف عن ظلم الناس والفساد في الأرض؛ فسمع العرب كلاما ما عهدوا مثله في شعرهم وخطبهم وأمثالهم، إنه كلام يهدي إلى الرشد والفضيلة والخير، فيه حلاوة الإيمان وطمأنينة النفوس وانشراح القلوب، تضمن شرائع وقوانين وأحكاما يسود فيها العدل وتعم المساواة كل الفئات وتحقق التكافل الاجتماعي والنهج الإصلاحي والتربوي الذي يجعل الأفراد متماسكين كأنهم بنيان مرصوص، إنه الكلام الذي غير العرب من الجبروت والأنانية والتعالي إلى الخشوع والتقوى والخشية من عذاب الله ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾ (الإسراء:١٠٩).

هذه هي رسالة الرحمة التي تبشر الذين تلين قلوبهم لذكر الله بالجنة والرضوان والنعيم، وتنذر العصاة بما ينتظرهم من عقاب أليم، إنها تكرم البشر وترفع شأنهم ولا ترضى لهم الكفر الذي يجعلهم كالبهائم في مسارحها، لا تدري ما يحيط بها وما ينتظرها. إن الإنسان مخلوق مكرم، أنعم الله عليه بالعقل والوجدان والشعور؛ لأداء رسالة نبيلة في هذا

الوجود، وهي عبادة الله وحده لأنه الخالق الرازق، والشكر على نعمه وأفضاله عليه، والإيمان الصادق بما أخبرنا به الرسل الذين بلغوا رسالات ربهم بالحق.

وإذا كانت هذه الرسالة الخاتمة قد خاطبت العرب، فإنها بدأت من بقعتهم الطاهرة لتمتد أنوارها إلى آفاق الأرض بفضل جهاد المصطفى ﷺ ومن التف حوله من المهاجرين والأنصار حتى أظهر الله هذا الدين؛ لتصبح هذه الأمة شاهدة على كل الأمم بالتبليغ والوعظ والإرشاد والإصلاح والحفاظ على تعاليم الحنيفية ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة:١٤٣).

ومن هنا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون خطاب هذه الرسالة الخاتمة مراعيا لعقول ونفوس القوم الذين خاطبتهم في بداية الأمر، لأنهم المأمورون أولا باتباع هذا الدين القيم والعمل بتعاليمه السمحة، فقد كانوا قوما يغلب عليهم الجهل والسفه كما قال الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فأصبحوا برغم معارضتهم لهذا النور في بداية الدعوة أفضل الناس في العبادة والتقوى والرحمة والمودة والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله، لأنهم أيقنوا أنه الحق من ربهم جاء ليخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان، ومن حيرة التائه إلى يقين المطمئن، فاطمأنت قلوبهم واستراحت نفوسهم من عنائها الطويل.

هكذا اطمأنت قلوبهم برسالة الرحمة التي جاءت بالحنيفية السمحة، فلا معبود إلا الله، ولا ظلم ولا استبداد، ولا طيش ولا سفه، ولا غلظة ولا شدة إلا في الحق ونصرة الدين، فأصبحوا خير أمة أخرجت للناس، تنشر السلام والمحبة، وتتضامن في السراء والضراء، وتبشر بالفضائل والمثل العليا، فنعمت الإنسانية بعدالة السماء بفضل صبر الرسول الأمين وجهاد أصحابه الذين أخلصوا لرسولهم ولما دعاهم إليه.

وإذا كان وضع العرب قبل مجيء الإسلام قد بلغ الحد الأقصى في الصراع والتفرقة والتشبث بعقيدتهم الفاسدة وعصبيتهم القبلية، فإن خطابهم في الآيات البينات اقتضى نهجا يراعي قدراتهم العقلية وأحوالهم النفسية ووضعهم الاجتماعي والأخلاقي، لأن الأعراف في أي مجتمع إذا طال عليها العهد يصبح لها سلطان قوي في النفوس، ولهذا السبب كانت الآيات البينات جامعة لأساليب البشائر والرغبات التي تجعل المخاطبين يميلون إلى فعل الخير واتباع النهج القويم، ولأساليب الإنذار والتوبيخ التي تبين لهم سوء أعمالهم وضررها على أنفسهم ومجتمعهم.

في الآيات البينات

الخطاب العقلي هو الأسلوب الذي يطلب في كل حوار يراد به إقناع الآخرين باعتناق رأي أو عقيدة أو مذهب فكري، وبخاصة إذا كان الحوار يدور بين أفراد لهم رصيد معرفي يمكنهم من تنظيم فكرهم بمنهج منطقي يجعل الآراء تتسم بالموضوعية وذكر الحجج والبراهين التي يطمئن إليها السامع. والجاهليون الذين خاطبهم القرآن الكريم كانوا أصحاب حكم مأثورة وأمثال سائرة وشعر بليغ وخطب محكمة، كما كانت لهم تجارب ناضجة في العلاقات والسلوك اكتسبوها من ظروف بيئتهم التي عانوا فيها شظف العيش وقسوة الطبيعة وألم الحروب، كما كان لاحتكاكهم بالأمم المجاورة لهم، وكان لها سبق في الحضارة والتمدن، أثر في نضج أفكارهم وتعميق نظرتهم في الحياة.

ومن هنا نجد الآيات البينات جاءت بلسان عربي مبين قد أدرك العرب أبعادها ومقاصدها الإصلاحية؛ فما كان يتعارض مع الفطرة التي خلق الله الإنسان عليها وقف منها الإسلام موقف الرفض، وما يسمو بالإنسان المكرم عند الله، عقيدة وفكرا وخلقا وسلوكا، حث عليه وأثاب من يعمل به. ولأن الإسلام دين يمجد العقل ويرفع من مستوى الفكر، فإنه طلب من الجاهليين، ومن كل من يصله نداء هذه الشريعة السمحة، النظر بعمق في كل ما يحيط به لمعرفة الخالق وتقدير نعمه عليه. وهذا المنهج الإسلامي في استعمال الفكر يراعي تطور العقول بتجدد المعارف والعلوم، فأعطى للفكر الإنساني الحرية في الاجتهاد بما يلائم أصول الشريعة في أحكامها وقوانينها من الكتاب والسنة. ومن هنا كان الخطاب العقلي في الآيات البينات من أسس رسالة الإسلام التي جاءت لتحرر العقول من الجمود، وتدعو الناس لطلب العلم واكتساب المعرفة من أجل أن يدركوا عظمة الخالق وأسرار الكون.

والخطاب العقلي هو المنهج الأمثل في كل حوار، فبواسطته يحصل الرضا وتستريح النفوس، قال الله تعالى يدعو رسوله الكريم لاتباع هذا المنهج: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل:١٢٥). والذين يبلغون مرتبة الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة هم العقلاء والحكماء الذين نمت معارفهم واتسعت تجاربهم في الحياة. ولذلك، فإن الله سبحانه وتعالى ينعم على صفوة خلقه بهذه النعمة ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (البقرة:٢٦٩). وبالحكمة والعقل نال الإنسان مرتبة الخلافة في الأرض، وخاطبته الرسالات السماوية، إذ هو المخلوق الوحيد الذي يختار بإرادته، ويسلك الطريق الذي يرى فيه مصلحته، فليست للإنسان أي حجة على الله بعدما أعطاه عقلا وحواس

وأرسل له الرسل ليبينوا له ثواب الخير وعقاب الشر.

ولننظر في الآيات البينات التي تضمنت إشارات لتنبيه ذوي العقول والنهى الذين لا يفضلون شيئا على آخر إلا من أجل رضا الله وما فيه مصلحة لأنفسهم وعامة الناس؛ لقد فصلت الآيات البينات المنافع والأضرار وتركت الإنسان يختار، فإذا اهتدى إلى الصواب نعم وسعد، وإذا ضل فلا يلومن إلا نفسه ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الروم:٩). ومن هنا جاء الخطاب في الآيات البينات للذين يعلمون ويدركون حقائق الأمور بعد النظر والتأمل، قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأنعام:٩٧). وقوله عز من قائل: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣). إن العالم هو من ملك قسطا من العلوم والمعرفة تجعل عقله ينمو ليتدبر الأمور التي تعرض عليه، أو يشاهدها بالعقل والحكمة فيختار الأصلح. وجاء الخطاب أيضا للذين يفقهون، لأن الفقه علم وتنوير للعقول ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ (الأنعام:٩٨)، وللذين يذكرون لأن في الذكرى عودة النفس إلى صوابها ورشدها بعد المحاسبة على ما صدر منها، فتعود النفس المطمئنة لربها إلى رشدها وصوابها ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأنعام:١٢٦)، ولذوي الأبصار والألباب الذين لهم دراية بالأمور بالحدس والتفكير السليم ﴿فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ (الحشر:٢)، وللموقنين والمتوسمين في مخلوقات الله العجيبة الصنع الدقيقة التسيير ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (الذاريات:٢٠ و٢١)، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر:٧٥).

إن المتمعن في دلالات هذه الآيات البينات يلاحظ دعوتها للإنسان إلى استعمال عقله ومشاعره في كل ما يحيط به من مخلوقات، سواء كانت في الأرض أو في السماء أو في البحار والأنهار أو في تكوين خلقته وباقي الكائنات الحية؛ إن كل ما في هذا الوجود شاهد على الخالق الذي أحسن كل شيء صنعا، والعاقل هو من يعمل فكره لفحص كل كبيرة وصغيرة في هذا الكون؛ لكي يعلم أن وجوده وكل ما يحيط به لم يكن بالصدفة، وليبدأ هذا الإنسان العاقل بملاحظة أعضائه المتقنة التركيب، وقدراته العقلية الفائقة، وحواسه الدقيقة، ثم ينتقل إلى أقرب المخلوقات إليه، وبخاصة الحيوانات التي يأكل لحومها ويشرب ألبانها ويلبس أصوافها والتي تعينه في أعماله الشاقة وتحمله إلى بلد بعيد، أليس في كل ذلك دليل على عظمة الخالق وقدرته؟! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (يس:٧١- ٧٣). ألا يسأل الإنسان نفسه ويقول من أوجدها بهذا التركيب العضوي الدقيق الذي يجعلها تتلاءم مع بيئتها ومع ما نحتاج إليه من مأكل ومشرب وملبس وأمن على حياتنا؟ لا ريب أن العاقل يهتدي بفكره السليم وبصيرته النيرة وحكمته الرصينة إلى أن الله هو الذي يملك القدرة المطلقة، ولا أحد يستطيع فعل ذلك مهما أوتي من قوة وسلطان ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ (الأنعام:٧٣). ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (لقمان:١٠ و١١). إن قوله تعالى ﴿فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ تعجيز لكل طاغ وملحد في كل زمان، لأنه لا يستطيع أن يثبت خالقا غير الله. وقد ذكر الزمخشري كيف نبهت الآيات البينات عقول الناس إلى هذه الظواهر، فقال: «والمعنى أن المنصفين من العباد إذا نظروا في السماوات والأرض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا. فإذا نظروا في خلق أنفسهم وتنقلها من حال إلى حال وهيئة إلى هيئة، وفي خلق ما على ظهر الأرض من صنوف الحيوان ازدادوا إيمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس، فإذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار وحياة الأرض بها بعد موتها وتصريف الرياح استحكم علمهم» (١).

وعلى الرغم من تقدم العلوم فإن الإنسان ما زال عاجزا عن اكتشاف الكثير من ظواهر هذا الكون وبالأحرى خلقها.

إن المخلوقات تستحق من كل من أوتي عقلا وحكمة وقتا من التفكير المتأني، وقد أعطانا الله دليلا في كتابه العزيز على طريقة استخدام العقل بشكل سليم للتأمل في هذا الكون من خلال موقف إبراهيم، عليه السلام، الذي ألهمه الله سداد النظر وحسن التأمل في ملكوت السماوات والأرض، فجال بنظره باحثا عن الله الذي يستحق العبادة، وتوصل بعقله السليم إلى أن المخلوقات على الرغم من كبر حجمها فإنها لا تستحق أن تعبد، لأنها مسيرة، وكل مسير لا بد أن يكون وراءه من له القدرة على الخلق والتدبير والتسيير ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ

قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:٧٥-٧٩).

هكذا ينبغي للعاقل أن يتأمل في المخلوقات بنظر سديد، ولابد أن يصل في النهاية إلى الحقيقة التي أخبرنا بها الله عن كل هذه المخلوقات، لأن ما جاء في الكتاب العزيز لا يناقض العقل ولا الحقيقة، ولهذا السبب أمد الله الإنسان بكل ما يحتاج إليه للتوصل إلى الحقيقة اليقينية، فأعطاه العقل والحواس، وأرسل له الرسل لإخباره بالحقائق الغيبية وبما يعجز العقل عن التوصل إليه.

الخطاب العقلي في أسلوب الحجاج

أسلوب الحجاج من الأساليب التي تستعمل لإقناع المخاطبين بدلائل وبراهين عقلية أو مادية محسوسة تجعلهم يذعنون إلى الخطاب لقوة حجته. وهذا الأسلوب يعتمد في القضايا الدينية والسياسية والمذهبية والفلسفية، ويطلب لمن يستعمله قدرة عقلية متميزة، ومهارة فائقة في منهج الحوار، وقدرة على استحضار الأدلة والشواهد المقنعة، وسرعة البديهة، وسعة المعرفة، والثقة بالنفس. ولا نعجب أن يكون هذا الأسلوب من اختصاص الفئة المتنورة في المجتمعات، كالفلاسفة والمفكرين والدعاة والمصلحين وأصحاب المذاهب والنحل، فهذه الفئة في كل مجتمع هي التي تقوم بدور الإصلاح والتوجيه والإرشاد. وفي عصرنا الحاضر أصبح هذا الأسلوب أداة فعالة لاستمالة فئة عريضة من الناس، ولاسيما عند الوعاظ والفقهاء والمصلحين الاجتماعيين.

وكتاب الله جدير باستعمال هذا الأسلوب لمخاطبة المنكرين لوجود الله والأنبياء والرسل، وقد اعتمدت الآيات البينات في مخاطبة هؤلاء على الحجج والبراهين القوية التي تثبت وجود الله من خلال مخلوقاته وقدرته وبديع صنعه، فهذه المخلوقات لا يستطيع الجاحد إنكارها أو التشكيك فيها، لأنها ظواهر مشاهدة، كما أنه عاجز عن إيجاد مثلها، قال الله تعالى في بيان قوة حجة كلامه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ (الأنعام:١٤٩)، وقال عز من قائل: ﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود:١). إن كلام الخالق هو أسمى كلام، لم يعرف البشر شبيها له في بيانه ومعانيه وحجته وبراهينه ودلائله. وأسلوب الحجاج في كتاب الله من الأساليب التي نورت العقول، ووجهت الدعاة إلى اتباع المنهج الذي يجدي في التبليغ والدعوة إلى الله، وإقناع الجاحدين بالحجة والبرهان.

ومن الحجج القوية التي واجه بها الرسل الكافرين حجة إبراهيم، عليه السلام، لمن تجبر وطغى بملكه وماله وقوته، فادعى الألوهية وأنكر الخالق الذي وهبه كل ذلك، قال عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:٢٥٨).

إن دلالة الحجة في الآية الكريمة أفحمت ادعاء هذا المنكر، فلذلك بهت مما سمع ولم يستطع الرد وأقر بعجزه؛ لقد ظن أنه قادر على رد الحجة بحجة أقوى منها مثلما اغتر بالحجة الأولى، وإن كان فهمه قاصرا عن إدراك معنى الحياة والموت، وكان بالإمكان أن يجادله إبراهيم، عليه السلام، في هذه القضية برد فيه بيان أوضح، لكن هذا المنكر لن يقتنع وسيستمر في حواره العقيم؛ فلذلك واجهه إبراهيم، عليه السلام، بالحجة الثانية التي لا يستطيع أن يكثر الجدال فيها لعجزه المطلق عن تحقيق ما طلب منه.

هذا اللون من الأساليب يتعلم منه الدعاة والمصلحون والمربون كيف يخاطبون المنكرين والجاحدين والمشككين، الذين يبحثون دوما عن الذرائع والعلل التي تبرر لهم سلوكهم المشين ومواقفهم الخارجة عن الفطرة. إن كل مصلح وداعية ومرب يحتاج إلى ما يدعم أقواله الإصلاحية، وفي عصرنا الحاضر، بعدما تطورت العلوم وتقدمت الأبحاث الميدانية والتجريبية، واكتشف العلماء الكثير من الحقائق التي أشارت إليها الآيات البينات، ينبغي أن تكون تلك الأبحاث حجة قوية في الدعوة إلى الله وفي إصلاح المجتمع. إن العلم – على نسبية تطوره – لم يناقض الحقائق التي أشارت إليها الآيات البينات، ولعل المستقبل سيكشف مزيدا من الأسرار، وصدق رب العالمين حينما قال:

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الحديد:١٧). إن العلم ينير العقول ويفتح البصائر ويعمق الإيمان بالله، وها نحن نرى في المرحلة الراهنة أن أكثر من يعتنق الإسلام في الغرب هم العلماء لكونهم أدركوا سر عظمة الله في كل مخلوقاته.

إن الآيات البينات حينما أشارت إلى السماوات وما فيها من كواكب ونجوم، وما تجود به من أمطار في كل جهات الأرض نتيجة تصريف الرياح، وإلى خلقة الإنسان والدواب، وإلى تعاقب الليل والنهار، كل هذه الإشارات أثبت العلم – على نسبيته – قدرة الله في تسييرها بدقة، فلذلك ذكر الله أنها آية للعقلاء الذين يتدبرون في خلق هذا الكون، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ

﴿وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الجاثية:٣ – ٥)، وقال عز من قائل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس:٥).

فأي دليل أقوى مما يشاهده الإنسان في تكوين جسمه، الذي صوره الله أحسن تصوير، وزوده بكل ما يحتاج إليه ليعيش حياة مطمئنة؟! وأي دليل أقوى مما يشاهده في مظاهر الطبيعة المتحركة والساكنة؟! لقد أثبت العلم بالتجربة والبراهين أن هذه المخلوقات في دقة صنعها وتسييرها لا بد أن يكون وراءها خالق بيده القدرة المطلقة.

وحينما يذكر الله سبحانه وتعالى الإنسان بما أنعم عليه من بصر وسمع وفؤاد، وهو يعلم أن هذه الحواس غاية في الحساسية والدقة، تصاب بالأذى في أي لحظة ومع ذلك تؤدي وظائفها ﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (الملك:٢٣)، هل يستطيع أن يخلق مثلها أو أن يردها إذا فقدها نتيجة حادث أو مرض؟ إنه لا يستطيع فعل شيء سوى الالتجاء إلى الله بالدعاء والتضرع لضعفه وحاجته لخالقه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ (فصلت:٥١). هذه هي حجة الله على الإنسان، أعطاه كل النعم ولا يستطيع إنكارها أو الشك فيها، ولكنه يتمرد ويجحد فضل الله عليه رغم ضعفه وعجزه، وهو لا يستطيع أن يعيد الحياة إلى مخلوق مهما بلغ من الصغر والحقارة.

إن من خصائص التفكير السليم القدرة على بيان الحقيقة بالدليل المقنع والبرهان القاطع والحجة التي تجعل المخاطب لا يرتاب فيما يسمعه، ومن هنا كانت ميزة رفع مكانة العلماء وتقدير منزلتهم، فهم أقدر الناس على التوصل إلى الحقيقة وإقناع الناس بها، لكونهم يستدلون بالبراهين التي تقطع دابر الشك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ (فاطر:٢٨)، وقال عز من قائل: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (سبأ:٦)، فلذلك كانت مسؤولية العلماء جسيمة أمام الله والناس، فهم المرجع والحجة في تبليغ الحقائق التي أشار إليها كتاب الله، لا يكتمون ولا يحرفون ولا يبدلون، هذا هو العهد والميثاق بينهم وبين الله ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران:١٨٧). فويل للذين يكتمون العلم أو يحرفونه من أجل المال والمنصب والتقرب إلى السلطان. ولا خير في من لا يتعلم ولا يعلم ولا يصدق في تبليغ العلم ولو عمر دهرا طويلا ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال:٢٢)، وفي الأثر «وإنما بعثت معلما»، و«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». فكم من عالم عاش زمنا قصيرا لكنه أفاد الأمة وهدى الناس وبقي ذكره عطرا بينهم، وكم من جاهل غافل ضال عاش عمرا مديدا لكنه لم يترك ذكرا حسنا.

وحينما تكون حجة الإنسان قوية في الدعوة إلى الله والإصلاح، فإنه لا يبالي بما قال الآخرون، وهذا هو النهج الذي نأخذه من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام في الدفاع عن الحق مهما كانت دعوات أصحاب الباطل والشرك، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ﴾ (النساء:٥٩)، وقال رسول الله ﷺ: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه» (٢). وقد بين الله لنا الموقف الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن إذا كان على صواب في قول إبراهيم، عليه السلام، لقومه ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ (الأنعام:٨٠). إن إبراهيم، عليه السلام، كان يدعو إلى الحق الذي هداه الله إليه، فلم يلتفت إلى أقوال الضالين الباطلة ولا إلى مكرهم، لأن الباطل والشرك والضلال إلى زوال، لكون حجة أصحابها واهية ولا سند لها، أما الحق فلا شبهة فيه ولا ريب ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام:٨٣).

ذلك هو منهج أسلوب الحجاج في كتاب الله، والذي أيد به رسله وأفحم دعاة الباطل والشرك، وسيظل هذا الكتاب في كل ما دعا إليه في العقيدة والإصلاح والتوجيه والتشريع منيرا ومرشدا إلى الحق الذي يطمئن القلوب ويهدي إلى سواء السبيل ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف:٢٩).

الهوامش:

١- الكشاف ٥٠٩/٣، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعرفة للطباعة.

٢- رواه مالك في «الموطأ».

فقه التوقع المستقبلي عند الإمام الجويني

عبد الفتاح همام
باحث دكتوراه في الفقه

التفكير المستقبلي جزء أصيل من شريعة الإسلام، له قواعده ومناهجه وامتداداته التي تصل إلى اليوم الآخر. وعلى الرغم من ذلك، فإن حيز المستقبل في المنظومة المعرفية عند المسلمين لم يكن متناسبا في عمقه وحجمه وتكييفه في الواقع مع دلالات الشرع ومستلزماته، ولا يدل ذلك - بالطبع - على الإهمال المطلق، بل يؤكد أن حجم التوظيف والتشغيل للتقعيد المستقبلي والنظر المآلي كان ضئيلا.

ومن هذا الكم الضئيل تجربتان لم تأخذا حقهما من التأصيل والتجريد، ولم يلق الضوء على مسيرة البناء عليهما.

التجربة الأولى: تجربة السادة الأحناف، متمثلة في الفقه الافتراضي.

والتجربة الثانية: تجربة إمام الحرمين الجويني في «الغياثي»، وهي مقصودنا هنا، لأنها أكثر نضجا ومنهجية وواقعية من سابقتها.

هذه التجربة يمثلها كتابه «غياث الأمم في التياث الظلم» الذي يمثل عنوانه هدفا ومقصدا ومنهجا في آن واحد. يقول د. عبدالعظيم الديب عن مقصود عنوان الكتاب الذي سجله الجويني على صدر كتابه: «فكأن المعنى: هذا ما تغاث به الأمم عندما تلتف بها الظلمات، أي إنه يقدم المنهاج الذي تغاث به الأمم عندما تحيط بها الظلمات، أي عندما يخلو الزمان من إمام ومن مفت ومن حملة الشريعة وعلمائها» (١).

مؤسس فقه التوقع

الجويني هو مؤسس فقه التوقع وباني أركانه، فهو إمام فيه، كما هو إمام في المقاصد، وهو «أول من روض مدارج الفقه في التوقعات، واستشعر ضرورة التفكير في أفضل المآلات وأسوأ الحالات التي يمكن أن تحل بالأمة أو طوائف منها انقطعت عنها شوكة الإمام أو استحرت معضلة عامة بجماعة من الجماعات، فاستقبل هذا الفقه واستفتحه بأحكم المناهج، وأيسر المسالك، ليعم رفع الحرج كل الأزمنة والأعصر، وتفوق مقاصد الشرع وتتجلى، وتعلو راية الشريعة وتترقى، في كل الظروف والأحوال والمستجدات» (٢).

ولم تكن تجربة الإمام نابعة من خيال الفقيه الفضفاض، وقدرته التفريعية، بل كانت نابعة من

ملاحظة الواقع المعيش واستقراء أحداث عصره ومآلاته في المستقبل، يريد بذلك أن يعالج واقعا مترديا استمد منه نظرة استشرافية لما يمكن أن يقع من أحداث في المستقبل، قاصدا معالجة الواقع والمتوقع.

ومن الملاحظ أنها خطوة تعدت الافتراض الفقهي الجزئي الذي يعنى بمسائل فقهية قليلة تمر بعقلية الفقيه الخيالية، تعدت ذلك إلى افتراض كليات وقضايا كبيرة تهم الأمة، كما أن إمام الحرمين لم يقدم طروحاته وتوقعاته بشكل افتراضي نظري فحسب، بل نحا بها منحى التأصيل والتطبيق، فهي تجربة افتراضية نظرية عملية.

وليس المقصود من قراءة هذه التجربة الجمود عليها وحفظ ما توصلت إليه من أحكام وآراء، بل قد نختلف معها فيما توصلت إليه، وربما أيضا لا تصلح تطبيقا لواقع ولا لمتوقع، وإنما المقصود معرفة كيفية بنائها واستخراج منهجيتها وفهم أسسها، وذلك كله بغية استلهامها واستثمارها.

دراسة وصفية

لقد افترض الجويني افتراضات كلية وقضايا عامة، وتناثرت بينها افتراضات أخر متعلقة بجزئيات ومسائل مندرجة تحت كلياتها، وفي كل ذلك يبين عن معالجة للواقع والمتوقع، ويمكن حصر كليات القضايا المتوقعة في ركنين رئيسيين:

الركن الأول: تقدير خلو الزمان من الأئمة وولاة الأمة (فراغ السلطة السياسية أو فسادها).

ويحدد مقصده من هذا الركن بقوله: «ثم أقدر شغور الحين عن حماة الدين وولاة المسلمين، وأوضح إذ ذاك مرتبط قضايا الولاية، وأنهي الكلام إلى منتهى الغاية، فإنه المقصود بالدرك والدراية...» (٣).

أي مقصوده تبين طريقة إدارة الأمة حالة غياب الإمام، فبعد أن بين الوضع المثالي للأمة، أتبعه بالوصف المتوقع للأمة الذي يعتريها على مستوى القيادة والإدارة، فكيف يدير المسلمون شؤونهم؟

مضمون هذا الركن تحويه ثلاثة أبواب (٤).

الأول – تصور انخرام الصفات المرعية جملة أو تفصيلا.

الثاني – استيلاء مستول مستظهر بطول وشوكة وصول.

الثالث – شغور الدهر جملة عن وال بنفسه أو متول بتولية غيره.

والركن الثاني: خلو الزمان من المجتهدين ونقلة المذاهب وأصول الشريعة (فراغ السلطة العلمية أو انحرافها).

وفيه مراتب:

المرتبة الأولى: اشتمال الزمان على المفتين والمجتهدين.

المرتبة الثانية: فيما إذا خلا الزمان من المجتهدين وبقي نقلة المذاهب.

المرتبة الثالثة: في خلو الزمان من المفتين ونقلة المذاهب.

المرتبة الرابعة: في خلو الزمان من أصول الشريعة (٥).

وانتهج الإمام منهجا مقاصديا في معالجة هذه التوقعات، فبنى عليه أحكامه، وأسسها مرجعية علمية عند فقد العلماء.

ورعاية المقاصد سمة من سمات فقه الإمام عموما، فهو كما قيل إمام الفكر المقاصدي، و«الغياثي» تطبيق لمقاصد الشريعة في فقه الحكم والسياسة (٦).

ويصرح الجويني في مواطن كثيرة بأهمية المقاصد ونجاعتها في فقه التوقع: «فلو قال قائل: ما يتوقع وقوعه من الوقائع لا نهاية له، ومآخذ الأحكام متناهية، فكيف يشتمل ما يتناهى على ما لا يتناهى، وهذا إعضال لا يبوء بحمله إلا موفق ريان من علوم الشريعة.

فنقول: للشرع مبنى بديع، وأس هو منشأ كل تفصيل وتفريع، وهو معتمد المفتي في الهداية الكلية والدراية، وهو المشير إلى استرسال أحكام الله على الوقائع مع نفي النهاية...» (٧).

«أي إن للشرع مقاصد وحكما ارتبطت الفروع الفقهية بها، وامتزجت بموجباتها، فمن هنا لم يكن للمفتي أو المجتهد بد من الاعتماد عليها، لا سيما إذا ظهرت وقائع مستجدة، هي من الكثرة بحيث لا نهاية لها» (٨).

وقد علل الدكتور عبدالمجيد الصغير تعلق الإمام بالمقاصد ومحاولة تقنينها في كتابه «الغياثي» في توقعات قضاياه الكلية، حيث ربط ذلك بمشروع إنقاذي للأمة حال التراجع السياسي، والانحطاط الحضاري فقال: «تميز الجويني عن سالفيه ومعاصريه بشيئين اثنين: طرحه لأول مرة موضوع مقاصد الشريعة كعلم جديد متميز بقواطع أدلته، ثم إناطته بهذا العلم المتميز أخطر مهمة، مهمة الإنقاذ السياسي والاجتماعي للعالم الإسلامي من الهوة التي رآها وشيكة الوقوع... فلم ير الجويني منقذا من هذا الوضع المتردي سوى تأسيس القول في مقاصد الشريعة الكلية والرفع بها من مستوى الظن، الذي هو سمة الفقه وأصوله إلى مستوى قواطع الأدلة» (٩).

القواعد المستقبلية

هذه القواعد هي أصول ضابطة وحاكمة لفقه التوقع، استقرأها الإمام من «نخل الشريعة من مطلعها إلى مقطعها... وإنعام النظر في أصولها وفصولها... واستبانة كلياتها وجزئياتها» (١٠)، أراد بها أن تكون مرجعية قطعية يتخذها الناس مرجعهم في التكييف الشرعي لنوازلهم وواقعهم في زمنهم الخالي عن العلماء ونقلتهم.

وتحاول هذا القواعد أيضا أن تؤسس لفقه التوقع وتؤصل لمشروعيته، وتبين لنا سبيل الاستنباط في مثل هذه الوقائع، ويكفيني هنا لضيق المساحة أن أشير إلى بعض تلك القواعد:

- «فإن المنصوصات متناهية مضبوطة، والوقائع المتوقعة لا نهاية لها». ف: ٥٧٥.
- «والأمور في الولايات إذا لم تؤخذ من مباديها، جرت أمورا يعسر تداركها عند تماديها». ف: ٣٧٣.
- «فإن منع المبادي أهون من قطع التمادي». ف: ٢٦٩.
- «لو فرضنا خلو الزمان عن مطاع، لوجب على المكلفين القيام بفرائض الكفايات، من غير أن يرتقبوا مرجعا». ف: ٣٩٤.
- «والمسدد من نظر في أولاه لعاقبته، وتزود من مكنته في دنياه لآخرته». ف: ٥٣٧.
- «وقد تمهد أن ما لم يقم عليه دليل التحريم، فلا حرج فيه في الزمان الشاغر عن حملة العلوم بتفاصيل الشريعة، فهذا منتهى المقصد فيما يتعلق بالمعاملات» ف: ٧٨٧.
- «إذا درست فروع الشريعة وأصولها، ولم يبق معتصم يرجع إليه، ويعول عليه، انقطعت التكاليف عن العباد، والتحقت أحوالهم بأحوال الذين لم يبلغهم دعوة، ولم تنط بهم شريعة». ف: ٨٤٤.

المصطلح المستقبلي

تأسيس المصطلحات ومعرفتها ركن أساسي في بناء العلم، وتمهيد قاعدته الأولى، كما أن ابتكار المصطلحات وغناءها دال على نضج المعنى ووضوح الفكرة المعبر عنها، وهذا ما نجد أصداءه في «الغياثي»، إذ قدم الجويني مجموعة من المصطلحات التأسيسية الريادية التي تغطي جوانب الفقه المستقبلي وتؤسس لمعالمه، وتؤصل لمشروعيته. ولست في مجال إحصائها ودراستها دراسة اصطلاحية، وإنما أحاول التنبيه على تأسيس الجويني لمصطلح التوقع ومفاهيمه، لنتعرف على مدى نضوج فكرته ووضوحها. ومن ذلكم:

مصطلح التوقع ومشتقاته (المتوقع والمتوقعة، وتوقع ويتوقع، وغيرها من الاشتقاقات)، مصطلح المستقبل، مصطلح المرتقب ومشتقاته، مصطلح المآل، مصطلح الافتراض، مصطلح التخيل.

كما أننا سنجد جملا واصطلاحات أخر دالة على ذلك الفقه، مثل: بنو الزمان، وعلماء الزمان، خلو الزمان، وشغور الحين أو الزمان.

ظروف النشأة

المتأمل في توقعات الجويني يجد أنها متعلقة بالإمام، والعلماء، والشريعة، وهذه قضايا كبرى تتعلق بعموم الأمة قاطبة، واستقرأ واقع هذا القضايا وبحث أوضاعها واستشرف مستقبلها، ورصدت جملة من النصوص الدالة على ذلك، ففيها بيان لسبب الاهتمام ونشأة الافتراضات، وأوضح نص يبين فيه سبب وضعه الكتاب قوله: ... إني وضعت هذا الكتاب لأمر عظيم، فإني تخيلت انحلال الشريعة وانقراض حملتها، ورغبة الناس عن طلبها، وإضراب الخلق عن الاهتمام بها، وعاينت في عهدي الأئمة ينقرضون، ولا يخلفون، والمتسمون بالطلب يرضون بالاستطراف... وغاية مطلبهم مسائل خلافية يتباهون بها... فعلمت أن الأمر لو تمادى على هذا الوجه، لانقرض علماء الشريعة على قرب وكثب، ولا تخلفهم إلا التصانيف والكتب. ثم لا يستقل بكتب الشريعة على كثرتها واختلافها مستقل بالمطالعة من غير مراجعة مع مرشد، وسؤال عن عالم مسدد، فجمعت هذه الفصول وأملت أن يشيع منها نسخ في الأقطار والأمصار، ولو عثر عليها بنو الزمان لأوشك أن يفهموها، لأنها قواطع، ثم ارتجيت أن يتخذوها ملاذهم معاذهم، فيحيطوا بما عليهم من التكاليف في زمانهم، ويحفظونه لصغر حجمه، واتساق نظمه» (١١).

لقد كانت الملاحظة والمعاينة لواقعه وقضاياه الكبرى مسلكا من مسالك قراءة المستقبل واستشرافه، وسببا إلى وضع افتراضاته ومناقشتها ومعالجتها لهذا المتوقع القابل.

ويهدف الجويني فيما يهدف إليه من رؤيته المستقبلية إلى غياث الأمة وانتشالها من غياهب الظلم وإنقاذها من وهاد الواقع وحفره، وطرح البدائل والحلول التي تسعفها وتخفف من وطأة آثار انهيار أو انحراف السلطات العلمية والسياسية.

الهوامش

١- مقدمة محقق الكتاب، د. عبدالعظيم الديب، ٩٤، ٢١٢.
٢- فقه التوقع.. مفهومه وعلاقته بالمآل، نجم الدين الزنكي، مؤتمر فقه الواقع والتوقع بالكويت.
٣- «الغياثي»، فقرة: ٩.
٤- «الغياثي»، فقرة: ٤٣٦.
٥- «الغياثي»، فقرة: ٥٦٨.
٦- انظر: فقه إمام الحرمين.. خصائصه وأثره ومنزلته، د. عبدالعظيم الديب، ٣١٩.
٧- «الغياثي»، فقرة: ٦٤٤ و٦٤٥.
٨- مقاصد الشريعة عند إمام الحرمين، د. هشام أزهر، ٦٤.
٩- الفكر الأصولي وإشكالية السلطة العلمية في الإسلام، ٣٥٥، ٣٥٦.
١٠- «الغياثي»، فقرة: ٥٦٧.
١١- «الغياثي»، فقرة: ٨٣٧.

العشـــاء

مياسة النخلاني
قاصة يمنية

بعد يوم عمل طويل عاد للبيت أخيرا، يجرجر قدميه وأكياس الطعام صاعدا درج العمارة وصولا للدور السادس، رمى بالمفتاح جانبا قبل أن يرمي جسده المتعب على الأريكة الأقرب إليه، سيعطي نفسه استراحة قصيرة وقد تطول قبل أن يشمر ساعديه ويجهز العشاء.

راقب الشمس وهي تنزلق ببطء نحو مخدعها، أغمض عينيه واستسلم للظلمة المتوارية خلف جفنيه.

تداخلت مع كثبان الضباب ضحكات طفليه الصغيرين، يهدهدان أجفانه بنعومة أصواتهما ويدفعانه دفعا لوسط الضباب، عدل من وضعية رأسه ليحصل على راحة أكبر في حين خرجت من صدره تنهيدة عميقة، شعر أنها اجتثت من جسده كل تعب وإرهاق اليوم، فجأة دوت صرخة، تلفت حوله بحثا عن مصدر الصوت فانزلقت يده المتشبثة بالنافذة، ليتأرجح جسده هو الأخر في هاوية مظلمة، تحامل على نفسه وخرج من شقته بتثاقل يتحرى عن الأمر.

«إنا لله وإنا اليه راجعون» قالها وهو يدلف شقته بعد لحظات غارقا في ذهوله وحبات عرق بللت جبينه، مات جاره أحمد، هكذا ببساطة، غادر الحياة التي أتى إليها قبل نحو ثلاثين عاما، تماما كما فعل هو عاد من عمله منهكا، جلس على كرسيه مستسلما لسنة من نوم ريثما تعد له زوجته العشاء، جهزت هي المائدة وذهبت لتوقظه كما تفعل كل يوم، ثم لم تلبث أن أطلقت صرخات الفزعة التي كادت أن تقذف به خلف الشمس، تحسس جسده برعب وهو يشعر بأن أنفاس الموت تحوم في بيته، وفوق أريكته التي كان نائما عليها بالذات.

بحث عن مكان يسترد أنفاسه فيه، بعد أن داهم الوهن كل خلية في جسده، تحاشى الجلوس على ذات الأريكة وكأن الموت ينتظره عليها، كم هو مخيف أن يغادر الإنسان الحياة هكذا بسرعة، دون حتى كلمة وداع، أو .... أو ماذا؟؟ وماذا سيفيد كل هذا، فهو سيغادر دون رجعة... وإن كان في مثل حالته لن يجد من يبكي عليه أو يهزه بعنف مطالبا إياه أن يصحو ويفتح عينيه، كما فعلت زوجة الجار المسكين وأطفاله الذين تحلقوا حوله...

بطريقة آلية توجه نحو السرير، لم يجد مكانا غيره يشعره بالأمان، على الأقل لو مات هنا فسيكون وضعه مريحا أو هكذا خيل له، رثا جاره المسكين، تذكر كل حسناته وكل حديث دار بينهما رغم قلتها، تذكر نظرة عتابه له حين ترك زوجته وأطفاله يرحلون بصمت.

-زوجته وأطفاله- مر طيفهم من أمامه لوهلة قبل أن يختفوا في ظلال الغرفة، شعر بحنين لهم، أن يكونوا بجانبه الآن، بكل ضجيجهم ومشاكلهم، أن يعيش معهم ما تبقت له من حياة، حتى وإن كانت ساعات إضافية قليلة...

لا يدري ما الذي حدث له، لا يدري كيف في غفلة منه ترك الفرصة للتوافه والمشاكل الصغيرة أن تسيطر على مزاجه وتصرفاته، ورداءة فعله أن تبعده عنهم، ليترك زوجته في آخر المطاف تخرج وهي تجرجر طفليها بعدها دون أن يكلف نفسه أمر اللحاق بها، «لماذا ذهبت؟!» سؤال تردد في أعماقه، هو لا يذكر حتى المشكلة التي تسببت برحيلها منذ أسابيع، أو داخله شعور بأن الأمر لم يكن حقا يستحق الرحيل وكل ذلك العناد من جهته!! كان غاضبا وشعر أن كرامته فوق كل شيء، لم يطلب منها أن ترحل لذا عليها أن تتحمل عاقبة خياراتها هكذا فكر حينها وأقنع نفسه!

تعالى صوت البكاء مجددا من شقة جاره، بدا أن الأهل بدأوا بالتوافد غير مصدقين ما حدث لابنهم الشاب، صدمة عنيفة يتبعها بكاء حارق، ثم هدوء مطبق...

سينتظر الصباح على أحر من الجمر، سيعيد زوجته وأطفاله إلى البيت، سيعيش معهم حياته التي لا يعلم متى تنتهي، سيبقي عائلته بقربه، رفع سماعة الهاتف، خاطب زوجته بكلمات قليلة طالبا منها أن تعطي السماعة لأطفاله كي يحدثهم ويطمئن عليهم، أقلقها صوته وأنساها الخلاف الذي كان بينهما، قال لها إنه سيأتي في الصباح ليعيدها والأولاد للبيت لم تبد اعتراضا، أقفل سماعة الهاتف وأغلق عينيه لبعض الوقت حين عاد له اتزانه وفاق من الصدمة الأولى عاد مجددا لشقة جاره المتوفى عارضا عليهم خدماته ومحاولا المساعدة بقدر ما يستطيع، مكث عندهم ساعات وحين لم يعد هناك ما يقوم به عاد إلى سريره محاولا النوم ناسيا أمر العشاء الذي لم يعده بعد.

القول المأثور في إحياء الصواب المهجور (٢٦)

عبدالله أيت الأعشير
مفتش منسق جهوي لمادة اللغة العربية - المغرب

اللغة العربية الفصحى حق لنا، نحن العرب. لكن أي حق كيفما كانت وجاهته، ومهما علا شأنه، يفقد قوته ويضمحل عند إساءة استعماله والتهاون في صيانته. هذا هو الرأي القارح والدرس البليغ الذي يجب أن تعيه الطوائف العربية التي انقسمت حول لغتها الفصحى طرائق قددا على هذه الشاكلة:

١ ـ شرذمة قليلون طلبت الحق فأخطأته؛ لشدة حرصها على عقْميِّ الكلام المحبر، لا تنطق إلا بالتحنين والغريب الوحشي الذي يلبس العربية ثوبا مضرجا خلقا وأطمارا معيبة غريبة عن روح العصر، ولا ترى العيش الكريم إلا بجوار الشيح والقيصوم والنؤي والأثافي وخبز الملة والفلاة، مؤكدة أن طاحونة التليد هي الأزل الذي لا يتبدل، ولا يأتيه الباطل من أي ناحية، فهو الدوي الشجي المطرب الذي يغنينا عن أزيز الطائرات وحشرجة السيارات ومحركات البحث الرقمية، وهو الجذيل المحكك والعذيق المرجب، والشراب بأنقع الذي يغنينا عن بدع الحضارة الغربية وضلالاتها الآفكة.

٢ ـ طائفة من الأغتام الحداثيين الذين استأسدوا على الفصحى ورموا في طريقها الناهجة العصي والحبال، مبشرين بفتوحات العولمة، والانتصار للغاتها التي أحرزت نصرا مبينا على لغات الدنيا. لذلك، لابد من التفكير في كيفية نزع طوق العربية الفصحى عن الأعناق، وترك المدافعين عن الفصحى يشقون بنحوها وصرفها العقيمين، لأنها لم تعد لغة المعرفة العلمية التجريبية، فضلا عن أن تكون لغة مجتمع المعرفة الرقمي؛ الذي لم يعد يؤمن سوى بالضغط على الأزرار لتقدم لنا محركات البحث - قبل أن يرتد إلى أي واحد منا طرفه - من أصناف المعارف المجتباة ما لا قبل لنا به في آبائنا الأولين والآخرين. ولقد طوعت لهم أنفسهم التحليق في كل اتجاه من اتجاهات العولمة لإظهار العربية الفصحى بمظهر الشيخ الهرم الذي فقد أسباب الحياة، ومن ثمة لابد من ركوب قطار اللغات الأجنبية لتحديث المجتمعات العربية. وفي أثناء ركوب موجات اللغات الأجنبية، التي لم يدرك أغلب المنتسبين إليها من

معارفها سوى القطمير والحشف البالي من العادات والأزياء وأصناف المأكولات السريعة «الماكدونالدية» التي أصابت معدهم بعسر الهضم، أدركت فئة منهم أسباب خيبتهم، وأنهم بدل أن يجروا زمانهم نحو الأفضل والأنجع لإدراك الحداثة المزعومة؛ بدأ زمانهم يجرهم نحو سفاسف العولمة وباطل دعواتها المنكرة التي لا شية فيها، فانقلبت مدافعة عن اللهجات والعاميات مكبرين لشأنها لاتخاذها أداة التفكير الضرورية للكتابة الشائقة التي تتصعد العربية الفصحى، على شاكلة المخرقتين اللتين أقدم عليهما كل من محمد نبيل فهمي ومراد العلمي عندما كتب كل واحد منهما روايته بالدارجة المغربية وبالحرف اللاتيني رعونة منهما وجهلا وسعيا إلى موافقة مطالب العولمة الآجلة والعاجلة، بل إن بعضهم انتهى إلى الشعور بعقدة الذنب على شاكلة اعتراف الكاتب الجزائري رشيد بوجدرة قائلا: «أجد نفسي في اللغة العربية، وأعتبرها هوائي الذي أتنشق... إن أحلامي وكوابيسي باللغة العربية، وهي إضافة إلى هذا كله لغة حنان... أنا أشعر اليوم بعقدة الذنب لأنني كتبت بالفرنسية مدة عشر سنوات» (١).

٣ ـ طائفة من دعاة الحق الذين يجرون زمانهم نحو الصراط السوي، لا يطيش لهم سهم في ابتغاء الحق الأبلج، لأنهم آمنوا بقدرة العربية الفصحى ولم يلبسوا إيمانهم بريبة، مؤكدين أن الثقافة اللغوية التي لا يسندها علم بالقواعد المنظمة للغة، ثقافة عرجاء، وأن اللغة لا يمكن أن نعزلها عن الفكر، لأن الفكر مستحيل من دون لغة تعبر عنه وترعاه بالمعرفة التي تفتح الآفاق، وتسمح له بأن يصنع بها معارفه، ويشتري بها لوازمه، ويقضي بها حاجاته، وينفس بها عن مكنون نفسه ومشاعره، ويناجي بها ربه. ومن ثمة يجب التفكير في صيانة الفصحى وفي تزويدها بالغذد المقوية لمناعتها رغبة في فتح الآفاق للتفكير بالفصحى، والأخذ بأسباب النهوض التي تبسط لها أفياء الحضارة وتثريها بالمفردات الجديدة التي تقتضيها العلوم والتقنيات من دون التمرد على الأصول اللغوية المقررة، أو الذهاب بها مذهبا مريبا يخالف الطرق اللاحبة التي ضمنت للعربية استمرارها. لذا، لا ينبغي أن نترك نسج مطارف الفصحى للمصادفات ولأقلام المنشئين المقحوطة الذين لا يأتون بفائدة إلا أتبعوها بآبدة، وإنما الذين يطرزون تلك المطارف هم العلماء الخناذيذ الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب، والخبراء البارعون الذين أفردوا الوجهة للتقنيات الرقمية المعاصرة لا تند عنهم صغيرة ولا كبيرة إلا أحاطوا بها علما، وفقهاء اللغة الذين مخضوا أوطاب الفصحى، وغيرهم من الأدباء المفنين في جودة أشعارهم وفي بلاغة خطبهم، ناهيك عن الانتباه إلى حياة الناس لنخل ما يستجد فيها من ألفاظ وتعبيرات اقتضتها سنة التطور التي تحافظ على الأصول الثابتة ولا تضيق على اللغة منافسها، لأن النقص المنسوب إلى الفصحى بالنسبة إلى أسماء الأشياء الجديدة يمكن استدراكه باللجوء إلى الوسائل اللغوية التي تسمح بها أنظمتها اللغوية الثرية؛ أما ادعاء النقص في الأصول والقواعد والإمكانات الذاتية، فإن العربية الفصحى بريئة من هذه الفرية، لأن لها من المؤهلات الانفجارية والاشتقاقية ما لا يتوافر في غيرها من اللغات.

تأسيسا على هذه الحقائق التي أوضحت سبيلا ناهجة لا تخفى، وشرعت طريقا لاحبا موطأ لا ينكتم، يجب علينا بذل النكيثة في ابتكار المبيدات الفعالة التي تفتك بسوسة اللحن وتصون الفصحى من الألفاظ والعبارات التي خانت معناها؛ وانحرفت عن مغزاها واستبدلت بأصولها فروعها من دون جلب منفعة أو دفع مفسدة، كما نفكر في القضاء على التلوث والأوبئة التي تهدد البيئة من حولنا، لأن إبادة الكلمات اللاحنة من حياتنا في جوهرها تحرير للغة ولأنفسنا من سوء الفهم الذي يقلب الحقائق؛ على شاكلة هذه العبارة التي تتصدر واجهات الأسواق والمحال التجارية: «سوق الخضر» التي لا يفهم منها المخضرب اللسن سوى جمع «خضرة» وهي اللون الأخضر. أما المراد الصحيح فهو: «سوق الخضراوات» قال الرسول ﷺ في الحديث الشريف: «ليس في الخضراوات صدقة»، أي ليس فيها زكاة. ناهيك عن التعامل مع خبر «كلا وكلتا» وفق ما تقتضيه اللغة العالية التي نطق بها القرآن الكريم والشعر العربي البليغ من خلال مراعاة لفظها المفرد، وليس معناها المثنى على شاكلة هذه العبارة التي أظهرت مكتوم هؤلاء الذين لم يصيبوا من قواعد الفصحى تبريرا: «كلا الفريقين انهزما» و«كلتا الأزمتين انفرجتا»، لأن «كلا وكلتا» لفظان مفردان ملازمان للإضافة، لفظا ومعنى، لتأكيد الاثنين والاثنتين وليسا مثنيين. ولذا، يجب الإخبار عنهما كما يخبر عن المفرد. قال تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ (الكهف:٣٣). ولم يقل: «أتتا» مراعاة لمعنى «كلتا». وقال الشاعر: كلانا غني. ولم يقل: كلانا غنيان، على هذه الشاكلة:

كلانا غني عن أخيه حياته

ونحن إذا متنا أشد تغانيا

أقف حيث وقف بعنان يراعي ضيق ميدانه، مؤكدا أن الثقة بصفاء أذهان القراء توجب علي هذه التصحيحات، التي تظهر أن تعليم الفصحى بالشواهد التي تتضمنها النصوص العالية التي تذهل الألباب وتخلبها، وتأسر الأفهام باللطائف التي تشتمل عليها، هي التي تجعل متكلمي اللغة العربية الفصحى في نجوة من اللحن، وهي التي تساعد على ترسيخ الملكة اللغوية ضمنيا من دون اللجوء إلى الحفظ الببغائي الكسول للمتون اللغوية، التي لا تضمن على الدوام تطبيقها بمترهية عالية تجعل كلامنا نقي الجوهر صفي الكوثر.

الهوامش

١ ـــ مجلة العربي، عدد ٦٦٢، ص ٣٥، صفر ١٤٣٥هـ/يناير ٢٠١٤م، وزارة الإعلام، الكويت.

المعاني الإسلامية في شعر مجانين العصر العباسي الأول

عاصم عبدربه
كاتب وناقد إسلامي

إن العصر العباسي الأول (١٣٢هـ - ٣٣٤هـ) يعد بحق هو قمة هرم الشعر العربي، فلا يمر الباحث فيه بعقد بل بعام إلا ويجد ما يسر النفس ويبهج الخاطر من شعر وأدب وأخبار، وليس بخاف على باحث في الأدب أنه تبعا لذلك تعددت طوائف الشعراء واتجاهاتهم، فرأينا المشهورين ورأينا أهل الخلاعة والمجون ورأينا الزهاد ورأينا الفرسان...الخ، إلا أن طائفة من طوائف ذلك العصر ضرب كثير من النقاد صفحا عن ذكرهم، وولوا وجوههم شطر غيرهم من الشعراء، أعني طائفة الشعراء المجانين.

ولعل كثيرا من الناس تنصرف أذهانهم عند ذكر المجانين إلى أمثال مجنون ليلى وأشباهه ممن تيمهم العشق، ولكن المقصود طائفة أخرى تماما، فالمقصودون هم المجانين حقيقة، تماما كمن نراهم في الطرقات في بعض البلدان يمشون حفاة وفي بعض الأحيان عراة، متسخة ثيابهم، طويلة شعورهم، يتعرض لهم الناس بالسخرية، والصبيان بالضرب بالحجارة، وهؤلاء وجدت طائفة منهم في العصر العباسي الأول، ظلمهم كثيرون بوسمهم بالجنون على جميع أحوالهم، فالمتفحص لأحوالهم يجد أنهم يعانون من جنون مؤقت، يأتي فنسمع منهم كلام المجانين ونرى أفعالهم، ويذهب فنسمع منهم كلام العقلاء ونرى أفعالهم.

من هم الشعراء المجانين، وما أسباب جنونهم؟

لو ذهبنا نستقصي أسماء الشعراء المجانين وشعرهم في ذلك العصر لطال بنا الحديث، ولكن نذكر بعضهم، فمنهم جعيفران المجنون (١٨٠هـ - ٢٣٠هـ) الذي جن بسبب حرمانه من الميراث (١)، ومنهم بهلول بن عمرو المجنون (... - ١٩٠هـ) ومنهم أبو يس (كان معاصرا لأبي نواس) الذي جن بسبب تفكره في مسألة حسابية لم يقدر عليها (٢)، ومنهم سعدون المجنون (عاش حتى عصر المتوكل) الذي صام أكثر من أربعين سنة فخف دماغه فجن (٣)، ومنهم خالد الكاتب الموسوس (.. - ٢٦٢هـ)، الذي سمعه أبوتمام ينشد شعرا فقال له:

شعرك هذا كله مفرط ..
في برده يا خالد البارد

فسمعها الصبيان من أبي تمام فصاروا يهتفون بخالد كلما رأوه: يا خالد البارد، يا خالد البارد، حتى جن (٤)، وغيرهم كثيرون يضيق المقام عن حصرهم.

احتماؤهم بالجنون

كأن الشعراء المجانين كانوا يعرفون أنهم في مأمن من العقوبة مهما فعلوا، فالناس لا يعاقبون فاقد العقل أيا كان فعله، فكانوا يجترئون على أي أحد، ويفرطون في التعرض للخلفاء والوزراء، فترى معانيهم الإسلامية سواء أكانت وعظا أم غير ذلك مشوبة بشيء من النقد الصريح اللاذع، فيقول سعدون مخاطبا المأمون (١٧٠هـ ٢١٨هـ) لما بنى قصرا:

يا من بنى القصر في الدنيا وزخرفه
أسست قصرك حيث السوس والغرق
لو كنت تُعنى بذخر أنت ذاخره
أسسته حيث لا سوس ولا خرق
والموت مصطبح فيكم ومغتبق
فاحتل لنفسك قبل الورد يا حمق
واذكر ثمودا وعادا أين أين همُ
فلو بقي أحد من بعدهم لبقوا (٥)

فالمعاني دقيقة جدا، فقصور الدنيا يصيبها السوس والخرق، ولو كان حصيفا لبنى قصرا من الحسنات في دار الخلد، فلا يصيبه سوس ولا خرق ولا غرق، ويبلغ سعدون ذروة الشدة وهو يقول للخليفة: يا أحمق، تلك الكلمة التي لو قالها غيره لربما كانت سببا في هلاكه.

وكان الخليفة الهادي (١٤٤هـ - ١٧٠هـ) يعاني من تقلص

شفته العليا، فأوكل أبوه به خادما يذكره بإطباق شفتيه، فكان يقول له دائما: موسى أطبق، فدخل عليه عليان المجنون (عاش حتى آخر خلافة الرشيد) وهو متزمل بفي سربال الأمن والطمأنينة لكونه يعرف أن الخليفة عالم بحاله، وهو القائل:

أفلح الزاهدون والعابدونا
إذ لولاهمُ أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبا
فمضى ليلهم وهم ساجدونا
حيرتهم مخافة الله حتى
زعم الناس أن فيهم جنونا

فسأله الهادي: إيش معنى عليان؟ فقال عليان: وإيش معنى موسى أطبق؟ فغضب الخليفة وقال: خذوا برجل ابن الفاعلة، وكان بهلول حاضرا فالتفت عليان إليه وقال: خذ إليك يا بهلول، كنا مجنونين فصرنا ثلاثة، فضحك الخليفة وعفا عنه (٦).

تفاعلهم مع قضايا عصرهم الإسلامية

ظهر في العصر العباسي الأول بدعة القول بخلق القرآن، التي تولى كبرها الزنادقة وعلماء الكلام، فامتحن العلماء، وجلد الإمام أحمد، وقتل من قتل، ولم يكن الشعراء عامة بمعزل عن هذه الفتنة، إلا أن العقلاء منهم كانوا ملجمين بلجام السلطان، مقهورين ببطش الحاكم، فلم يستطع أحد منهم أن يجهر في بغداد بالحديث في هذا الأمر في عصر المأمون ولا المعتصم ولا الواثق، فلما جاءت خلافة المتوكل بدأت الفتنة تخبو شيئا فشيئا، وكان من المجانين من تأثر بهذه الفتنة فظهر هذا التأثر على شعره، فيروى أن سعدونا المجنون دخل على المتوكل فقال له: يا متوكل:

ارض عن الله وثق بالله
وكل شيء بقضاء الله
ما تبلغ الفطنة كنه الله
ولا يفوت الخلق رزق الله
الله لا يشبه خلق الله
القبض والبسط فعال الله
والجود والفخر أيادي الله
يأيها القائل قل بالله
بالحق والصدق عرفت الله
فلا تكن مبتدعا في الله
ارض بدين الله، عبد الله
لا شيء أحلى من كلام الله
يكون مخلوقا كلام الله؟
يقولها مبتدع والله (٧)

وربما يقول قائل إن الذي جرأ سعدونا على المتوكل أن المتوكل كان كارها لهذه الفتنة، ولكن الشعراء المجانين كانت لهم مع الخلفاء المناصرين لهذه الفتنة أيضا جولات، فقد أرسل بهلول إلى الخليفة الواثق (٢٠٠هـ - ٢٣٢هـ) رسالة يقول فيها: «أما بعد، فإن المراء قد لعب بدينك، والأهواء قد أحاطت بك، ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك، وابن أبي دؤاد المشؤوم قد بدل عليك كلام

ربك، اقرأ ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه:١٢)، إلى قوله ﴿فَٱعۡبُدۡنِي﴾ (طه:١٤)، أيكون هذا الكلام مخلوقا؟! فرماك الله بحجارة من سجيل مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد (٨).

تجديدهم لمعاني الشعر بحسب عصرهم

شاع في العصر العباسي الأول السرف في بناء القصور والدور والإكثار من الموالي، لاسيما في أمراء بني العباس وحاشيتهم، فكان أن ظهرت طائفة من الشعراء مثلت ردة الفعل لتلك الحالة، فأخذوا يتكلمون عن الزهد وترك متاع الدنيا، والتخفف من البهرج والزينة، ولم يغب ذلك عن الشعراء المجانين، إلا أن المجانين كان لهم ما يميزهم عن غيرهم، وذلك أنهم كانوا يقولون ما يريدون قوله في وجه الأمير أو الخليفة، خلافا لغيرهم الذين كانوا يعظون وينصحون دون مواجهة، ومن ذلك ما صنعه بهلول مع هارون الرشيد وقد سار إلى الحج بحاشيته وموكبه وحشمه وحراسه، فأراد بهلول أن يعظه بالتخفف من زينة الدنيا، ويذكره بالموت، لاسيما وهو ذاهب إلى مكان يستوي فيه الجميع، فقال:

هب انك قد ملكت الأرض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس غدا مصيرك جوف قبر
ويحثو الترب هذا ثم هذا (٩).

وهو ما فعله سعدون مع الرشيد حين قال له ملحا على الفكرة نفسها:

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت ياتيكا
فما تصنع بالدنيا
وظل الميل يكفيكا
كما أضحكك الدهر
كذاك الدهر يبكيكا

فشهق الرشيد شهقة وقال: ويل لنا إن لم يعف الله عنا (١٠).

تأثير الثقافات الوافدة عليهم

وفدت على العرب في تلك الحقبة ثقافات أجنبية كثيرة، يونانية وفارسية وغيرها، وشاعت النظرات الفلسفية المتعمقة لأمور الحياة، وانعكس ذلك على الشعراء، فرأينا في أشعارهم حكما مستقاة من أفكار فلسفية عميقة، جاء أغلبها من الثقافات الوافدة، وفشت الحكمة بكثرة في شعر تلك الحقبة، وكان للمجانين منها نصيب وافر، فيحدثنا جعيفران عن أن المقياس المعتبر بين الناس هو مقياس المال، لا غير، فهو يرى أن المرء يكرم على قدر كثرة ماله، ويهان على قدر إملاقه وفقره، ويطبق تلك الفكرة على حاله مع الناس فيقول:

رأيت الناس يدعوني
مجنونا على عمد
وما بي اليوم من جن
ولا مس ولا عمد
ولو كنت كقارون
ووالي رحبة الجند
رأوني راجح العقل
جميلا حسن القد
وما ذاك على حق
ولكن هيبة النقد (١١).

بل إن بعضهم كان يصل في شعره إلى معان غائرة، وتأملات دقيقة قل أن تجد مثيلا لها في شعر الفطاحل، ومن ذلك قول أبي العنبس الصيمري (... - ٢٧٥هـ):

كم مريض عاش من بعد يأس
بعد موت الطبيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليما

ويحل القضاء بالصياد (١٢).

وهو معنى دقيق غائر، فقد يظن الناس بمريض أنه هالك لا محالة، وييأس أهله من شفائه، ويقرر الطبيب أنه ميت، وإذا به يبرأ من علته، ويطول به العمر حتى يشهد موت عائديه الذين ظنوا به الموت، وطبيبه الذي قرر أنه ميت لا محالة.

اقتباسهم من السنة

كم من شاعر من هؤلاء المجانين نجد في شعره اقتباسات من السنة باللفظ أو بالمعنى، والاقتباس عند المجانين له دلالتان، الأولى أنهم ينسجون على منوال معاصريهم الذين أكثروا من الاقتباس من القرآن والسنة، والثانية أن ذلك يرجح ما ذكرته في أول البحث من أن جنونهم جنون مؤقت، يأتي ويذهب، وإلا فمن المحال على مجنون كامل الجنون أن يفقه السنة ويقتبس منها ما يلائمه.

فمن ذلك قول أبي علقمة المجنون (أدرك أوائل الدولة العباسية):

محن الزمان سحائب متراكمه
هي بالقوادح والفواجع ساجمه
فإذا أصبت بنكبة تشجى بها
فاذكر مصابك بالنبي وفاطمه(١٣).

فقوله: فاذكر مصابك بالنبي، مقتبس من قول الرسول ﷺ: «إذا أصيب أحدكم بمصيبة فليذكر مصيبته بي» (١٤).

ومنه قول سمنون المجنون (... - ٢٩٨هـ) يذكر حبه لله تعالى، ويبين هيامه بحب الله فيقول في فكرة عميقة جميلة:

أنت في النفس والجوانح والفكر
وأنت المنى وفوق الأماني
كل شيء أراه منك بعين
صرت مستغنيا به عن عياني
فإذا غبت عن عياني أبصر
تك مني بحيث كل مكان (١٥).

فبيتاه الأخيران يشير بهما من بعيد إلى معنى قوله ﷺ في حديث جبريل: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (١٦).

والحديث عن إبداعات الشعراء المجانين في المعاني الإسلامية يضيق عنه المقام، لذا تجد طائفة كبيرة من النقاد يعجبون بشعرهم، ويفضلونهم على غيرهم من معاصريهم، فيقول ابن عبدربه عن عليان: «وكانت العلماء تستنطقه لتسمع جوابه» (١٧)، ويقول علي بن عبدالصمد الكوفي عن بهلول: «خدمته عشر سنين أطوف معه حيث طاف، أتسقط من نوادره، وأتلقف من أشعاره» (١٨). ويقول الدكتور شوقي ضيف عن أبي العنبس: «وشعره يسيل عذوبة، وكأنما يقول أكثره ارتجالا، فلا تكلف فيه ولا تعمل» (١٩).

وقد زعم الدكتور إبراهيم النجار أن كثيرا من أخبار مجانين الشعراء موضوعة ولاشك (٢٠)، واستشهد على ذلك بقلة تواترها بين الأدباء والرواة، وقد أبعد الدكتور إبراهيم فيما ذهب إليه؛ فمن المعروف أن أخبار المجانين من الشعراء قليلة إذا قيست بأخبار غيرهم من الشعراء، ومن الطبيعي أن ينصرف النقاد والمؤرخون عن أخبار هؤلاء إلى أخبار العقلاء من الشعراء، ثم إن وضع هذه الأخبار لا يمكن تصوره من أئمة الأدب والنقد، أمثال ابن عبدربه والحصري والجاحظ والحريري وأبوالفرج الأصفهاني وغيرهم، ثم إنه من البدهي أن تكون أو يكون أكثرها مقصورا على ذكر أسمائهم دون أسماء آبائهم وأجدادهم، فمن من الأدباء يعنيه اسم أب واحد من هؤلاء المجانين؟، وإنما الذي يعنيه هو ذكر بعض أخباره وأشعاره المستحسنة، وفات على الأستاذ إبراهيم النجار أن كثيرا من مشاهير الشعراء لا تعرف أسماء آبائهم.. بل إن بعض هؤلاء الشعراء مختلف في اسمه، وبعضهم كما يقول بعض النقاد وهمي لا وجود له (٢١).

ثم إن أشعار هؤلاء الشعراء المجانين كثيرة جدا؛ بدرجة يصعب معها أن تكون هذه الأشعار موضوعة، وليس أدل على ذلك من قول الحريري: «وأشعار المجانين في هذا الباب أكثر من أن تحصى» (٢٢).

الهوامش

(١) الأغاني ٢٣٠/٢٠.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١٦٤/٢.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ٣٧١/٩.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤٥٧/١.

(٥) عقلاء المجانين لابن حبيب النيسابوري ص ١٣٠.

(٦) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٨/٢.

(٧) عقلاء المجانين ص ٣٢.

(٨) عقلاء المجانين ٢٦.

(٩) عقلاء المجانين ص ٢٢.

(١٠) غرر الخصائص الواضحة للوطواط ص ٢٣٥.

(١١) عقلاء المجانين ص ٣٢.

(١٢) معجم الأدباء ٣٥٤/٢.

(١٣) عقلاء المجانين ص ٣٣٢.

(١٤) أخرجه ابن سعد في طبقاته ٢٧٥/٢، والدارمي في سننه ٤٠/١ وصححه الألباني.

(١٥) عقلاء المجانين ص٣٨.

(١٦) البخاري ح ٥٠ ومسلم ح ٨.

(١٧) العقد الفريد ١٤٥/٧.

(١٨) ذيل تاريخ بغداد ص ٩٢.

(١٩) تاريخ الأدب العربي ٤٣٤/٤.

(٢٠) شعراء عباسيون منسيون لإبراهيم النجار ٢٦٧/٣.

(٢١) ذكر أبوالفرج أن أناسا سألوا في بني عامر عن قيس بن ذريح فقالوا: ليس له في بني عامر أصل ولا نسب، فسألوا عن قائل هذه الأشعار، فقالوا لهم: فتى من بني أمية (الأغاني ١٠/٢).

(٢٢) شرح مقامات الحريري لأبي العباس الشريشي ٣٦٠/٢.

الدكتور صابر عبدالدايم في حواره لـ «الوعي الإسلامي»:

الأدب الإسلامي لا يعرف العبث

حوار: محمود زويل

الدكتور صابر عبدالدايم عميد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الشريف بمصر عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب مصر وعضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة أحد المهتمين بالأدب الإسلامي البارزين في عصرنا الحاضر وأحد الشعراء المتميزين.

التقته «الوعي الإسلامي» على هامش ملتقى مجلة العربي الكويتية الثالث عشر، الذي أقيم بالكويت تحت عنوان «الثقافة العربية على طريق الحرير».

فكان هذا الحوار:

● بداية نود أن تزودنا ببطاقة تعريفية عنكم؟

- أولا نشأت في ريف مصر الجميل، في بيئة زراعية في محافظة الشرقية، بقرية العطارين، مركز ديرب نجم، وفي قلب أسرة محافظة كثيرة الأبناء، والحمد لله، نعمت بالنشأة في ظل رعاية والد كريم وهبني للأزهر الشريف، حيث ختمت حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، ثم التحقت بالمعهد الديني بالزقازيق، وقضيت بهذا المعهد العريق تسع سنوات، وفي هذا المعهد تفتحت الموهبة الشعرية، حيث فزت بالجائزة الأولى على مستوى الجمهورية وأنا في الثانوية، في شعر الفصحى، ثم بعد ذلك انتقلت إلى المرحلة الجامعية في كلية اللغة العربية بالقاهرة، وهذه المرحلة تمثل تطورا مهما في حياتي العلمية والثقافية والإبداعية، حيث تعرفت على المنتديات الأدبية بالقاهرة، مثل رابطة الأدب الحديث وجمعية الأدباء وجمعية الشبان المسلمين، وغيرها من التجمعات الأدبية، وفي الجامعة نفسها قمت بمشاركة في النشاط الثقافي في الجامعة، حيث توليت أمين عام اللجنة الثقافية على مستوى جامعة الأزهر، وفزت بالجائزة الأولى في الشعر على مستوى الجامعات في السنتين الأولى والرابعة، وتعرفت على كثير من رجال الأدب والعلماء والشعراء في ذلك الوقت، ومنهم الشاعر المستشار محمد التهامي، والشاعر الكبير عبدالله شمس الدين -رحمه الله- والشاعرة ملك عبدالعزيز، زوجة الدكتور الناقد الراحل محمد مندور وغيرهم.

انتهيت من مرحلة الليسانس بتفوق، وعملت بالتدريس في مدينة دمياط، ثم أعرت إلى ليبيا بعد أربع سنوات، وفي هذه الفترة حصلت على درجة الماجستير عام ١٩٦٧م تحت عنوان «محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة»، ثم الدكتوراه عام ١٩٨١م وعنوانها «النزعة التأملية في أدب المهجر»، ثم عينت بجامعة الأزهر مدرسا للأدب والنقد في كلية اللغة العربية في العام نفسه، وفي الكلية أيضا زاد النشاط مع المشاركة في المؤتمرات الأدبية في مصر والعالم العربي، وتوالت المؤلفات الأدبية والنقدية، وخاصة الكتب المعدة للترقية إلى أستاذ مساعد وإلى أستاذ، حيث حصلت على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٨٥م، ثم درجة أستاذ عام ١٩٩٠م، وفي الثمانينيات أعرت إلى جامعة أم القرى للعمل بالتدريس في هذه الجامعة العريقة، وأيضا زاد اهتمامي بالثقافة والأدب والفكر الإسلامي، حيث كنت من أوائل المنتسبين إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهذه

الرابطة كان المكتب الرئيسي لها بالهند، حيث كان يرأس الرابطة العالم الإسلامي الكبير الشيخ أبوالحسن الندوي، وقد التقيته -رحمه الله- في مكة المكرمة وفي القاهرة وتركيا، في المؤتمرات التي كانت تعقدها الرابطة ويشارك فيها أدباء مصر والعالم العربي و الإسلامي، وعدت من جامعة أم القرى إلى جامعة الأزهر، ثم توليت وكالة الكلية ثم عمادتها من عام ٢٠٠٧م إلى عام ٢٠١٣م، والآن أعمل أستاذا متفرغا بالجامعة، وأيضا أمين عام اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر.

● كتبتم قصائد متعددة عن المسجد الأقصى المبارك، حتى لقبتم بشاعر الأقصى، فما هو الموقع والموقف العقدي والأدبي من المسجد الأقصى الشريف في نظركم؟

- المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين، والأصل أن له المكانة العظمى في وجدان وعقل كل عربي ومسلم على ظهر الأرض، وما يحدثه الصهاينة من محاولات حرق هذا الحرم الشريف، ثم محاولات تخريبه والحفر أسفله تحت وهم وزعم البحث عن الهيكل المزعوم، ومحاولات اقتحامه مرات عديدة، لاشك أن هذه الممارسات الهوجاء تؤذي شعور كل مسلم، وتدفع الغيورين على دينهم وإسلامهم وعروبتهم إلى مواقف المجالدة والمواجهة، كل حسب سلاحه وقدرته، وسلاح الأدباء والشعراء الكلمة القوية التي تحمس الجماهير، وموقفي الشخصي من هذه القضية هو موقف المواجهة وعدم الخنوع، والحلم دائما بالعودة والرجوع، ولي تجارب شعرية عديدة في هذا المجال، ومنها قصيدة بعنوان الشهيد والسلام الذبيح، أقول في مطلعها:

صعودا صعودا إلى سدرة المنتهى
فإن السلام الذي يزعمون انتهى
دماؤك طوفان عزم ومد
وملحمة الثأر أشعلتها
وأشعلت فينا فتيل الجهاد
وكل المخاوف مزقتها

● ما رأيكم في مصطلح الأدب الإسلامي؟

- هو ليس مصطلحا غريبا على حقل الثقافة العربية و الإسلامية، فكل أمة لها خصائصها وهويتها وخصوصيتها الثقافية، وأمة الإسلام تتسم بالمنهج المعتدل المتوازن، ومن أهم سمات هذا المنهج في المجال الإبداعي والإيماني هو التأمل في ملكوت السماوات والأرض، وفي مشاهد الطبيعة الكونية والأرضية التي سخرها الله للإنسان، وهذا التأمل الإيماني هو لب أو منطلق الإبداع الإسلامي، فكل ما يراه المسلم من آيات الله في السماء والأرض، وفي النباتات والبحار، وكل ما خلق الله في هذا الوجود هو مجال لتأمل الشاعر والأديب المسلم، وأرى أن هذا هو النبع الفياض لكل التجارب التي يطمح الأدباء المسلمون إلى ارتيادها، والتجديد في الموضوعات والرؤى والأفكار والصور، إذن فمصطلح الأدب الإسلامي هو التعبير من خلال الأساليب والصور الجمالية عن الطبيعة والإنسان والكون والحياة، وليس الأدب الإسلامي نظما خاليا من الموهبة الفنية أو خاليا من الصورة الجمالية والأساليب المبتكرة، لأن الأدب بكل فنونه: الشعر والقصة والرواية والمسرح والمقال والخطبة، يقوم على التفنن التعبيري والتصويري أولا، ومن المسلم به أن الرؤية لابد أن تكون من خلال الإيمان والتسليم المطلق لخالق الكون جل وعلا، فليس في الأدب الإسلامي عبث فكري ولا خيال سريالي غامض، ولا طلاسم ولا غموض؛ يبعد عن العقل والشعور.

● لقد قمتم بتدريس الأدب والنقد في جامعات مصر والجامعات العربية لسنوات عديدة، وخلال تلك الفترة تعددت المؤلفات الأدبية والدواوين الشعرية لكم، ونود إلقاء الضوء على بعض مؤلفاتكم ودواوينكم المطبوعة والمخطوطة ومشاريعكم الحالية؟

- الرحلة العلمية طويلة وممتدة، ولذلك تعددت المؤلفات العلمية والإبداعية، أما عن الإبداع الشعري فلدي الآن اثنا عشر ديوانا، منها سبعة دواوين مطبوعة، والباقي قيد الطبع، وأنا الآن أعد مشروعا شعريا متكاملا يتمثل في الأعمال الكاملة، حيث ستصدر عن وزارة الثقافة المصرية قريبا، ومن أهم الدواوين.

١- المسافر في سنبلات الزمن.
٢- الحلم والسفر والتحول.
٣- المرايا وزهرة النار.
٤- مدائن الفجر.
٥- العمر والريح.
٦- ملحمة القبو الزجاجي، وهي رسالة إلى محمد الفاتح قائد الفتوح الإسلامية في بلاد البلقان، وقد أصدرت عدة كتب نقدية وأدبية، وكذلك بعض الكتب التي تتبنى قضايا الفكر الإسلامي، ومن هذه الكتب.

١- الحديث النبوي رؤية فنية جمالية.
٢- الفنون الإبداعية بين التجربة التأملية والنزعة الواقعية.
٣- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق.
٤- تاج المدائح النبوية (شرح قصيدة البردة لكعب بن زهير).

وهناك كتب تعد الآن للطبع، وهي تنطلق من البيان القرآني والبيان النبوي.

● بصفتكم كنتم عميدا لكلية اللغة العربية بالأزهر الشريف.. فهل من كلمة عن دور ورسالة كلية اللغة العربية بالأزهر في النهوض باللغة العربية وآدابها؟

- حرصت منذ أن توليت وكالة كلية اللغة العربية منذ عام ١٩٩٢م ثم العمادة من عام ٢٠٠٧م أن تحقق الكلية رسالتها في الدفاع عن اللغة العربية وحمايتها وتعليمها بكل علومها وآدابها لطلاب العلم، وهذه الرسالة هي أيضا

تكليف يقوم به كل الذين يعملون بكليات اللغة العربية بجامعة الأزهر في القاهرة والأقاليم، وأعتقد أن كلية اللغة العربية بالزقازيق قامت بدور رائد في هذا المجال، من حيث النشاط اللغوي والثقافي والإعلامي والعلمي، والشاهد على ذلك أنها الكلية الوحيدة في جامعة الأزهر التي نظمت ثلاثة مؤتمرات علمية دولية متوالية، وموضوعاتها كلها في خدمة اللغة العربية والنهوض بها، فالمؤتمر الأول كان موضوعه معالم التجديد في علوم اللغة العربية وآدابها، وشارك في هذا المؤتمر خمسة وأربعون باحثا من مصر والدول العربية، وأما المؤتمر الثاني فقد كان موضوعه متعلقا برسالة اللغة العربية في خدمة الإسلام، وهو معالم التلاقي بين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، وتقدم للمؤتمر أكثر من خمسين باحثا، وأما المؤتمر الثالث فكان موضوعه عن الأزهر الشريف ودوره في خدمة اللغة العربية والإسلام، تحت عنوان «دور الأزهر في النهوض باللغة العربية وآدابها والفكر الإسلامي» وتقدم إليه أكثر من ستين باحثا.. مما يدل على إيماننا بهذه الرسالة، كما أننا قمنا بطبع بحوث المؤتمر الأول والثاني والثالث في ثمانية مجلدات، المجلد الواحد يبلغ ألف صفحة، فهي موسوعة علمية معاصرة تعنى باللغة العربية وعلومها وباتجاهات الفكر الإسلامي وارتباطه بقضايا الأمة العربية والإسلامية، وإلى جانب ذلك كليات اللغة العربية بجامعة الأزهر تحتوي على أقسام علمية عدة، ومنها قسم الأدب والنقد، وقسم البلاغة والنقد، وقسم اللغويات (النحو والصرف) وقسم أصول اللغة وقسم التاريخ والحضارة، وكلية اللغة العربية بالزقازيق تنظم الموسم الثقافي من كل عام، وكذلك تقيم المؤتمرات الشعرية الكبيرة التي يدعى إليها كبار الشعراء من القاهرة والمحافظات، وأيضا تنفرد كليتنا بتنظيم القوافل الدينية في قرى محافظة الشرقية، حيث تشجع أبناء الريف على حفظ القرآن الكريم، وتقيم مسابقات لذلك، وتمنح الطلاب مكافئات على الحفظ، كل حسب كمية الحفظ وكيفيته، وذلك من خلال جمعية القرآن الكريم بالكلية.

● ما هي أهم عوامل تطور وتقدم ونجاح الأدب الإسلامي في رأيكم؟

– إن الأدب الإسلامي في ظل التحديات الكثيرة التي تعوق مسيرته وحركته، وفي مقدمتها معارضة كثير من المنتمين لتيارات علمانية، حيث لا يرون في الأدب الإسلامي إبداعا –وبئس ما يزعمون– فالإسلام دين الحياة، والإبداع موهبة إلهية يمنحها الله لمن يشاء، وقد ثبت من خلال الواقع الأدبي تفوق كثير من المبدعين في الفنون الأدبية ممن يتبنون الرؤى الإسلامية، والشواهد على ذلك كثيرة جدا، وفي جميع البلاد العربية، بل في العالم الإسلامي قاطبة، ومن العوائق التي تقف حجر عثرة أمام حركة الأدب الإسلامي ضعف الموهبة عند بعض الشعراء والأدباء الإسلاميين، وخصوم هذا الاتجاه دائما يأتون بالنماذج الضعيفة، ولذلك أرى أن تتبنى مجلة «الوعي الإسلامي» المواهب الأدبية الواعدة وأن تشجعهم وتنشر لهم وتطبع مؤلفاتهم، بعد أخذ رأي النقاد، وتكليف النقاد بكتابة مقدمات للأعمال المتفوقة، وهذا ما تفعله رابطة الأدب الإسلامي، حيث تعقد مسابقات حول آداب الشعوب الإسلامية وحول الشعر النسائي، ومثل هذه المسابقات والتشجيع على النشر يفتح الطريق أمام الشعراء ذوي الرؤية الإسلامية، وأيضا أرى أن نفتح لهم الإعلام وكثير من البرامج، وأن يسعى الإعلاميون إلى تسجيل الندوات والمهرجانات الشعرية التي تعقد في التجمعات الأدبية والروابط ذات التوجه الإسلامي الوسطي المتوازن المعتدل.

● ما هو موقع آداب الشعوب الإسلامية في العصر الحاضر بين آداب العالم من حيث المستوى والتلاقح أو التواصل، وكذلك التفرد والتميز؟ وما هي الصعوبات التي تعرقل ازدهارها؟

– إن آداب الشعوب الإسلامية يجب أن نهتم بها وأن يقوم الخبراء في الترجمة ونقاد الأدب بترجمة إبداع هذه الشعوب إلى اللغة العربية، ليطلع عليها المبدعون العرب، لأن هذه الشعوب لديها مواهب فريدة وتجارب عديدة وتنوع في الإبداع، وقد أشاد بهذه الظاهرة التي نغفل عنها الناقد الدكتور الطاهر مكي في الأدب الإسلامي المقارن، وقال إن هذه الشعوب يتسم أدبها بالقوة والحيوية والتجديد، ولديهم شعراء وأدباء كبار يفوقون أدباء الغرب، ويرى بأن النقاد المحدثين يشيدون بكبار أدباء الغرب ويهملون هؤلاء الشعراء لأنهم مسلمون، ولذلك لم تلمع أسماء كثيرة منهم، بسبب الموقف التعتيمي، وفي مقدمتهم الشاعر محمد إقبال، وهناك شعراء في ماليزيا وفي سراييفو وفي البوسنة والهرسك وتركيا وإيران والهند، ويجب التنبيه إلى آداب هذه الشعوب، حرصا على ارتباطهم دائما بمنابع الإسلام وآفاقه التي لا تحد.

العجوز المحروم

خالد برادة
باحث مغربي

هاهو الأستاذ إدريس قد اعتاد أن يسلك طريقه المؤدي إلى عمله الذي يبعد عن بيته نحو ستة أو سبعة كيلومترات، حيث ينتظره تلاميذه الذين هم كالورود ينفح شذاها، ولو أنهم لا يزالون في ثياب الصبا، تجللهم براءة الطفولة، ليلقن هؤلاء البراعم آيات من الأدب والعلم، مؤديا بذلك رسالة تربوية جليلة منوطة به، رغم عناء الطريق الذي كان لزاما عليه أن يتكبد مشاق السير فيه، لوعورة جغرافيته، ولكن الأرض تسعد بوطء قدميه، ليصل إلى تلك المدرسة النائية، الوحيدة في تلك البادية، ولكن عزيمة الأستاذ المحترم ما كانت لتفتر عن أداء عمله الذي أخلص له، فهانت عنده المشاق، ليؤدي عمله المتقن.

ولقد كان في كل يوم من أيام عمله، وخاصة في الصباح الباسم الذي يعانق وجهه المشرق المتفتح بالأمل، مصافحا طلعته البهية بمزيد من إذكاء العزم وإيقاد وهج الفكر، إلا أنه كان يشغل باله ما تبصره عيناه، وهو في طريقه إلى العمل، شخص يلفت انتباهه، ويسترعي اهتمامه، يتراءى له من خلال مظهره العجيب أنه شيخ كبير أو أنها عجوز مسنة، فهو لا يستطيع أن يميز شخصية هذا المرء الذي يلوح له من بعيد، أهو رجل أم امرأة، لرثاثة حاله، وملابسه الرثة التي كان يتخذها درعا واقيا من البرد الشديد، فيوحي مظهره أنه كالشريد، وكانت تلك الملابس البالية تحجب عن الناظر تحديد جنسه، أرجل أم امرأة، وقد عرف الأستاذ فيما بعد أن ما شغل باله، وأشفق لحاله، هو رجل مسكين، تقوس ظهره، ونقش الزمان التجاعيد على وجهه، وقد أخذت منه السن، وتقعقع الشن، فمظهره البائس الذي ترق القلوب مشفقة على حاله يفصح عن تجهم الحياة في وجهه، وشظف العيش الذي يعانيه، وضيق ذات يده، ولا أدل على ذلك من ثيابه التي يحتمي بها من برودة الجو، خشية أن تصيبه نزلة برد فتضعف جسمه النحيف، وكان بجانبه بقرتان يرعاهما، ربما كان أجيرا يرعى البقرتين مقابل دراهم معدودة، لا تكفيه لتلبية حاجاته.

واستمر الحال على ذلك أياما وأسابيع، وفي صبيحة أحد الأيام من فصل الشتاء، حيث لا تسمع إلا صوت الرياح المزمجرة، التي لا تجعل الأقدام راسخة في الأرض، بل تتقاذف صاحبها يمنة ويسرة، كان الأستاذ إدريس ميمما وجهه كعادته إلى عمله، رغم العواصف الشديدة، ولكنه صابر في سبيل كسب الرزق الحلال من عمله، لتقر عينه، وتسعد نفسه بأمانة غرس بذور العلم في صغاره، ولكن راعه هذه المرة بدمعة ساخنة، ولوعة شديدة، ما رآه من راعي البقرتين، ذلك العجوز المسكين الذي ازور عنه مجتمعه، فلم يقدم إليه أحد من أبناء قريته ولو قماشا من الصوف يحميه، فما كان من الرجل إلا أن أضاف إلى ملابسه البالية التي لا تكفيه دفئا في ذلك الفصل البارد، قطعة من البلاستيك، يطلق عليها بالعامية في منطقتنا «الميكة»، إذ لم يكن هناك بد أو خيار أمام الرجل سوى أن يضع تلك «الميكة» على جسمه؛ علها تحميه من قطرات الغيث، فهو يخشى إن لم يفعل ذلك أن يعرض نفسه لأخطار صحية، هو في غنى عنها، فليس لأمثال هذا الرجل ما يشبع بطنه من الطعام، بله ما يعالج به جسمه من الأسقام، وعند ذلك تابع الأستاذ الكريم خطواته، ونفسه تختلج بالأحاسيس المرهفة، وقال لي: قلت بيني وبين نفسي: كم من أناس يستمتعون بالدفء الوفير والرزق الكثير داخل بيوتهم، ولهم أنواع من الثياب التي تناسب كل فصل من فصول السنة، وفي المقابل كم من الفقراء الذين غلبهم الزمن، وعضهم الفقر بنابه، وتنكر لهم المجتمع في مثل هذه المواقف التي تستدعي مد يد المساعدة لهم، فراحوا يحتمون بألبسة توفر لهم الدفء، حيث يكون البرد في أشد سطوته.. فقلت له: لله درك يا أستاذ، وشكر الله لك عاطفتك الموفورة، وأحاسيسك التي سكبتها في بحور الوجدان المرهف والصدق المسعف، وأخذت أهمس بهمسات شاعر وخلجاته قائلا:

عار علينا أن يعرى الفقراء، ويذوقوا البؤس المترع بالحرمان، وتربو عند أصحاب الترف فضول الأموال، وأصناف من الأثاث الوفير والثياب الزاهية القشيبة، وربما لفظوها إذا مرت عليها بضعة أشهر، فكان مصيرها الإتلاف، دون أن يكلفوا أنفسهم نظرة حانية بالتفاتهم إلى من يعانون، من المساكين الذين يبحثون عن اللقمة في كل مكان، راضين بمصيرهم الذي يتسبب فيه أهل البذخ والثراء، فمتى تحفظ كرامة الفقراء حتى لا تهدر نتيجة رقة الحال..؟

ولكن يبقى لهم أقوى سلاح، إنه الرجاء في رب الأرض والسماء.

إخلاص تائه

محمد ثابت توفيق
أديب مصري

«يا بني، ألم تتصل في وقت متأخر منذ يومين وأخبرتك بأن هذا ليس اتفاقنا؟! لذا، فإنني لن أتواصل معك.. عفوا، ضع السماعة من فضلك، واغلق الخط».

وقف الشاعر المخترع الشاب متعجبا! نظر إلى عناوين المحال الغريبة عليه في دهشة، رفع عينيه إلى السماء فشعر بمزيد من الحرارة تنبعث في جسده، رغم برودة الطقس في البلد الأوروبي! ظن الرجل يمزح معه، فتذكر كم هو فاضل.. فلماذا يقول له هذه الكلمات إذن؟!

الاتفاق واضح ومحدد، وحرص على تنفيذه بدقة: هناك مسابقة عالمية ستقام في هذا البلد، تبدأ مساء اليوم، جاءه خطاب بعلم الوصول من أحد كبار الأساتذة الجامعيين ممن لهم علاقة بالمسابقة، يخبره فيه - وفقا للاتفاق الذي دار بينهما من قبل - بحضور عدد من المهتمين بالتكنولوجيا والإبداع معا في العاصمة العربية التي ينتمون إليها، وكان الدكتور عبداللطيف حينها زائرا في إجازته السنوية إلى بلده.. طلب من المسؤول عن المتفوقين في الجامعة موعدا وقال له:

- «تقام مسابقة دولية للبحث عن أفضل طالب مخترع ينظم الشعر، وينبغ في المجالين، ولو بدرجة متقاربة.. رشح لي أحدهم، على أن استضيفه في فندق مدة المسابقة، وهي أيام معدودة، لأن المسابقة غير رسمية في مرحلتها الأولى».

على الفور تهللت أسارير المسؤول، وطلب مهلة لمراجعة الحاسب الآلي الخاص بالطلبة (وإن كان الاسم في ذهنه)، إلا أنه راجع ملفات إلكترونية، واتصل برقم هاتف طالب، ولأنه قادم في الطريق إلى الجامعة، والأستاذ الزائر متعجل، فقد خرجا معا لملاقاة الشاب.

بوادر الطيبة كانت تشع من محياه، يمضي وسط مجموعة من أقرانه، أراد الضيف الحديث إليه وحده، إلا أن شابا آخر بقي قريبا:

- «نريد نماذج جيدة من إبداعك.. التكنولوجي والشعري.. وأنت كما قيل لي لك قصائد بالإنجليزية، سأنتظرك يوم... من شهر... تهاتفني على هذا الهاتف المتحرك، من أقرب هاتف عام في المطار فآتيك.. وسيصلك مني خطاب بعلم الوصول فيه مختصر المعلومات».

نفذ الشاب المطلوب منه حرفيا، ولكن لماذا يقول له الأستاذ إنه جاء إلى البلد الأوروبي من قبل، واتصل به، والتأشيرة بيمينه لم يمض عليها سوى نصف الساعة مسافة الحصول عليها وختم الجواز بخاتم الدخول؟!

انتبه الشاب إلى سماعة الهاتف بيمينه وصوت الإنذار بضرورة وضع السماعة.. لقد أغلق الأستاذ الخط بالفعل.

ماذا عليه أن يفعل في هذا البلد الغريب عنه؟ وإلى أين يذهب؟ وإن استمر الوضع على هذه الحال فكيف يعود إلى بلده؟

استغفر الشاب ربه وحمده، كما اعتاد في المواقف العصيبة، وبدأ تركيز عقله يعود إليه.. الأستاذ جاد فيما يقول، وهو لم يأت إلى هنا إلا الآن.. فأين الإشكالية إذن؟

فوجئ الدكتور عبداللطيف قبل موعد حضور موفق بيومين (الشاب المعني بالحضور إلى المسابقة)، برنين هاتفه المتحرك قبيل منتصف الليل.. قال له صوت على الطرف الآخر: «أنا الشاب الذي دعوته لحضور المسابقة.. كيف آتي إليك؟».

ثار الرجل وانفعل وقال:

- «موعدنا بعد غد، والتأشيرة تبدأ من غد، فكيف أتيت إلى هنا الآن؟».

غاظه أكثر أن الطرف الآخر بدأ يتلعثم فأضاف:

- «ولكن حجز الفندق موعده بعد غد، وأسرتي معي، ضع الخط وعد يا ولدي من حيث أتيت».

لم ير الدكتور عبداللطيف موفق إلا مرة، فكيف يمكنه أن يصلح الموقف.. راح موفق يحدث نفسه عن نفسه.

دقائق، مرت عليه كدهور طويلة، وجاءه الحل.. رجل يحمل ورقة متوسطة عليها اسمه.. قال:

- «أنا من طرف الدكتور عبداللطيف.. سيعتذر إليك على خط الهاتف بنفسه».

- «بني، لقد عركتنا الحياة، ولكن بعض من ينتسبون إلينا يفعلون العجب بنا، ومن ثم يوقعونا في لبس وحرج شديدين، ومن عجب يفعلون «الأمر» بنا، فنأخذ وهلة لنفهم، وهلة غير قليلة.. بني، لم يكن أحد سيحضر المسابقة على دقتها منا من الأصل، لأن شابا منا تصرف تصرفا غير مسؤول.. وساعده على هذا توافر إمكانية المجيء إلى هنا من دون التأشيرة التي أعددتها لك، واضح إنه كان معنا أثناء اتفاقنا قرب باب الجامعة في بلدنا، ولكن لأن الخطاب لم يصله في الموعد المحدد، ولأن داء البشر النسيان، فقد أخطأ في المجيء قبل الموعد، وفي وقت غير مناسب، لم يكن الله ليفلح محاولته، تقبل اعتذاري وبالتوفيق».

في نور السجود

د. عبدالمنعم عبدالله حسن
أستاذ بجامعة الأزهر

تهفو الجباه إلى عناق الأرض في نور السجودْ
هي متعة للنفس فاق مذاقها كل الحدودْ
فإذا هوى رأسي ارتفعت وجبت آفاق الوجودْ
روحا تحلق في العلا مجتازة كل السدودْ
النفس في نور السجود تفك من كل القيودْ
تصفو إذا تفضي بما فيها لخالقها المجيدْ
وتعز في ظل العبادة، إنها حقا تسودْ
وتسبح الأعلى فتعلو والرضا فيضٌ وجودْ
يا رب متع جبهتي بسجودها لك يا ودودْ
وإذا سجدت قربت، فيه العبد أقرب ما يكونْ
فأطل سجودك واقترب، يغمر فؤادك باليقينْ
واضرع لربك بالدعاء فإنه الحصن الحصينْ
أفرغ همومك للسميع، فكل صعب كم يهونْ
إن السجود سكينة للنفس تغشى المخبتينْ
يلقون فيه من الهداية ما تقر به العيونْ
فيعمهم فيه الرضا، قد فاز وفد المتقينْ
للساجدين من الإله الحق بشرى المؤمنينْ
والقلب في نور السجود يعمه نور مبينْ

رواية البحث عن النفس

«مخيم يا وطن»

محمد أبو السعود الخياري
باحث وناقد مصري

يمكننا وببساطة التعامل مع رواية «مخيم يا وطن» للكاتبة دعد الناصر باعتبارها رواية الظروف الراهنة.

وعلى الرغم من صدور الرواية قبل نحو خمسة عشر عاما، فإن فكرة تحول الوطن إلى مخيم قد شهدت انتشارا مؤسفا في الوقت الحاضر. لم يعد أهل فلسطين وحدهم من يسكنون الخيام ويعيشون معيشة البؤس والمعاناة وينامون بعيدا عن تراب الوطن. وإذا كانت بعض الدول تستضيف مواطني الدول المكلومة في مخيمات بائسة على أراضيها؛ فإن مواطنين من تلك الدول قد استقبلتهم مخيمات من دول جديدة.

انضم السوريون والعراقيون (أصحاب الحضارات الأقدم والأعرق) إلى طابور اللاجئين، وإلى نزلاء المخيمات، وانتشرت المخيمات في الأردن وتركيا للسوريين، بعدما كانت سوريا مخيما للفلسطينيين. ملايين المسلمين - الغني منهم والفقير - في هذه الدول العريقة صاروا بلا مسكن، وصار المخيم بكل دلالاته على المعاناة النفسية والبدنية هو ملجأهم البائس؛ لكنه الآمن، بعدما فقدوا الأمن في أوطانهم، وصار خيارهم بين الاحتفاظ ببيوتهم والاحتفاظ بالحياة.

رواية «مخيم يا وطن» هي الرواية الفائزة بالمركز الثاني في مسابقة الرواية التي أجرتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية للأديبات، وصدرت طبعتها الأولى ٢٠١٠ م في نحو ١٢٥ صفحة من القطع الصغير؛ وتقع في تسعة فصول.

مريم.. الشخصية الحلم

تقدم لنا الرواية تجربة خصبة للتعامل مع فكرة الوطن.. فكرة تبدو شبيهة بطبيعة الأسماك التي تولد في مكان ما في المحيط على امتداده، ثم تقودها الفطرة، وتدفعها غريزة حب الوطن إلى قطع آلاف الأميال نحو هدف وحيد هو العودة إلى وطنها الأم، لا توقفها في الطريق مغريات، ولا تثنيها معوقات.. رحلة مضنية، لكنها رحلة البحث عن النفس وإعادة العلاقة بين الجسد والروح.

تقف شخصية مريم العموري، الشخصية الرئيسية في الرواية، على الحد الفاصل بين الحلم والواقع، بين الحقيقة والسراب، بين الوطن المتحقق (ولدت ونشأت في أميركا) وبين الوطن الضائع (الأب والأم فلسطينيان).

«مريم العموري، شابة في السابعة والعشرين من عمرها، خريجة قسم الصيدلة من جامعة كاليفورنيا الأمريكية الشهيرة، وجهها طيف فلسطيني كرمي لم تستطع أمريكا أن تخفي مسحته السهلية التي ظلت نسائمه تنشق سحر البحر الممتد، طيف فلسطيني كرمي لم يلتصق بالجذور مرة، ولا ردد أغنية النبض الآتي من هناك.. من رحم الأرض التي تمتد وحيا يحكي بهمس شفيف أمومة ندية فجيعة! لم ترسب في ذهن الفتاة ذات الوجه الأسمر المشرب بحمرة شفق حكاية الوطن قبل هذه الأسابيع القليلة الأخيرة» (الرواية، ص ٨ و٩).

بين حياتها الآنية المتخمة بالاستقرار والتجدد والرفاهية، وحياتها المفاجئة التي عادت إليها فيما يشبه الحلم.. فجأة ومن دون ترتيب قررت الأسرة قطع الطريق كاملا بين الوطن البديل المخملي والوطن الأصيل شديد الخشونة.

المخيمات قبور يسكنها الأحياء

بين ظلامين كان النزوح المفاجئ لأسرة مريم: من نور الاستقرار إلى ضباب التيه.. ظلام المجهول الذي تندفع إليه الرحلة المفاجئة، وظلام الليل الذي انطلقت الأسرة تحت أستاره.. كانت الرحلة أشبه بالأسطورة.

ويبدو الواقع أكثر غرابة من الأسطورة، حيث لم تتفتح عينا مريم منذ مولدها سوى على أمريكا، وهي اليوم ليست مع فلسطين الوطن، بل فلسطين المخيمات! وكانت عودة الأسرة إلى مخيم من

مخيمات الأرض الأم صادمة ومحبطة، لاسيما لمريم التي انتقلت بين قطبي الأرض في ليلة من عمرها.

«تشكل صوت الأب هذه المرة صفعة قوية مزقت آخر أمل ببديل منطقي، عندما جاءت كلماته مهتزة باردة:

هناك لو سمحت!.. سنتابع مشيا، فالطريق ضيق.

دس بيد السائق عملة حديدية غريبة.. فتح الباب الخلفي.. أمسك بيد صغيرته، وشد عليها شالها الحريري الذي لم يفلح في تدفئة جسدها الراجف.. ضم زوجته إليه، وأسرع المشي مشيرا إلى بيت صغير من اللبن تغطى أعلاه بصفائح «زينكو»، كما بقية البيوت، أعطت إيقاعا متجددا للموت المنصهر في كل حبة من حبات المطر النازفة فوق رؤوسهم..» (الرواية، ص ١٦ و١٧).

لم تكن الصدمة الحضارية فقط هي التي اجتاحت وجدان مريم وأصابتها بالذهول، بل كانت الأثر الأكبر لصدمتها النفسية، فقد ظلت فلسطين تعيش في مخيلتها حلما يفيض بالمودة والتعاطف، لكن لم يخطر لها يوما أن ينتقل الحلم إلى أرض الواقع.. وكانت بداية الأسرة الفزعة بالانزلاق في الوحل؛ ليكرس السرد تلك الحالة الوجدانية البائسة التي صاحبت الأسرة منذ لحظة الخروج من منزلهم في ولاية ميتشجن.

«انغرست أقدامهم في الوحل، وشربت أجسادهم الغضة أول فجيعة في هذا المكان الغريب الوضيع .. التصق الأب بالباب، وجعل يدق بانفعال وعصبية.. لحظات وانفتح الباب عن وجه طفل ملتحف بغطاء مهترئ.. دخل الأب، وهو لا يزال ضاما زوجته التي انحشرت بين صدره وجاكته المصنوع من الجوخ الإنجليزي الفاخر باكية وجلة.. مد يده ملامسا يد الصغيرة التي بدت خطواتها مترددة حائرة.. انغلق الباب.. كان صريره موحشا مخيفا» (الرواية، ص ١٧).

تحول الفكرة.. تحول الإنسان.. تحول الحياة

بدت حياة مريم العموري بائسة تعسة في جزء كبير من بداية حياتها في المخيم، ولم تتغلب بسهولة على شعورها بالسخط على الحياة والأحياء فيه، بل ظلت مؤمنة بأن وجودها بينهم هو وجود خاطئ أو مؤقت، وظل السخط والازدراء هما شعوراها العاتيان نحو الحياة والناس.

ويشي المشهد الحواري التالي بتلك الفجوة بين فكرة الوطن عند مريم من ناحية وعند أصحاب القضية من سكان المخيم من ناحية أخرى:

«أنت مسكينة يا مريم.

أنا!.. ضحكت.. أنتم المساكين.. إنني على أي حال أحلم بأمل قريب.. أما أنتم، فماذا يعشش في رؤوسكم غير الأوهام والهوان؟

- يسكننا الوطن.

- آه.. لا تتحدث عن الوطن.. أنت لا تعرف الانكسار الذي دوى بداخلي إذا تنفصل جذوري عن الوطن.. وطني الجميل.. وطني الحلم الذي يرسم الوجود طيفا بديعا يداعب كل حس جميل بداخلي.. أعطيك عمري، إذ تهبني لحظة واحدة أتملى فيها وجه أمريكا الرائع.. الوطن.. ماذا تعرفون عن الوطن؟» (الرواية، ص ٥١ و٥٢).

وتمنح الرواية دورا بارزا للجدة، حيث لعبت دور المعالج النفسي، وأسهمت في تحول مريم تدريجيا من السخط إلى التعايش، ومن ازدراء مواطنيها في المخيم إلى التعاطف معهم والانتماء إليهم.

وفي الحوار التالي تقوم الجدة بإنارة بصيرة مريم، وبالمعلومة والمشاعر الجياشة كان حديث الجدة مع مريم كاشفا ومؤثرا.

«الإنجليز يا مريم.. ما طلعوا حتى تأكدوا من أن اليهود قادرون على سرقة كل شيء.. الوطن.. الناس.. الشجر.. الهوا.. لعنة الله على اليهود وعلى الإنجليز.

- وأنتم يا جدة.. هل سكتم؟

- والله يا مريم ما سكتنا.. الله يشهد وعباده يشهدون.. لكن ماذا نعمل واليهود جردونا من كل سلاح، والإنجليز زودوهم بكل سلاح.. عدل يا مريم، ما صار؟.. والله ما هو عدل.. البيوت تهدمت، والناس قتلت، والأراضي صودرت.. وبرغم كل شيء ما سكتنا.. حاربنا بالعصي وبالبواريد التي ظلت بين أيدينا.. الله يرحمك يا قسّام، ويرحم ثورتك.. الله يرحمك يا قسّام!» (الرواية، ص ٥٨ و٥٩).

ولم يكن الحوار مع الجدة، بوعيها وإيمانها العميق بعدالة الله تعالى وعدالة قضيتها، هو المؤثر الوحيد في مريم، وفي تحول فكرها وتبدل أولوياتها؛ بل كان مقتل والدها صدمة جديدة من ذلك النوع الذي وهبها حياة جديدة.

«لفت شالها الأبيض الذي ارتمت أطرافه على ثوبها الفلسطيني المتجدل بإيمانها العميق.. استقبلت النور حالمة بالغد الوضيء بعيدا عن أي ذاتية مقيتة.. كانت الأوراق المتناثرة حولها تعلن الرفض وعدم الاستسلام.. لن يستطيع أحد أن يخفي الشمس بيديه الآثمتين.. لن يستطيع أحد أن يستأثر بالهواء، فيرمينا صرعى خواء.. سأمضي.. ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ (التين:١-٣).. بموتك يا أبي، أزهرت أشجار اللوز والكروم.. لأول مرة أبصر حوش الدار الذي لم أقض فيه طفولتي وشبابي.. وها أنا أقضي فيه أحلامي بوطن غير شريد.. أقداس لا يعرف حرمها دنس الآثمين.. إيه يا شجرة السنديان.. ويا أغنيات الحياة، كم أنا ظمأى إليك!..» (الرواية، ص ١١٤ و١١٥).

لم تكن تعرف دعد الناصر أن روايتها الفائزة بالجائزة الثانية في مسابقة الرواية التي أجرتها رابطة الأدب الإسلامي العالمية للأدبيات والمنشورة في العام ٢٠١٠.. لم تكن تعرف أن الرواية التي جسدت مأساة القضية الفلسطينية وتحول الوطن إلى مخيم ستكون رواية أوطان عربية أخرى عديدة.. حين أضحى الناس مطاردين في أوطانهم، وبات الاحتفاظ بالبيت والسكن والاستقرار في ظل الوطن آمالا عالقة بالسماء.

كتاب «بر الوالدين» للإمام البخاري

التحرير

هذا الكتاب عبارة عن جزء حديثي كان معروفا متداولا في مجالس الرواية قرونا متتالية، ثم صار معدودا في المخطوطات المفقودة في القرون المتأخرة، إلى أن مَنّ الله على أهل العلم بالوقوف عليه، ومن المتأخرين الذي حازوا هذا الشرف: الحافظ محمد عبدالحي الكتاني -رحمه الله- الذي حفظ المخطوط في خزانته العامرة.

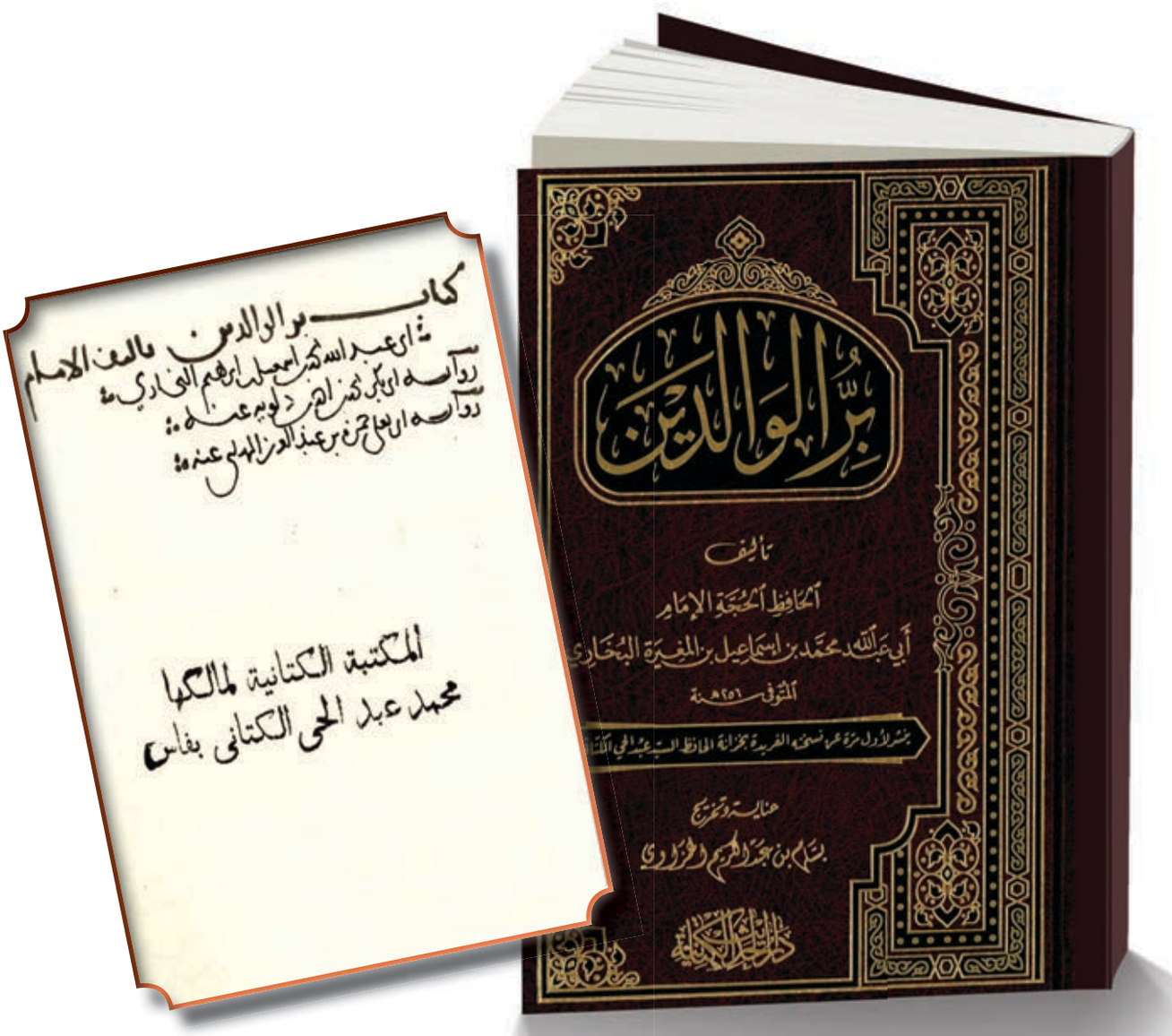

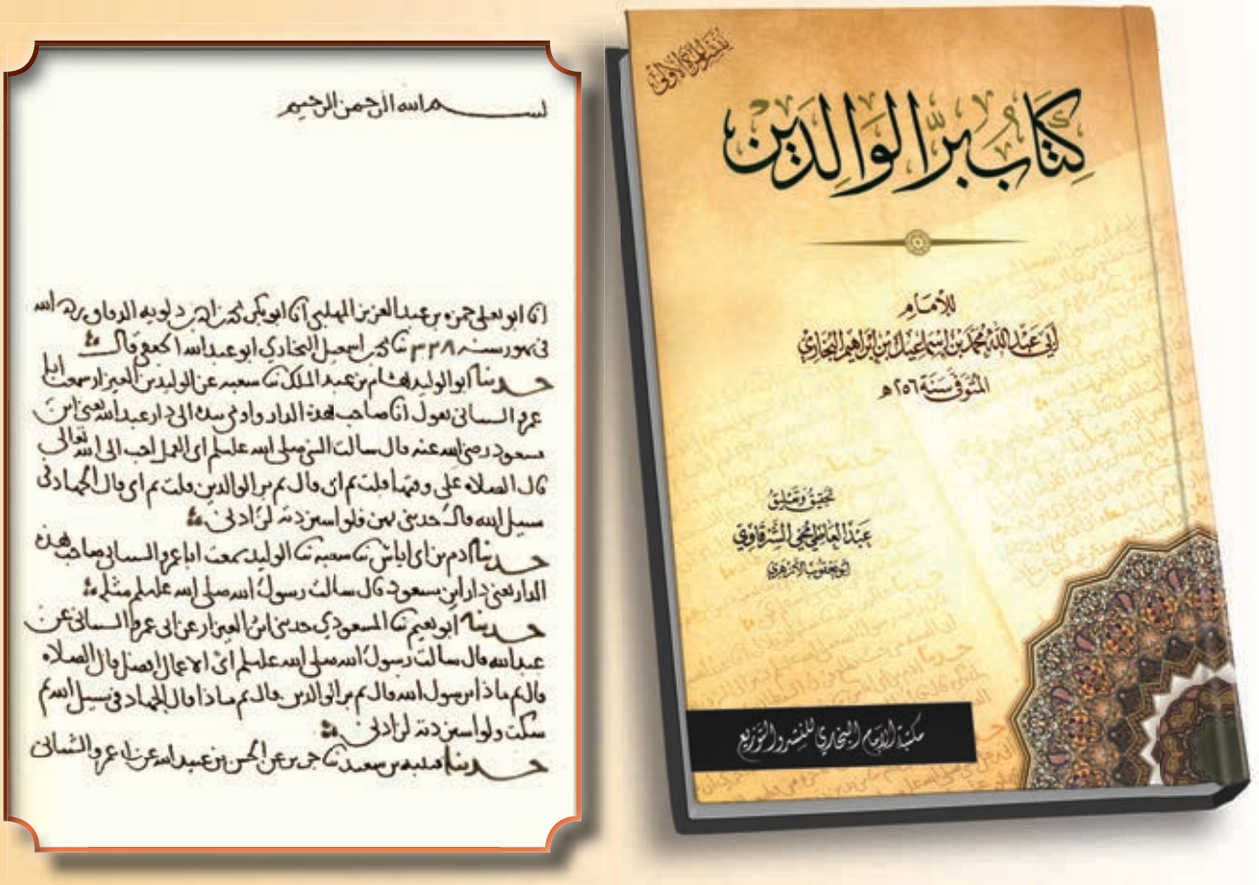

من رحمة الله سبحانه أن يسر لهذا الكتاب النفيس الخروج إلى النور؛ فقام على العناية به وخدمته؛ فاضلان كريمان، كل على حدة:

الأستاذ بسام عبدالكريم الحمزاوي (دار الحديث الكتانية، طنجة، المغرب، طبعة١، مجلد واحد، ١٤٣٥هـ).

الأستاذ عبدالعاطي محيي الشرقاوي (مكتبة الإمام البخاري، القاهرة، طبعة١، غلاف، ١٤٣٥هـ).

نسبة الكتاب

لا شك في صحة نسبته إليه، وذلك لرواية جماعة من أهل الإسناد الموثوقين هذا الجزء الحديثي في أثباتهم ومشيخاتهم بأسانيدهم المتصلة بالإمام البخاري، ولأن عددا من الأئمة نصوا على تسمية الكتاب ضمن مؤلفات الإمام البخاري.

أحاديث كتاب «بر الوالدين» ومدى تعلقها بموضوع البر

تنقسم نصوص الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

■ أحاديث تتعلق بموضوع البر بشكل مباشر. مثل:

«أي العمل أحب إلى الله»... قال: «ثم بر الوالدين».

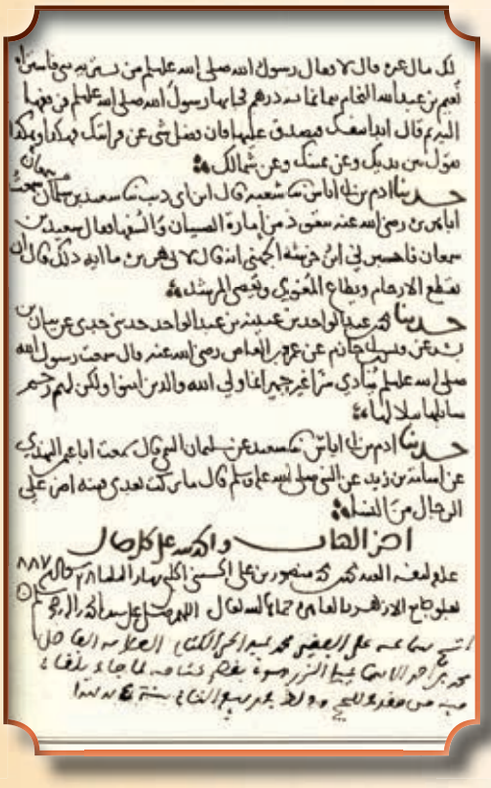

«من أحق الناس بحسن الصحبة؛ قال: أمك».

«ففيهما فجاهد».

■ أحاديث تعتبر ملحقة به، وإن لم تكن ذات علاقة مباشرة به؛ كنصوص صلة الرحم وتحريم العقوق. مثل:

«لا يدخل الجنة قاطع».

«ليس الواصل بالمكافئ».

«لها رحم سأبلها ببلالها».

■ نصوص عامة لها تعلق بالموضوع من أوجه خفية؛ لا يهتدي إليها إلا حذاق العلماء. مثل:

«إذا جاء أحدكم والإمام يخطب فليركع ركعتين».

«لا تغضب».

«ليس الشديد بالصرعة».

درجة الأحاديث

مجمل ما ورد في الكتاب من الأحاديث لا ينزل عن رتبة الصحيح أو الحسن، وجل الأحاديث مرفوعة إلى النبي ﷺ، ما عدا بضعة أحاديث تدور بين الموقوف والمقطوع.

تزكية الذات

د. نبيل فولي
باحث دراسات إسلامية

شاع مصطلح «تنمية الذات» في عصرنا هذا شيوعا كبيرا، وتناقلته الألسن والأقلام، وعقدت لأجله المؤتمرات والندوات والدورات، حتى تبنت منظمة اليونسكو الدعوة إلى هذا العمل الإيجابي الكبير في إحدى دوراتها.

وتنمية الذات موقف إيجابي رفيع تجاه النفس يهتم صاحبه بإبراز ما يمكنه من مهاراته وإمكاناته الشخصية المتعلقة بالحياة العملية. وفي المقابل فإن الغفلة والإهمال في هذا الجانب لا يحولان دون تقدم الإنسان وتطور قدراته فقط، ولكنهما يهدران القائم من إمكاناته ويحولانها أثرا بعد عين كذلك.

الموقف الإيجابي

وموقف الإنسان الإيجابي من نفسه محمود في الإسلام أي حمد، بل إن الشريعة برمتها قائمة على تفعيل طاقات الإنسان النفسية والعقلية والبدنية، وتوجيهها وجهة تعطي الفرد والجماعة أكبر قدر من الخير الديني والدنيوي، وتتجنب قدر المستطاع السلبيات والشرور الناجمة عن التفاعل والاحتكاك مع الناس، بما فيهم من نوازع وما يتبنونه من مواقف.

ومن الأمثلة القرآنية البسيطة والبارزة على هذا التفعيل، ما نفتتح به قراءتنا للقرآن الكريم من الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، عملا بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(النحل:٩٨)، فالعبارة تضع أمام الشخصية المسلمة تحديا من عدو خفي لا يراه الإنسان بعينيه؛ وبسبب الطبيعة الخاصة للمعركة مع هذا العدو الذي يسعى إلى السيطرة على الشخصية البشرية والتأثير سلبا في توجهاتها وسلوكها، فلابد من الاستعانة عليه برب الخلق جميعا ظاهرهم وخفيهم.

وليست الاستعانة هنا مجرد ألفاظ ترددها الألسن، أو تراتيل يترنم بها العابد؛ إذ إن الشريعة لا تعترف بتدين لا يعدو أن يكون مجموعة من الرسوم والصور الظاهرية، بل تعده غشا بينا، وإنما الاستعانة والاستعاذة المقصودة ألفاظ تترجم عن كينونة منقادة لأمر الله الذي تطلب حمايته، ومهمة هذا الجانب اللفظي هو تجديد التذكير بالبرنامج الإيماني برمته؛ حتى يحترز صاحبه مما ينتظره في طريقه من العوائق والمعاطب.

ويمكن أن نعد «تزكية الذات» صورة مهمة لإيجابية الإنسان تجاه نفسه، أو أنها صورة لتنمية الذات المؤمنة متكئة على الإسلام الحنيف وتعاليمه الراقية.

معنى تزكية الذات

يرد مصطلح «تزكية النفس» في بعض آيات القرآن الكريم باعتباره موقفا سلبيا وغير دقيق من النفس، حيث يثني الإنسان على نفسه ويمدح عمله غير ناسب الفضل إلى الله تعالى، وهذا من أكبر المعوقات أمام تصاعد الإنسان وترقيه في سلم العبادة والطاعة؛ لأن الرضا عن النفس بهذه الصورة يفقد صاحبه معية الله تعالى، كما أنه يقعد بهمته، يقول الله تعالى في سورة النساء: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء:٤٩)، ويقول في سورة النجم: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ (النجم:٣٢).

إلا أن هذا المعنى لتزكية النفس ليس مقصودنا هنا؛ لأنه يحمل معنى مدح النفس والثناء عليها وإسناد الفضل إليها فيما ينجزه الإنسان من عمل، قال ابن كثير في تفسير آية سورة النجم السابقة: «فلا تزكوا أنفسكم؛ أي تمدحوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم» (١).

أما المعنى الذي تعنيه هذه السطور بتزكية الذات، فهو بعيد عن مدح النفس وتحسين صورتها عند الآخرين، فذاك عمل سلبي، وإنما قُصِد بتزكية الذات هنا: توظيف تعاليم الإسلام وتشريعاته في الارتقاء بالنفس وتطهيرها من العوائق التي تعرقل مسيرتها الممتازة في الحياة؛ مرتبطة بالله تعالى خالق الوجود وبمنهجه العظيم.

الأصل القرآني

وهل لذلك المعنى من تزكية الذات أو النفس أصل قرآني؟ وردت «التزكية» بالمعنى الإيجابي في القرآن الكريم

باعتبارها مهمة من مهمات النبوة الأساسية التي يقوم بها النبي محمد ﷺ في أمته، ثم من يخلفه فيهم من علماء المسلمين وصالحيهم- أكثر من مرة،

ومنها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:١٦٤)، فالتزكية هنا: التطهير، ولكن يقوم بها مرب ومعلم، وليست من أعمال الإنسان الذاتية تجاه نفسه.

وأما المعنى الذي تقوم عليه هذه السطور من تزكية النفس، فنصادفه في آيات أخرى؛ منها قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ (طه:٧٥-٧٦)، وقال: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة:١٠٨)، وقال تعالى:﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ (فاطر:١٨)، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾(الأعلى:١٤)، وفي تفسير الآية الأخيرة يقول إمام المفسرين أبوجعفر الطبري: «قد نجح، وأدرك طلبته من تطهر من الكفر ومعاصي الله، وعمل بما أمره الله به، فأدى فرائضه» (٢).

وسائل التزكية

خلصنا مما سبق إلى أن التزكية الذاتية هي عمل إيجابي يقوم به المؤمن تجاه نفسه؛ حتى تكون أكثر انضباطا وموافقة لمنهج الله تعالى في طريقة عيشها واختيار مواقفها، فما الوسائل التي وفرها الإسلام لقيام الإنسان مع نفسه بواجب التزكية؟

عادة يقوم الكبار من الآباء والأمهات وغيرهم بمهمة تربية الصغار وتهذيبهم، ويعتمدون في هذا على وسائل متنوعة؛ مثل: القدوة، والتوجيه، والنصح، والتعليم، والثواب والعقاب، وغير ذلك، فإذا كبر الصغار واستقلوا عن ذويهم انتهت مهمة التربية هذه، وصاروا ناضجين بدرجة تغنيهم عن تربية الآخرين.

ومع أن الحياة ومواقفها وما تمنحه لمن يخوض عبابها من خبرة تمثل مصدرا رائعا ودائما لتربية الإنسان، إلا أن الإسلام يضيف شيئا مهما في هذا السبيل، يستعمله الإنسان مع نفسه بنفسه لتزكيتها وتهذيبها، ألا وهو الالتزام الحقيقي بالمعاني والمفاهيم والشعائر التي تضمنتها الشريعة الإسلامية.

ولو رحنا نعطي شيئا من التفصيل في هذا الجانب، فلن تكفينا أضعاف أضعاف هذه السطور، ولذا سنكتفي بإلماحة سريعة تحقق المراد الأساسي من هذه السطور، وهو بيان أن الإنسان بعد أن يستقل عن ذويه، فإنه لا يستغني عن التربية والتهذيب والتأديب، بمعانيها الإيمانية والأخلاقية، وقد وضع الإسلام في يده أدوات تساعده على القيام بهذا مع نفسه.

وأهم ما تركه الإسلام في أيدينا نهذب به أنفسنا: مدارس الشعائر الكبرى (الصلاة والزكاة والصيام والحج)، وما يتفرع عنها من النوافل التي من أجناسها؛ كالصدقة وصلاة النافلة والعمرة وصيام التطوع، إضافة إلى الذكر وتلاوة القرآن.

نعم هي كلها مدارس لتهذيب النفس وتأديبها، وربطها بالله تعالى، وزيادة يقينها في الآخرة، وتقليل تأثير المادة والاختلاط بالناس في معاملاتهم الدنيوية على القلوب التي هي مرآة عاكسة تبدو عليها آثار الأعمال صالحة أو فاسدة.

إلا أن هذا لا يتحقق إلا إذا فتحنا أمام القلوب الطريق حتى تعيش ربيع هذه الطاعات، وتتذوق حلاواتها، وتفهم أن الحكيم سبحانه لا يمكن أن يكون قد شرع لعباده من خلال هذه العبادات حركات وأعمالا عبثية وطقوسا غامضة لا تهذب نفسا، ولا تؤدب قلبا، ولا تزكي فؤادا.

إن الذي يصلي أو يزكي أو يصوم أو يحج أو يعتمر أو يذكر الله تعالى بدون أن يجد لهذه الأعمال تأثيرها أو شيئا من تأثيرها الرائع؛ طهارة قلب، واستقامة خلق، وعفة نفس، وتنزها عن الفواحش، فكأنه ما صام ولا صلى ولا فعل شيئا من هذه الطاعات!!

المسألة إذن مرتبطة بأن يعيش المسلم دينه معاني وحقائق، أن يدخل الصلاة باعتبارها تجربة لها معناها العميق وهدفها العظيم، من دوام الصلة بالله تعالى، والارتباط به ارتباط العبد الهارب إليه الملتجئ إلى جلاله، وأن يعيش الحج رحلة كبرى يخلف صاحبها الدنيا وراء ظهره، ويعيش مع مولاه وحده وسط الجموع الغفيرة عيشة الراجي رحمته، الطامع في عفوه، وأن يؤدي الزكاة أداء من باع لله مع النفس ماله، وتطهر من داء الشح ومرض البخل، وجاد على عباد الله ببعض ما جاد عليه به مولاه العظيم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣)، ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ (الليل: ١٨).

ولا ننسى أن الإنسان لا تغني عنه أدوات التطهير والتنظيف التي في الدنيا كلها مادام لا يستعملها؛ سواء أدرك قيمتها أم لم يدركها، وكذلك حالنا مع دين الله تعالى وشريعته العظيمة.

الهوامش

١- أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم ٧/ ٤٦٢، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة - الرياض ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢- أبوجعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٢٤/ ٣١٨، تحقيق: عبدالله التركي وآخرين، الطبعة الأولى، دار هجر - القاهرة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

أثر حسن الظن في التماسك الاجتماعي

الزبير مهداد
كاتب إسلامي

حسن الظن هو أن يتوقع المرء الخير والصورة الحسنة عند غيره من الناس الذين يعاشرهم أو يساكنهم أو يجاورهم، بحيث لا يتوقع أو يظن أي جانب سيئ يراه حالا بهذا الآخر، مهما كان هذا الآخر مختلفا عنه في عقيدته أو مذهبه أو عاداته وتقاليده أو لونه أو غير ذلك، ما دام ملتزما بأصول المساكنة والمعاشرة الحسنة.

حسن الظن دعامة أساسية للمجتمع الآمن. ونقيضه: سوء الظن، الذي يشيع بين الناس التفسيرات الخاطئة والمجانبة للصواب عن سلوك الأفراد وأفكارهم وعلاقاتهم الاجتماعية، ويشعرهم كأنهم واقعون تحت الرصد والمراقبة الشديدة، مما يخرب هامش الأمان، الذي يعد لبنة أساسية من لبنات السلم الاجتماعي.

فالعلاقات الاجتماعية يجب أن تتأسس على الثقة في الآخر وحسن الظن به، حفاظا على تماسك المجتمع الآمن، وترسيخا للاستقرار وقيم المواطنة والسلم والتعاون والتكافل، مهما اختلفت أعراق ومعتقدات أبنائه. وحسن الظن -بالتالي- يعد من أبرز أسباب التماسك الاجتماعي، بقطعه الطريق أمام تحقير الناس بعضهم لبعض أو تكفيرهم أو تبادل الاتهامات الباطلة بينهم.

قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه» (١). هذا الحديث يضيء سبل استيعاب قول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ (الحجرات:١٢). وفي تفسيرها قال ابن كثير رحمه الله: «ينهى الله عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس من غير محله، لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثيرا منه احتياطا» (٢). سوء الظن، خلافا لحسن الظن، يدفع صاحبه لتتبع العورات، والبحث عن

الزلات، والتنقيب عن السقطات، وهو ما يعد مرضا سلوكيا، يهدد السلامة النفسية لصاحبه، «قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ فقال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد» (٣).

بينما حسن الظن يؤدي إلى سلامة الصدر، وتدعيم روابط الألفة والمحبة بين أبناء المجتمع، فلا تحمل الصدور غلا ولا حقدا، امتثالا لقوله ﷺ: «إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا» (٤).

سوء الظن يكون في الغالب شكلا من أشكال الإسقاط النفسي، الذي هو حيلة دفاعية ينسب فيها الفرد عيوبه ورغباته المحرمة والعدوانية أو الجنسية للناس حتى يبرئ نفسه ويبعد الشبهات عنها، فالكاذب يتهم معظم الناس بالكذب، وكذلك الخائن أو المغتاب أو غيرهم.

وقد انتبه إلى الأمر بنباهتهم كثير من الذين كتبوا في الأخلاق الإسلامية، ومنهم علي بن محمد المصري الذي أكد أنه «لا يصل أحد إلى مقام حسن الظن، إلا إذا طهر الله تعالى باطنه من سائر الرذائل، إما بالفطرة وإما بالعلاج والرياضة، بحيث يصير لا تخطر الفحشاء على باله» (٥). وأضاف: «فمن طهر باطنه من سائر الرذائل فهو الذي يصح منه حسن الظن بالمسلمين» (٦).

وهذا المعنى نفسه، هو الذي عالجه أبو حاتم بن حبان البستي بشكل لطيف بقوله «الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه؛ فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه وتعب بدنه وتعذر عليه ترك عيوب نفسه» (٧).

هكذا كان دأب السلف رضي الله عنهم. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن شرا، وأنت تجد لها في الخير محملا» (٨). حتى فيما يظهر أنه لا يحتمل وجها من أوجه الخير، وهو ما أكده التابعي سعيد بن المسيب -رحمه الله- حين قال: «كتب إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله ﷺ أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرا وأنت تجد لها في الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن إلا نفسه» (٩).

سألني وأجبته

وفي هذا الباب يحكي الرواة قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما دخل إلى مجلس فوطئ قدم رجل يجلس فنظر إليه وقال: أو أعمى أنت؟ فأجابه عمر: لا. فهم أحد الصحابة ليعاقب الرجل، فمنعه عمر وقال: إنما سألني وأجبته. فالرجل بتهجمه اللفظي على عمر وإساءته الأدب معه، قد آلم الصحابي، فضلا عن عمر، لكن عمر لم يكتف بالصبر فحسب، بل التمس العذر للرجل، فطيب بذلك خاطره أولا ثم خاطر الصحابي، وقابل إساءة الرجل بالحسنى، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (فصلت:٣٤)، فليس المطلوب هو الصبر فقط، وإنما رد الإساءة بالإحسان.

هذه القواعد الأخلاقية السلوكية التي أسس لها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، هي التي حرص فقهاؤنا على إبراز أهميتها في سلامة الصدر وفي تشكيل معالم الشخصية المسلمة الإيجابية.

ويعد ابن حزم الأندلسي من أهم من كتبوا في الموضوع، ففي كتابه القيم «مداواة النفوس» يوصي ابن حزم بالإحسان في التعامل، والتسامح بعدم مقابلة السوء بجنسه: «من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم، ومن كافأ من أساء إليه منهم بمثل فعله فهو مثلهم، ومن لم يكافئهم بإساءتهم بمثلها فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم» (١٠). وبذكاء ونباهة فائقين، ينتبه ابن حزم إلى أهمية الثواب والتعزيز الداخلي، بعرض قاعدة في بدل المعروف مفادها: أن على من تصدى للناس بخدمتهم ومساعدتهم وبذل المعروف لهم ألا ينتظر عاقبة بذله ومعروفه منهم، لأن ذلك عليه مدار تأليف القلوب والتأثير في الناس، وبه اتقاء الشرور من خبث نفوسهم، فيتعين على المرء أن لا يعنى بالمصالح الوقتية والنتائج النفعية المادية أو المعنوية المترتبة عن سلوكه الإيجابي مع الناس، ويجب أن يتجرد من كون عمله مشروطا بنتائجه وعواقبه التي تعززه، فالتعزيز القوي هو أن يكون نفسه راضيا عن عمله بيقين نية إرضاء الله تعالى بتجريد العمل ابتداء وانتهاء لله وحده «وابذل فضل مالك وجاهك لمن سألك أو لم يسألك، ولكل من احتاج إليك وأمكنك نفعه، ولا تشعر نفسك انتظار مقارضة على ذلك من غير ربك عزوجل» (١١).

الرضا الذاتي

التجربة السارة التي يسفر عنها الإحسان للغير تعد بمنزلة ثواب ومكافأة، وقد انتبه ابن حزم إلى أهمية إحساس المرء بالرضا الذاتي عن سلوكه الخيري، وثقته في ثواب الله ونيل رضاه، الذي يعمل كداعم إيجابي وقوي للسلوك، يساهم في تكرار الاستجابة ويشجع على إعادة النمط السلوكي الذي أدى إلى بعث الرضا والسرور في نفس المرء. «ولا تتصح على شرط القبول، ولا تشفع على شرط الإجابة، ولا تهب على شرط الإثابة، لكن على سبيل استعمال الفضل، وتأدية ما عليك من النصيحة

والشفاعة وبذل المعروف» (١٢). ومن المشاعر المساعدة على التخلص من القلق والهم أن يحس المرء أن الآخرين في حاجة إليه وأنهم يقدرونه، فذلك يزيده ثقة في نفسه وتقديرا لها واقتناعا بجدواه في الحياة.

الدفع بالأحسن هو الأداة الفعالة للتغلب على أنانيتنا التي تهزمنا، وعلى هوى نفوسنا بردعها عن الطبع الشهواني والطبع العدواني، إنه التسامح الشامل الذي يعترف للآخر بالحق في الاختلاف، بل بالحق في الخطأ أيضا، اعتبارا لطبيعته البشرية الهشة. وهو أيضا التحلي بالقدرة على حسن الاستماع للرأي الآخر، وتفادي الغضب، وأن نحب لغيرنا ما نحب لنفسنا.

إن الدفع بالأحسن يقتضي تحسين الظن بالآخر وطرح الأحكام المسبقة في الحوار، وفتح الباب واسعا أمام مبادلة المحبة والاحترام والوئام والتفاهم والانسجام، ثم تحقيق العيش المشترك بين الشعوب على اختلاف طبعها؛ إنما يحول دون ذلك هوى النفس والأنانية.

التسامح

التسامح والثقة في الآخر وحسن الظن بالناس أمور ضرورية تحتمها الضرورة الحياتية والمصالح المشتركة. فالحكمة الربانية اقتضت أن يكون وجود الناس على الأرض في شكل تجمعات بشرية متباينة، لكنهم على الرغم من تباينهم بما ينفرد به كل تجمع من خصوصيات عرقية ودينية وبيئية وثقافية فإنهم يتفقون في ما يجمع بينهم من وحدة الأصل والحاجة إلى ضمان المصالح وحمايتها.

فالتسامح يتأسس على أساس الاشتراك الجمعي للطبيعة البشرية التي توحد الناس، الذين يتصفون بالضعف والحاجة إلى الآخر والقابلية للخطأ، وهذا التسامح لا يصب في مصلحة الشخص المخالف وحده، بل يصب في مصلحة الإنسانية جمعاء، لأنه يؤسس لمجتمع فاضل متسامح، ولأنه يقتضي منا التنازل عن أنانيتنا والتخلي عن استعلائنا، فحين نعتقد أن الحق إلى جانبنا، وأننا نمتلك المشروعية، ونتمسك بها دون أدنى تنازل، وحين نعتبر التنازل ضعفا وهزيمة، فإن الأمر يؤدي إلى حصول صدام بين المعتقدات، ينتهي إلى إظهار غالب ومغلوب، منتصر ومهزوم، هذا هو الدفع بالتي هي أسوأ، دفع بالحرب والتطاحن والتعارض، يزيد من استفحال العداوة والنفور.

نيات خبيثة

والأنانية تتعارض مع التسامح، وتعترض على مجرد التفكير فيه، وتقدم لنا أكثر من سبب لنبذه والإحجام عنه، وتقنعنا بأهمية الانتقام والقصاص ولذة الانتصار ومتعة الغلبة، وهذا ما يزيد في القلق وعذاب النفس واضطرابها. ولا سبيل لعلاج هذا القلق إلا بالسماحة وتحسين النية والتفاؤل بالخير وتمنيه للإنسانية جمعاء. يقول ابن حزم: «رأيت أكثر الناس يتعجلون الشقاء والهم والتعب لأنفسهم من نيات خبيثة يضبون عليها من تمني الغلاء المهلك للناس، وتمني أشد البلاء لمن يكرهونه، وقد علموا يقينا أن تلك النيات الفاسدة لا تعجل لهم شيئا مما يتمنونه أو يوجب كونه. وإنهم لو صفوا نياتهم وحسنوها، لتعجلوا الراحة لأنفسهم، وتفرغوا بذلك لمصالح أمورهم، ولاقتنوا بذلك عظيم الأجر في المعاد، فأي غبن أعظم من هذه الحال التي نبهنا عليها، وأي سعد أعظم من التي دعونا إليها؟» (١٣)؛ فسماحة النفس تفضي إلى السعادة، وراحة البال والإحساس بالأمان، وسبيل لطمأنينة النفس التي امتدحها الله عزوجل كثيرا في القرآن الكريم.

ويضيف ابن حزم في كتابه قائلا: «حد الكرم أن تعطي من نفسك الحق طائعا، وتتجافى عن حقك لغيرك قادرا، وهو فضل أيضا، وكل جود كرم وفضل وليس كل كرم وفضل جودا. فالفضل أعم، والجود أخص، إذ الحلم فضل وليس جودا، والفضل فرض زدت عليه نافلة» (١٤). فيربط بمهارة بين التسامح والإيجابية التي تشمل الخصال السامية، كالكرم والجود والسهولة واليسر في المعاملة، ولين الحديث، ومقابلة الإساءة بالعفو والصفح عند المقدرة، والتغافل عن هفوات الناس، والبحث لهم عن الأعذار، وغير ذلك من الفضائل والشيم الكريمة.

ولا ينبغي أن يكون قاصرا على التعامل بين المسلمين، بل يتعين أن يعم التعامل بين جميع الناس، على اختلاف أعراقهم ومعتقداتهم، ولو كان العداء مستحكما بينهم، فإن ذلك لا يسقط شرط العدالة والإنصاف، ولا يوجب الظلم والاعتداء، مع وجوب التحفظ ضمانا للسلامة: «لا تسلم عدوك لظلم ولا تظلمه، وساو في ذلك بينه وبين الصديق، وتحفظ منه، فغاية الخير أن يسلم عدوك من ظلمك ومن تركك إياه للظلم» (١٥).

الهوامش

١ – سنن ابن ماجه (بعناية محمد فؤاد عبدالباقي)، القاهرة، مطبعة البابي الحلبي، الجزء ٢، ص١٢٩٧، رقم الحديث ٣٩٣٣، وقد ورد في صحيح مسلم بلفظ قريب من هذا.

٢ – ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ١٩٩٧، الجزء ٧، ص٣٧٧.

٣ – ابن ماجة، نفس المرجع، كتاب الزهد، باب الورع، ص ١٤٠٩، حديث رقم ٣٢١٦.

٤ – صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها.

٥ – على بن محمد المصري، تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس، القاهرة ٢٠٠٦، ص٣٣.

٦ – المصري، تحفة الأكياس، المرجع نفسه، ص٣٤.

٧ – أبو حاتم محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٩٤٩، ص١٣١.

٨ – جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، القاهرة، مركز هجر للبحوث والدراسات، ٢٠٠٣، ج١٣، ص٥٦٧.

٩ – السيوطي، المرجع نفسه، ص٥٦٦.

١٠ – ابن حزم، الأخلاق والسير، بيروت، دار ابن حزم، ص٨٥.

١١ – ابن حزم، الأخلاق والسير، المرجع نفسه، ص١١٧.

١٢ – ابن حزم، الأخلاق والسير، المرجع نفسه، ص١١٨.

١٣ – ابن حزم، نفس المرجع، ص٨٤.

١٤ – ابن حزم، نفس المرجع، ص١٠٦.

١٥ – ابن حزم، نفس المرجع، ص١٧٧.

المرأة الجاهلية.. بين الحب والوأد والسباء

محيي الدين عواد الظاهر
باحث سوري

ما كان الله ليدع الرجل تحت أوقار الدهر وأثقال الحياة، حتى يخلق له من نظام نفسه، من يذود عنه هموم نفسه، ويحتمل دونه الكثير من شؤونه، ويضيء له ما بين شعاب العيش وظلم الخطوب.
تلك المرأة قسيمة حياته، ومباءة شكاته، وعماد أمره، وعتاد بيته، ومهبط نجواه، وتلك آية الله ومنته ورحمته لقوم يتفكرون.
ينهض الرجل إلى الحياة بعزم وقوة يستمدان من عقله ورأيه، وتستقبل المرأة الوجود بعواطف فياضة يتجلى بها قلبها الخفاق.
فإن ظهر الرجل بمضاءة وذكاء، فإن للمرأة غايتها من صفاء القلب، ونقاء السريرة، وما ينبعث عنهما من وفاء وولاء وحنان وتسلية، وغياث مكروب ونجدة منكوب، وما إلى ذلك مما يقيم مائل الأرض ويلم صدعات الحوادث.

لم تطو صفحات التاريخ على امرأة بلغ من الضن بها والإيثار لها وبذل المهج رخصا في سبيلها ما بلغ بالمرأة العربية في تلك الحقب المتطاولة المترامية.

لقد كان العرب رواد غارات، وطلاب ثارات، وكان الرجل منهم يغتمر الموقعة لا يدري أوقع على الموت أم وقع الموت عليه؟ غير أن ابنته وما عسى أن يصيبها بعده من حاجة، وهو إن كان يتغلغل في نفسه فيهيج بها حب الحياة. فمثله في ذلك مثل إسحاق بن خلف حيث يقول:

لولا أمية لم أجزع من العدم
ولم أجب في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي
ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
تهوى بقائي وأهوى موتها شفقا
والموت أكرم نزال على الحرم

كذلك كانت المرأة تهتف بالرجل، أو تلم به تحت ظلال السيوف، وقد ملك الروع القلوب، وعقد الهول الألسنة وانثغرت الأفواه، وحارت النواظر في المحاجر، فيستمد عزما نبا، ويسترد قوة عزبت. ومثل ذلك ما فعلت ابنتا الفند الزماني يوم «تحلاق اللمم»، وهو يوم انتصاف بكر من تغلب. فقد اشتجرت الأسنة، واعتنقت الأبطال، ونفذت السيوف إلى أعماق القلوب، وظهرت تغلب كالجذوة المضطرمة، وبدأت تتكشف وترتد. وهنالك نفذت الفتاتان البكريتان بين صفوف قومهما، وأخذتا تنشدان نفوسهم، وتذكيان نار الحفيظة فيهم، وكان مطلع قولهما:

وغى وغى وغى وغى
حر الحرار والتظى
وملئت منه الربى
يا حبذا المحلقون بالضحى

إن المرأة العربية مثار عاطفة الرجل، ومدار وجدانه، هي سر حياته وموته، وهي مهاج غضبه، ومعقد ألفته، وهي مجتلى قريحته، ومطلع قصيدته، وهي موطن غنائه، ومذهب عنائه، هي مشرق وحيه ومنار إلهامه، هي نور الوجود في ناظريه، وكل شيء بين يديه. لقد بلغ خيال العربي من السمو بالمرأة أن جعل الملائكة أشباها لها، ونظائر، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

ما ظنك بامرأة ملكت على الرجل قلبه ورأيه فلا يكاد يصيب معنى، أو يطوف بموضوع حتى يلم بذكرها، ويتغنى بمحاسنها ويمتدح بشمائلها، ويتأثر بأطلالها ومعالمها.

كذلك يفعل شعراء العرب، وهم ألسنة القوم، وحفظة آدابهم، وحماة مجدهم، وشراع فضائلهم، حتى لقد بكى مهلهل ابن ربيعة كليبا أخاه، وهو محرق الكبد موصل الكمد، فبدأ بالمرأة يذكرها، ويصف دارها قبل أن يذكر أخاه وذلك حيث يقول:

الـــدار قفـر عفاها بعد ساكنها
بالريـح بعـد ارتحال الحي عافيها
وغالـــها الدهـر إنه ذو غيل
فأصبحت بلقـعا قفـرا مغانيـها
إلا رواكـد سفـعا بين متلـبد
مثل الحمامـة منتوفـا خوافيـها
دار لمهضومة الكشحين خرعبة
كالشمس حين بدا في الضوء باديها

فما زال يستتبع قوله في وصف صاحبته حتى قال:

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها
إذ أنـــت خليتها فيمن يـخليها

ولقد كان الرجل منهم وما يكاد يبتدر إلى صالحة، أو يسبق إلى مكرمة حتى يسبق إلى المرأة، فيسوق إليها الشعر فياضا بمأثرته حافلا بمفخرته، وأكبر أمله أن تذكره بكلمة طيبة بين نظرائه، فيروح عنها بفخر لا ينفد ومجد لا يبيد، وفي مثل ذلك قول الشاعر ذهل يوم ذي قار:

إن كنـت ساقيـة يومـا ذوي كرم
فاسقي فوارس من ذهل بن شيبانا
واسقي فوارس حاموا عن ذمارهم
واعلي مفارقهم مسـكا وريحـانا

بل لقد كان الرجل يأتي الأمر تسوغه نفسه، ويحمله موقفه، وربما كان الخير كله فيه، فلا تهدأ نفسه، ولا تطمئن سريرته حتى يفضي إليها بعذره، ويكشف عن مكنون أمره. وفي مثل ذلك ما يقول أزهر بن هلال التميمي يعتذر عن فراره:

أعاتك مـا وليت حتى تبددت
رجالي حتى لم أجـد متقدما
وحتى رأيت الورد يدمى لبانه
وقد هزه الأبطال وانتعل الدما

ومن أمثال ما جاء في الاعتذار قول عنترة العبسي:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني
أصبحت من غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها: إن المنيـــة منـهل
لابـــد أن أسقى بكأس المنـــهل

أما ضن الرجل بها، وحرصه عليها، وفداؤه إياها بنفسه، وما ملكت يمينه، فقد بلغ من أمره أن كسرى أبرويز، ملك الفرس وسيد ملوك الشرق، أرسل إلى النعمان يبغي مصاهرته وهو مولاه وصنيعته، والقائم بأمره والقار لسيفه، والخاضع لسلطانه، رد رسوله مقنعا بالخيبة ضنا ببنات المنذر. حتى إذا عاود الرسول مولاه بما لا يرضاه اضطربت في صدره جذوة الغضب، وثارت بين جنبيه سورة الملك، فأرسل يستقدم عاهل العرب.

هنالك أبصر النعمان وميض الموت من صوب المدائن، فأودع ابنته حرقة وما يعتز به من سيوف ودروع هائي ابن قبيصة الشيباني، وذهب إلى حيث طرح تحت أقدام الفيلة، فذهبت بلحمه وعظمه ودمه كل مذهب من ثغرات الأرض، وسوت معالم جسمه بالتراب.

كذلك بلغ من غضب العربي للمرأة، وحرصه على كرامتها، ووقف شرفه على شرفها، أن يعمد الرجل منهم إلى الملك المتوج، فيقصم هامته حياطة لهذا الشرف، وذيادا عنه أن يبذل، أو يذل كما فعل عمرو بن كلثوم بعمرو بن هند.

ألا إن كلمة واحدة قذفت بها امرأة، فأصابت موطن الحس من رجل، فهاجت لها الحرب أربعين عاما لم يدر فيها ضرع، ولم يكتهل بين أثنائها فتى.

وحديث ذلك: أن البسوس (خالة جساس)، نزل بها ضيف من ذويها يدعى سعد، فأفسحت دارها له، وأناخت بحظيرتها ناقته، فما كاد يطمئن بالرجل مقامه حتى انطلقت ناقته ترعى ودخلت إلى حمى لكليب

بن ربيعة (صهر جساس، وفتى العرب وسيد تغلب)، ولم يكن لأحد غير جساس أن يرعى إبله حمى كليب، فلما أبصر كليب بها غريبة بين إبله أنفذ سهمه في ضرعها فانطلقت تعدو، وهي تشخب دما ولبنا حتى نزلت بفناء البسوس. فلما استبانت ما بها صاحت وأعولت واندفعت تقول:

لعمرك لو أصبحت في دار منقذ
لما ضيم سعد وهو جار لأبياتي
ولكنني أصبحت في دار غربة
متى يعدو فيها الذئب على شاتي
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل
فإنك في قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادي فإني عنهم
لراحلة لا يفقدون بنياتي

سمع جساس تلك الكلمات فأصابت الوتر الأرن من قلبه فأجفل إجفال الأخيذة من تلك الوصمة المندية، وصمة العجز عن حياطة بنيات خالته فقال: «اسكتي أيتها المرأة، فليقتلن غدا جمل أعظم عقرا من ناقة جارك». ولم يزل يتوقع غرة كليب حتى أنبئ بانفراده، فاعتقل رمحه وخرج للقائه. فلما أبصره طعنه، ودق صلبه. وعلى إثر ذلك ثارت حرب البسوس، وفيها استعر القتل في الحيين أربعين عاما حتى كاد يلحقهما الدثور في إثرها وما عصفت بها إلا كلمة واحدة كان خليقا بها أن تذهب لحينها لولا أن نسجتها امرأة.

السباء والوأد

إننا لا نخدع التاريخ في ماضيه فنمثله زهرا لا أشواك فيه، فلئن كان من الحب ما يمض ويؤذي ومن الصداقة ما يضر ويؤلم فلقد أصيبت المرأة العربية في سبيل إعزازها، والحرص عليها بلواذع بلغت في بعض المواطن حبة قلبها ومستقر حياتها.

فمن ذلك السباء، وذلك أن العرب كانوا يعقبون صفوف القتال بنسائهم وذوات أرحامهم؛ تثبيتا لأنفسهم وتشديدا لعزائمهم. وربما أحيط بهم وغلبوا على أمرهم فيكون هَمُّ الظافر أن يتخذ نساء المقهور سبايا يسوقهن إلى بيته كما يتحكم في ماله لا لحاجته إليهن، ولكن ليقطع باستلابهن آخر عرق ينبض من قلب عدوه، فيعيش ذليل الناصية مقنع الوجه أبد الحياة.

على أنهم وإن غلظت إلى هذا الحد أكبادهم على أعدائهم، فهم يعرفون لسبياهم منازلهن بين قومهن فيخلطونهن بأنفسهم إلا قليلا ممن أرث الحقد صدورهم، وملكت الضغينة منازع الرحمة من قلوبهم.

وفي أولى الحالتين يقول حاتم الطائي:

فما أنكحونا طائعين بناتهم
ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا
فما زادها فينا السباء مذلة
ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا

وهناك الكثير من سادات العرب وذوي زعاماتهم انكشفت عنهم السبايا فلم يضع ذلك من منازلهم، أو يهجن من أحسابهم. ومن أولئك دريد بن الصمة حكيم العرب، وشاعر فرسانهم، وفارس شعرائهم، وأمه ريحانة بنت معد يكرب أسرها الصمة بن عبدالله وتزوجها فأنجبت دريدا وإخوته، وهي التي يقول عمرو في إسارها:

أمن ريحانة الداعي السميع
يؤرقني وأصابني هجوع
سباها الصمة الجشمي غصبا
كأن بياض غرتها صديع
وحالت دونها فرسان قيس
تكشفت عن سواعدها الدروع
إذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

الوأد

أما الوأد فأشد وأشنع ما اقترفته يد ظالمة آثمة في نفس بريئة طاهرة. وذلك بأن يعمد الرجل إلى وليدته وقد بدأت تستقبل الوجود وتستنشق نسيم الحياة، فيقذفها في حفرة من الأرض، ويهيل على جسمها التراب، ثم يدعها في غمرة الموت بين طباق الأرض! ولو أننا افترضنا شيوع تلك الجريمة الموبقة بين جمهور العرب لما آمنا بتلك الجيوش الخضارم التي وطئت نواصي الأرض وطوقت أعناق الأمم، وهم أبناؤهن وحفدتهن.

والحق أن الوأد لم يكن معروفا إلا في فرائق من ربيعة وكندة وتميم، وأفذاذ مغمورين يعدون قلة من مختلف القبائل. وهم بين رجلين: رجل أملق من عقل ومال، فهو يخشى أن يسيء الفقر أدب ابنته، ويهتك سترها، ويبذل عرضها. وذلك جبان لا عزم له ولا ثقة ولا إيمان، والعرب منه براء. وآخر من سراة القوم، ذهبت بعقله الغيرة وهوى بنفسه إشفاقا من تبدل الحوادث وتداول المثلات وما عسى أن يصيبها من ذل أو سباء.

وذلك وأمثاله شر مكانا وأقل عددا. ذلك وقد نهض من سادات العرب من حال دون الوأد بما بذل من مال جم وسعي حميد.

ومن بين هؤلاء صعصعة بن ناجية التميمي، فقد كان يلتمس من مسها المخاض، فيغدو إليها ويستوهب من الرجل حياة المولود إن كان بنتا على أن له في سبيل ذلك بعيرا وناقتين عشراوين، فجاء الإسلام وقد افتدى أربعمائة وليدة. ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل القرشي كان يضرب بين مضارب القوم فإذا بصر رجلا يهم بوأد ابنته قال له: لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها. فيأخذها ويلي أمرها حتى تشب عن الطوق فيقول لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها.

ولعمري إذا نحن أرخينا على تلك المظالم وضربنا صفحا عن أولئك الوائدين من القوم، فإنا سنجد العرب من وراء ذلك يكادون يذوبون عطفا وحنانا على بناتهم فهم ينزلون عما ملكت أيمانهم إغلاء لهن وإيثارا للعز والنعمة والدلال فيهن.

الأسرة المسلمة وتجديد الإيمان

محمد شعطيط
باحث دراسات إسلامية

تحرص الأسر المسلمة على تجديد أثاث المنزل كلما رأت الحاجة ماسة إلى ذلك، خصوصا إذا أصبح رثا أو لا يساير الموضة العامة، أو أرادت أن تحارب الرتابة والملل بتغيير الديكور وإضفاء لمسة جمالية جديدة على الفضاء والروح معا.. فقَلَّ أن يمر يوم أو أسبوع أو شهر إلا واقتنت الأسرة شيئا جديدا من أثاث أو أوان أو أدوات إلكترونية.. فإذا دخلت صوان البيت وجدته يئط من كثرة الملابس المعلقة فيه.. فلا تكاد تجد موضع قدم إلا وفيه قميصا أو جلبابا أو خمارا أو كساء..

كل ما سبق إذا خلا من المخيلة والرياء والإسراف وحب الظهور- فلا شيء فيه، وقد كان جواب النبي الكريم ﷺ لمن قال له من الصحابة: إن أحدنا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا. قال له الحبيب ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال.. إنما الكبر بطر الحق وغمط الناس» (أخرجه مسلم).

المشكل بالأساس يكمن في هذا الاهتمام الزائد بالأشياء وإعطائها أكبر من حجمها، على حساب أشياء أخر أعطاها الشرع قيمة عظمى.. بينما هي عند بعضنا في أسفل الاهتمامات.

والعجيب أن الشرع قد نبه بهذه الأشياء التي نوليها أهمية كبرى على المبادئ العليا التي يجب فعلا أن نركز عليها اهتمامنا، ونجعلها في أعلى سلم الأولويات. فقد أشار النبي الكريم ﷺ إلى ما بين الثوب والإيمان من التشابه. فليس الثوب وحده من يبلى ويصبح أسمالا، بل تطرأ هذه العوارض على الإيمان أيضا.

وهل يبلى الإيمان؟

نعم أخي الكريم، أختي الكريمة. بشهادة الصادق المصدوق، يقول ﷺ: «إن الإيمان ليخلق -أي يبلى- في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم» (أخرجه الحاكم وهو في الصحيحة ١٥٨٥). فاعتقاد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص. يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، والأدلة في ذلك مستفيضة معلومة.

ولمن يهتم بالموضة وآخر الصيحات ينبه النبي الكريم ﷺ إلى خوفه من أن يكون هذا الاهتمام مع استيفائه لشروط الستر مقتصرا على الظاهر دون الباطن. فالمكتسي الحقيقي هو من يأتي لابسا يوم القيامة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ (الأعراف:٢٦). فعن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ استيقظ ليلة، فقال: «سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة، ماذا أنزل من الخزائن، من يوقظ صواحب الحجرات -أي للصلاة-، يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة» (أخرجه البخاري). وصواحب الحجرات هن أزواجه.

فما ينفعك أختي بيت مليء بشتى أنواع الملابس؛ إذا كان القلب خاليا من التقى. «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (متفق عليه). فاحذر أخي -وأنت أختي- أن تكون «كاسيا في الدنيا بالثياب لوجود الغنى، عاريا في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا» (١).

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى
تقلب عريانا وإن كان كاسيا

لقد كثرت في الآونة الأخيرة البرامج التدريبية التي وضعت لتنمية الإبداع والتفكير والثقة بالنفس، والسعادة الأسرية، وكيفية تنمية الميزانية العائلية وغيرها. وأنا هنا أخي -وأنت أختي- أدعوكم إلى برامج تدريبية لتجديد الإيمان في قلوبنا. برامج ميسرة، يأتي بها القوي والضعيف. لا تحلق بنا في سماء المثالية فنفشل في وسط الطريق. برامج تروم الهدي الوسط الذي يرجع إليه الغالي، ويقدر عليه الساعي. ففي الحديث: «عليكم من العمل ما تطيقون، فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه» (متفق عليه). فهيا بنا إلى منزل الحبيب لنختار بعض الوصفات النبوية لتجديد إيماننا حتى لا نكون عراة يوم القيامة:

١- صلاة الزوج وزوجه في جوف الليل، ولو ركعتين

والنتيجة أن يكتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات. فإذا عجزت الأسرة عن صلاة ١١ ركعة كما كان يفعل النبي الكريم ﷺ فلا أقل من هذه الهدية الربانية: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ (البقرة:٤٥). يقول الرسول ﷺ: «من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين جميعا، كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات» (أخرجه أبوداود وابن ماجه وابن حبان والحاكم وهو في صحيح الجامع ٦٠٣٠).

فإن استطاع المؤمن والمؤمنة أن يحافظا على اثنتي عشرة ركعة من النوافل في اليوم والليلة بني لهما بيت في الجنة كما في الحديث (٢). وهي موضحة

عند الترمذي كالآتي: ٤ قبل الظهر، و٢بعدها، و٢بعد المغرب، و٢بعد العشاء و٢ قبل الفجر (صحيح الترغيب ٥٧٨).

٢- قراءة القرآن ولو حزبين في اليوم

فاستجب أخي لنداء الله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل:٤)، وتمعن في قول الرسول ﷺ: «من سره أن يحب الله ورسوله، فليقرأ في المصحف» (الصحيحة ٢٣٤٢). وهذه درة أخرى: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرأها» (صحيح أبي داود ١٣١٧).

٣- الصلاة في جماعة

من أهم شعائر الإسلام، أجرها كبير، وفضلها عميم. يقول رسول الله ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» (متفق عليه). وفي فضل العشاء والصبح يقول ﷺ: «من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله» (أخرجه مسلم).

٤- صلاة الضحى

وأنت في بيتك يبنى لك بيت في الجنة؛ إذا صليت الضحى. ووقتها بعد أن تشرق الشمس قيد رمح، وهي تقريبا ١٥ دقيقة؛ أقلها ركعتان، وأكثرها ثمان. ففي الحديث: «من صلى الضحى أربعا، وقبل الأولى أربعا، بني له بيت في الجنة» (الصحيحة ٢٣٤٩). تبدأ يومك بالصلة بمولاك فيكفيك آخره.

٥- التسبيح مائة مرة

يقول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ (طه:١٣٠). ويقول الرسول ﷺ: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (متفق عليه).

٦- الجمعة وآدابها

يوم الجمعة يوم للبهجة والفرحة والسرور والتطيب والاغتسال، وبسط الأخلاق الكريمة، تحقيقا لقول رسول الله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة وتطهر بما استطاع من طهر، ثم ادهن أو مس من طيب، ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له، ثم إذا خرج الإمام أنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى» (أخرجه البخاري).

٧- السعي إلى بيوت الله

أنعم ببيت من بيوت المسلمين أفراده قلوبهم معلقة بالمساجد، يبشرهم النبي الكريم بتكفير الخطايا ومحو الذنوب، كلما دام هذا الرواح والغدو. يقول النبي ﷺ: «من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة» (أخرجه مسلم). وفي فضل آخر: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في الجنة نزلا، كلما غدا أو راح» (أخرجه مسلم).

٨- الوضوء وركعتاه

يقول رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه، غفر له ما تقدم من ذنبه» (متفق عليه).

٩- بر الوالدين

بر الوالدين يملأ البيت رحمة ونورا، وفضله لا يحتاج إلى بيان، فيكفينا ما ورد في الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: أقبل رجل إلى نبي الله ﷺ، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد؛ أبتغي الأجر من الله، قال: «فهل من والديك أحد حي؟» قال: نعم، بل كلاهما، قال: «فتبتغي الأجر من الله؟» قال: نعم، قال: «ارجع إلى والديك فأحسن صحبتهما» (أخرجه مسلم).

١٠- صلة الرحم وعيادة المريض

من الخلال التي تتنزل بها الرحمات والبركات على أهل البيت: صلة الأرحام. وقد وردت فيها أحاديث كثيرة منها قول الرسول ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه» (متفق عليه). وهي لا تقتصر على الأحياء فقط، بل حتى الأموات لهم نصيب منها، فإن شئت أن تزور أباك في قبره فصل إخوانه من بعده، كما ورد بذلك الحديث: «من أحب أن يصل أباه في قبره، فليصل إخوان أبيه من بعده» (الصحيحة ١٤٣٢). وفي رواية: «إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه» (أخرجه مسلم). قال الإمام النووي، رحمه الله: «وفي هذا فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة. وقد سبقت الأحاديث في إكرامه خلائل خديجة رضي الله عنها» (٣).

أما زيارة المريض ففيها قول النبي الكريم ﷺ: «من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع» (أخرجه مسلم). وفي الحديث القدسي يقول الله عزوجل لعبده يوم القيامة: «يابن آدم، مرضت فلم تعدني، قال يا رب: كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟» (أخرجه مسلم).

١١- الذكر

وهذا لا يحتاج منك وقتا مخصصا، بل يمكن أن تقوم به على أي حال كنت عليها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» (أخرجه مسلم). فاستن أخي بنبيك في أذكار الصباح والمساء والنوم والاستيقاظ، وما يقال بعد الطعام والشراب، وعند لبس الثوب، وعند دخول المسجد والخروج منه، وبعد الوضوء، وذكر رؤية الهلال، وهبوب الريح، وأذكار السفر والعودة منه، ودخول السوق، وسماع الأذان، وغيرها من الأذكار النبوية الشريفة، دون أن ننسى الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «من صلى علي واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات» (صحيح الجامع ٦٣٥٩). أما فضل التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة ففضل عجيب: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، وحمد الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (أخرجه مسلم).

١٢- صيام الاثنين والخميس

ففي هذين اليومين تعرض أعمال العباد على الله، وكان رسول الله ﷺ يصومهما ويقول: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس، فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» (أخرجه الترمذي وهو في صحيح الترغيب ١٠٣١). فاحرص أخي أن تتقرب أنت وأهل بيتك إلى الله بصيام هذين اليومين. فلو قدر لك ولقيت الله وأنت صائم نلت هذه البشرى الكريمة من نبيك الرحيم: «من ختم له بصيام يوم دخل الجنة» (الصحيحة ١٦٤٥).

١٣- اتباع الجنائز

وفي فضلها يقول الرسول الكريم ﷺ: «من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان»، قيل: وما القيراطان؟، قال: «مثل الجبلين العظيمين» (متفق عليه).

١٤- طلب العلم

وهنا لطيفة: قل يوم إلا والإنسان يقرأ شيئا. فلتكن نيتك أخي في هذه المطالعة طلب العلم، حتى يصدق عليك قول الرسول ﷺ: «ومن سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة» (رواه مسلم).

انظر أخي -وأنت أختي- حواليك، كل شيء يحتاج إلى تجديد وتنظيف وصقل. كم مرة تغسل وجهك في اليوم؟ وكم مرة تغسل بدنك في الأسبوع والشهر؟ وكم مرة تنظفين أختي بيتك في السنة؟ وتأملوا معي هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد:١٦). طال عليك الأمد أخي. فتحت كل شيء: الجوال، والتلفاز والحاسوب والفيسبوك والتويتر والمواقع والجرائد والكتب، ولم تفتح كتاب ربك.. ذكرت كل شيء ولم تذكر مولاك، وهو القائل: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة:١٥٢). اتصلت بجميع أصدقائك وأحبابك، وسلمت عليهم عبر الهاتف ولم تتصل على حبيبك.. ولم تخشع لذكر الله.. وقفت مندهشا لكل اختراع بشري رغم بساطته، ولم تقف لحظة تسبح قبل شروق الشمس وقبل الغروب.. جالست كل زميل وصديق ومقاول وطبيب وبناء وغواص، ولم تخصص وقتا لصحبة أمك وأبيك، وهما أحق الناس بحسن صحابتك.. اطلعت على كل أخبار العالم، ولم تسأل عن أهلك ورحمك.. مر عليك عام أو يزيد لم تزر عمك وخالك وأدناك أدناك.. متى كانت آخر مرة طرقت باب جارك لتسأل عن أحواله؟ واللهِ تمر السنون والسنون والجار مريض، ولا أحد من جيرانه وأقربائه يسألون عنه.. أما تخشى أن يوجه إليك الخطاب يوم الحشر: «مرضت فلم تعدني».

أخي الكريم: هذه بعض الاقتراحات العملية السهلة الميسرة -وكل سنة الحبيب وهديه يسر- وضعناها بين يديك لتجديد إيمانك. فاختر منها ما يناسبك. واللهَ اللهَ في الفرائض. ففيها الفلاح. واستعن بشيء من النوافل وتذكر «ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه». فإذا أحبك الله فيا بشراك. كان سمعك وبصرك ويدك... كما يليق لجلاله سبحانه، فما أعظم العطاء، وأغلى المثمن، وأرخص الثمن.

وفي الختام أخي المؤمن أختي المؤمنة، إن استطعت أن يكون لك عمل صالح لا يطلع عليه غيرك فافعل. فقد قال النبي الكريم ﷺ: «من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل» (الصحيحة ٢٣١٣). فلنجعل من بيوتنا خلية نحل عامرة بالإيمان والتقوى؛ لا تأكل إلا طيبا، ولا تعط إلا شهدا، حتى نتذوق حلاوة الإيمان. ولنغتنم الأوقات. فهي المطية لجنة عرضها الأرض والسموات، والله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

الهوامش

١- فتح الباري١٢/٢٧، مكتبة الصفا.

٢- أخرجه مسلم بلفظ: «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا، غير فريضة، إلا بنى الله له بيتا في الجنة، أو إلا بني له بيت في الجنة».

٣- مسلم بشرح النووي ٨/١٦٥ دار إحياء التراث العربي، ط١ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) تحقيق: الشيخ عرفان حسونة.

التخطيط الاستراتيجي

د. سلطان السهو
دكتوراه في المحاسبة

شاع استخدام لفظ التخطيط الاستراتيجي في هذا القرن، إذ أثبتت الدراسات أن المؤسسات التى تخطط استرتيجيا تتفوق في أدائها الكلي على المؤسسات التي لا تخطط ولكن تعتمد على ما يسمى الإدارة الفعالة أو إدارة الأزمات.

لذا فإن التحديات المتنوعة والمتغيرات المتسارعة تفرض حاجة تلك المؤسسات إلى تبني تفكير استراتيجي بعيد المدى يمثل عملية تشارك جهاز الإدارة العليا والقيادية لتلك المؤسسات لوضع التصور الذي يجب أن تكون عليه تلك المؤسسة فى المستقبل وهذا ما يعرف بالرؤية.

وبهذا يلاحظ أن أكثر الخطط الاستراتيجية تطبيقا هي تلك التي يشارك في إعدادها جميع المديرين والموظفين وبصورة أدق جميع المستويات الإدارية.

لذا لابد من نشر ثقافة التفكير الاستراتيجي في المؤسسات من خلال حلقات النقاش وورش العمل ومشاركة جميع الموظفين في وضع الرؤية المستقبلية ورسالة المؤسسة، واستنباط الاستراتيجيات المناسبة لتحقيق تلك الرؤية، والتفكير الاستراتيجي يمكن المؤسسة من تحويل رؤيتها إلى واقع وتحقيق وضع أفضل يؤدي إلى رفع كفاءتها الداخلية والخارجية، فهو تفكير متسلسل في خطواته ومنظم فى إجراءاته إذ إنه مصطلح تركيبي يتضمن كل من الخيال والإبداع وإن نتيجته بمنظور متكامل مناسب للبيئة الداخلية والخارجية للمؤسسة ومبدع في إيجاد الاستجابات المناسبة لها. وفهم المعاني والرموز واستيعابها وما تؤول إليه من علامات احتمالية.

ويقرن الاستراتيجي نجاح قراراته بمظاهر الإبداع والخيال التي تنعكس على ممارساته التنظيمية.

الداعية سامي بلال في ذمة الله

توفي الداعية الإسلامي الشيخ سامي بلال الشهر الماضي في الكويت بعد صراع مع المرض أدخل على إثره غرفة العمليات في أحد مستشفيات ألمانيا، بقصد إجراء عملية تعد من أدق العمليات.

ورغم مبادرة العديد من رجالات الكويت إلى المساهمة في تكاليف علاجه بعدما أصيب بمرض السرطان، تقديرا لعمله الدعوي التطوعي لسنوات عديدة داخل الكويت وخارجها، فإنه شكرهم وتمنى أن يكون علاجه على حساب الحكومة كونه مواطنا مستحقا.

وكان الشيخ سامي يقدم ضمن أنشطته الدعوية برامج دينية في إذاعة الكويت، إضافة إلى أنشطته الدعوية في المساجد، فكان له - رحمه الله - الكثير من المحبين والمتابعين لمحاضراته وأنشطته التي تتسم بهدوء الطرح والفكرة المقنعة.

وقد سافر إلى بلدان كثيرة للدعوة، ونشر العلم، وإقامة الدورات الدعوية، لاسيما أوروبا وجنوب شرق آسيا، وهو أول من أسس لمراكز إسلامية في البرازيل منذ سنة ١٩٩٤م. وكان - رحمه الله - ذا همة عالية وأخلاق نبيلة، وكان من أوائل الدعاة الذين خرجوا في التلفاز، وكان له أسلوب مميز وسهل.

ولم يقف جهد الشيخ على الدروس أو تنظيمها أو السفر إلى الدول الفقيرة، بل كان يتابع أمور الدعاة في الخارج، فكان يراجع بنفسه وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للتأكد من تحويل رواتب الدعاة في الخارج.

وكان له جهد واضح في إذاعة القرآن الكريم، وتميزت برامجه بالإبداع والسهولة، وإذا بدأ برنامجه فكلماته العفوية ونصائحه تدخل القلب وتجبرك على إكمال الاستماع إليه.

الشائعات.. إرباك للمجتمعات

د. خالد سعد النجار
كاتب متخصص في الشؤون المجتمعية

خبر مثير، أو وصفة عجيبة، أو حدث غريب، أو نبوءة مدهشة.. تنتشر أصداؤها في الناس انتشار النار في الهشيم.. إنها «الشائعات»، التي لا يجمعها إلا جهالة المصدر (بؤرة مجهولة)، مع ما فيها من غرابة وإثارة. وبين أوساط المكائد السياسية أو الحرب النفسية أو المنافسة التجارية أو لفت الأنظار أو حتى مجرد الفكاهة والتندر.. تنمو الشائعات وتتضخم وتترسخ في ثقافة المجتمع تارة، أو تموت بعد فترة تارة أخرى.

أسباب ودوافع

تعشش الشائعات وتفرخ إذا توافرت لها مناخات الجهل، أو الأمية الثقافية. فالشائعات تموت على لسان صاحبها لولا وجود الجاهل، الذي يجعل من الحبة قبة ومن القبة مزارا. قال علي رضي الله عنه: «الناس ثلاثة: عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع؛ أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق».

كما أن الفراغ والخمول والملل تولد الشائعات، فالعقول الفارغة يمكن أن تمتلئ بالأكاذيب، والأيدي المتعطلة تخلق ألسنة لاذعة، وقديما سمى السلف من يجلس فارغا بـ: «عاطل، بطال». ومن سفلت همته ولم يجد بيئة كريمة تدفعه إلى العطاء والإنجاز، ولغ في حضيض التفاهة، ولم يعرف إلا بالقيل والقال!

ولا يمكن أيضا تجاهل دور الغموض في ترويج الشائعات، فالشفافية والمصداقية والوضوح تقتل الشائعة في مهدها وتحول دون انتشارها وتضخمها، قال ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه» (متفق عليه). وقد تنطلق الشائعات من مرضى حب الظهور ومدعي الثقافة والرسوخ العلمي الوهمي، أو من الراغبين في تضخيم أنفسهم بادعاء اطلاعهم على دهاليز الأخبار وبواطن الأمور.

ومما يزيد الطين بلة أن يكون هذا النمط من مروجي الشائعات ممن لهم علاقة بالجهة التي تعنيها الشائعة، خصوصا لو كانت جهة سيادية لا تتسرب منها الأخبار إلا بشق الأنفس، وهنا تكمن الكارثة، وتنطلق الشائعة التي من الصعب أن توقفها بأي حال من الأحوال، والتي لها من القدرة ما يمكنها من هزيمة الحقيقة نفسها.

كيف تسري الشائعات؟

لدى أي إنسان قناعة ذاتية بأنه يتلقى المعلومات بصورة واعية، ويفكر بمنطقية وحيادية في أغلب الأحيان، وأن آراءه وقراراته مبنية على منطقية تفكيره. لكن الحقيقة أن أدمغتنا تدفعنا إلى اختيار المعلومات بصورة انتقائية تنسجم مع قناعاتنا المسبقة، وفي أحيان كثيرة نعجز عن ملاحظة التناقضات الصريحة في الأفكار بسبب سلطان «عواطفنا».

ففي تجربة عجيبة ومثيرة أقيمت إبان الانتخابات الرئاسية الأمريكية في عام ٢٠٠٤ على عينة مقسمة بين أفراد متحمسين جدا للمرشح جورج بوش أو المرشح جون كيري. استخدمت في هذه التجربة تقنية «الرنين المغناطيسي الوظيفي»، التي تصور ما يحدث داخل الدماغ أثناء التفكير، بحيث تعطي فكرة أدق للباحثين عن الأساس البيولوجي لانحيازاتنا.

طريقة التجربة كانت في عرض

عبارات المرشحين بشكل صريح، بالإضافة إلى عرض عبارات يمكن استخراج التناقض منها، ثم تصوير أدمغة أفراد العينة أثناء تقييم هذه العبارات.

وجد الباحثون أنه حين تقدم عبارات المرشح المتناقضة إلى الأفراد المتحمسين لذات المرشح، فإن المراكز العاطفية في الدماغ تنشط، وبالتالي فلا يرون أي تناقضات. بينما حين تقدم عبارات المرشح الآخر المتناقضة فإن المراكز المتعلقة بالتقييم العقلاني هي التي تنشط ويكتشفون تلك التناقضات فورا.

وهذا الأمر تكرر في كلتا المجموعتين. فاستنتج الباحثون أن الأخطاء التي ارتكبها أفراد العينة حين كانوا يقيمون عبارات مرشحهم المتناقضة لا تعود إلى أخطاء في الاستدلال العقلاني أو نقص في المعلومات، بحيث لا يفيد معها لو درسوا كل علوم المنطق والفلسفة.. لأنهم بكل بساطة لم يكونوا يستخدمونها في التفكير لا من قريب ولا من بعيد.

أخطار جسام

الشائعة حجر عثرة لا يستهان به، فهذه الأخبار التي لا تعدو أن تكون مجرد كلمات، كم من أمة دمرتها، وجيوش خذلتها، وجماعات فرقتها، وأفراد أقلقتها، وأسر فككتها.. حطمت عظماء، ولوثت أبرياء، وشتت أصدقاء، وقطعت وشائج، وتسببت في جرائم.

وتدبر شائعة «الإفك» في بيت النبوة، والتي استمرت قرابة الشهر، والكل في المدينة يعايش محنتها، بين خائض فيها ومتبرئ منها، حتى نزل القرآن يغسل آثار هذه الفرية، ويعتبرها درسا تربويا نجح فيه أقوام، ورسب فيه آخرون. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور:١١).

﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾، أي لما تضمن ذلك من تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. بل نُسب الافتراءُ على الله تعالى إلى كل الأنبياء من خصومهم، وبرأ الله نبيه موسى مما أشاعه بنو إسرائيل عليه من المرض في جسده؛ فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ (الأحزاب:٦٩).

ترياق وبلسم

قال تعالى:

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب:٧٠ و٧١).

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ (الحجرات:٦).

- ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء:٨٣).

وفي هذا ذم للذين ينقلون خبر السوء ويشيعونه بين الناس من دون تعقل في نتائج نقله، وما يحدث عنه من عظيم ضرر، وكبير خطر، وفيه تأديب من الله تعالى لعباده، يتضمن مبدأ التحفظ عند سماع الأخبار، والتثبت من أحوال نقلتها، وظروف نقلها، وعدم التسرع في رواية الأخبار ونشرها.

وفي هذا أيضا توجيه من الله لعباده إذا ثبت عندهم الخبر في ما يتعلق بالأمور المهمة، والمصالح العامة للأمة؛ مثل ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه المصيبة في الدنيا أو الدين -أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة الخبر، والحكم عليه من دون روية، بل يردونه إلى الفضلاء من أهل العلم والحكم؛ بأن يردوه إلى الرسول ﷺ في حياته، وإلى أولي الأمر منهم من بعد وفاته ﷺ، وهم أهل الرأي والعلم والنصح، والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وأضدادها- فإذا رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين، وسرورا لعباد الله الصالحين، وتقوية لمعنويات المجاهدين، وتحرزا من أعداء الدين، أشاعوه ونشروه، وإذا رأوا أنه ليس في إشاعته مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مفسدته أرجح وأخطر، كتموه فلم يذيعوه، وعالجوه بأفضل ما رأوه.

وقال ﷺ:

- «كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع» (رواه مسلم وابن حبان).

- «إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها (يعني ما يتثبت) يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (متفق عليه)

- «بئس مطية الرجل زعموا» (رواه البخاري في الأدب وأبو داود).

وفي الصحيحين عن المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن قيل وقال». أي: الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين.

ومن أشد الأحاديث تحذيرا من إطلاق الشائعات حديث الرؤيا في صحيح البخاري، رحمه الله، فإن النبي ﷺ رأى رجلين، رجلا قائما على رأس رجل، وعند القائم كلوب من حديد، وكان يدخل الكلوب في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله. فقيل للنبي ﷺ لما سأل عن ذلك، فقال: «هذا -الذي يعذب- يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق».

الطبيب القابع بين ضلوعنا.. لماذا لا نستشيره ؟!

منور عثمان
باحث سوري

«الإنسان حكيم نفسه» قول فيه الصدق في كثير من الأحيان، ففي داخل جسم كل إنسان طبيب قابع بين ضلوعه، وقوى شفائية إذا عرف كيف يتعاطى معها، ساعدته على البرء من أمراض لم تنفع معها الأدوية الموصوفة من طبيب أو أكثر.

نعم «الإنسان حكيم نفسه» وعلى كل إنسان أن يصغي إلى الأحكام الصادرة من طبيبه الذاتي القابع بين ضلوعه.

قد يصاب الإنسان بمرض ما فيعرض نفسه على الطبيب، ثم يتناول الأدوية التي يصفها له بانتظام، ومع ذلك تظل أعراضه قائمة، فإذا تجاوزت مدة «ضيافة» المرض حدود الراحة والتحمل، فماذا يصنع المريض؟ لقد لجأ إلى رأي ثان من طبيب آخر، فإلى من يلجأ الآن؟

على الإنسان أن يشي أو يثلث لطبيب آخر أقرب إليه من حبل الوريد، الطبيب الذي يقطن في داخل جسمه مستعدا للتنبه في أي لحظة.

على المريض أن ينظر في المرآة، وعندها سيشاهد وجه طبيبه المنتظر الذي يستطيع مساعدته على الشفاء أو يحسن طريقته في التصدي لما يطرأ عليه من الأمراض الخفيفة والثقيلة.

الكثير من الأدلة العلمية توحي بأن كثيرا من الأمور مثل وسائل مقاومة التوتر والانفعال، وتناول الغذاء الصحيح، والاستعانة بالأصدقاء والأقرباء يمكن أن تساعد جسم الإنسان على مكافحة المرض، وأكثر هذه التدابير واقع ضمن قدرة الإنسان على التحكم فيها.

في ما يلي بعض الاستراتيجيات التي اقتبست من المنشورات العلمية والطبية، أو سمعت من أفواه الخبراء حول طرق الاستفادة الكاملة من القوى الشفائية الداخلية في جسم الإنسان.

إن الإصغاء إلى الأحكام العاقلة الصادرة من الطبيب الذاتي بين الضلوع، لا يعني أبدا الاستغناء عن الطبيب الخارجي، بل إنه يعني تضافر الاثنين معا من أجل الوصول إلى الشفاء السريع، لذلك وقبل أي شيء آخر، وقبل أن يتخذ المريض أي قرار بإضافة أو تبديل طرق المعالجة، عليه أن يستشير طبيبه في كل ما يعن له من أمور.

الاستعانة بالغذاء

ما إن يلم بالإنسان أي عارض صحي، كبيرا كان أم صغيرا، فإن نفس المريض لم تعد تتقبل الطعام كما ينبغي، ولكن يجب عليه أن يدرك أن لحظة المرض هي في الحقيقة اللحظة التي يجب عليه فيها أن يضاعف عنايته في أمور طعامه وشرابه، فالطعام في كثير من الحالات يعتبر جزءا من الدواء، فكيف يكون ذلك؟

عندما يمرض الإنسان فإن غدده تأخذ في ضخ أنواع من الهورمونات تجاوبا مع دواعي الإرهاق والانفعال التي تسببها الإنتانات والأمراض، وتسعى الجملة المناعية في الجسم جهدها لإخماد «الحريق» الداخلي، وهذه

الطفرة من النشاط الغددي تعني تسارع نسبة الاستقلاب والسحب من المخزون الاحتياطي في الجسم، ما يعني أن جسم المريض يأخذ في حرق الكثير من السعرات الحرارية وسائر المواد الضرورية للحياة، بما في ذلك الفيتامينات والمعادن، فإذا ضعفت المغذيات التي تدخل إلى الجسم كأطعمة، فإن استعادته لعافيته تتأخر أو تتوقف، وهكذا يعرض المريض نفسه للأخماج والعديد من المضاعفات والاختلاطات.

في الأحوال العادية لا يكون الإنسان معرضا لأن يستنفد خزانته من هذه المواد المغذية، إلا عند مرضه، كإصابته بمرض إنتاني شديد أو تعرضه لحروق كبيرة تلزمه سرير المستشفى لعدة أسابيع، إلا أن إصابة الإنسان بترفع حراري بسيط مثلا، يمكن أن ترفع قليلا درجة استقلابه، وهذا يمكن أن يسهم في تقليل مخزون جسمه من هذه المواد الضرورية لحياته.

إن سد مثل هذا النقص في المواد الاحتياطية بالجسم، يمنح منظومات مقاومة الأمراض القدرة التي تحتاج إليها لكي تعيد الإنسان إلى سابق عافيته، فإذا كان المريض مقيما في المستشفى بعد عملية جراحية كبرى مثلا، فإنه قد يعالج بوسائل التغذية السائلة عبر الوريد، أو يغذى تغذية خاصة بأطعمة مقواة تساعده على استعادة قوته وصحته، ولكن الإنسان معرض أيضا لملازمة الفراش بسبب إصابته بمرض عابر كالرشح مثلا، وعندها عليه أن يجرب طرق الإسعاف التالية:

- شرب السوائل الكثيرة الاحتواء على المغذيات، كعصير الفواكه والخضر الخفيفة الأملاح، مخففة بالماء، أو الحساء أو المرق، وكذلك شرب الماء بمقدار كاف، ثمانية أكواب أو أكثر يوميا، لأن شرب الماء من الأمور المهمة.
- تقليل مقدار الوجبات مع الإكثار منها عدديا، فتخفيف مقدار الطعام يقلل فرص إصابة المريض باضطرابات في معدته وأمعائه، كالنفخة والغازات.
- الابتعاد عن المواد الدسمة الثقيلة الوطأة على الجهاز الهضمي، فتناول المريض أطعمة خفيفة قليلة الدسم يساعد في زيادة نشاط خلايا الجملة المناعية.
- الابتعاد عن عوامل الشدة والانفعال، إن تقليل التأثر بعوامل الشدة والإرهاق يمكن أن يساعد المريض على استعادة صحته، أو تجنب الوقوع فريسة للمرض، فخلايا الجسم تتأثر بعوامل الانفعال، وقد ثبت أن السبيل الهضمي مثلا، والرئة تزخر بالخلايا الشديدة التأثر بهذه العوامل، مما يدعم الرأي القائل بوجود علاقة مؤكدة بين جسم الإنسان وعقله، فالأشخاص المعرضون لحالات من التوتر الطويل كثيرو التهيؤ للإصابة بالقروح الهضمية والرشح وآفات القلب وارتفاع ضغط الدم واضطرابات الأمعاء، والوسيلة الناجعة لتقليل الانفعال العاطفي والشدة هي شيء فردي إلى حد كبير، فقد يرتاح أحد الناس عندما يشاهد التلفاز، بينما يرتاح غيره إذا قرأ أو كتب، أو سار في الهواء الطلق، أو، أو...

إسهام المريض

- الشعور بالقدرة على التحكم في أعراض المرض، لأن هذا الشعور يعمل في النفس عمل اللقاح في البدن، ويساعد على التعجيل في الشفاء، أما إذا استسلم للعجز والأفكار السلبية فإنه قد يكون عاجزا عن الاضطلاع بجانب من هذه المسؤولية.

ولكن على المريض أن يغذي هذا الشعور الشافي، شعور القدرة على التحكم ، بما يلي:

- الاهتداء إلى شخص مصاب بمثل مرضه، قادر على التعامل بنجاح مع هذا المرض، وذلك لكي يهتدي بأسلوبه في مكافحة المرض.
- قراءة أكبر قدر ممكن من المواضيع الطبية التي تتناول مشكلته، فالقراءة تزيده اطلاعا على أسباب مرضه وطرق تفاديه ومعالجته معالجة صحيحة.
- تنسيق المريض مع الطبيب بخصوص مرضه واعتباره شريكا له في عملية العلاج.

فوائد المشي

يعتبر المشي العلاج الطبيعي لكثير من الأعراض، فالمشي المعتدل القوة؛ لا يؤدي فقط إلى تخفيف التوتر، وإنما ينبه الجملة المناعية أيضا في الجسم، فهو ينشط الخلايا المناعية، ولكن ينبغي للمريض الإحجام عن أداء التمرينات الرياضية الشاقة إذا أحس بالأعراض الأولى للمرض و أن يواجهها بالراحة.

أما بالنسبة للمشاكل الصحية المزمنة كارتفاع ضغط الدم وآلام الظهر والسكر وأمراض القلب، فإن الرياضة المعتدلة قد تكون من شأنها المساعدة على تخفيف هذه المشاكل وتقليل الحاجة إلى العقاقير، ولكن على المريض ألا ينسى طبيبه، وعليه أن يستشيره قبل الشروع في أي برنامج رياضي، أو مجهود متعب.

الخان
قصة منشأ خدمية في حضارتنا

محمد شعبان أيوب
باحث مصري في التاريخ والتراث

الخان كلمة فارسية الأصل، معناها: المنزل. وقد تطورت دلالتها للمكان المخصص للمسافرين والتجار وطلبة العلم وغيرهم. قال ابن منظور: «والخان الحانوت أو صاحب الحانوت؛ فارسي معرب، وقيل الخان الذي للتجار» (١).

فالخان بمنزلة الفندق الذي أعد لهؤلاء المسافرين، أيا كانت مهنتهم. وكان الهدف الأساسي من وجوده «توفير الغذاء والمأوى للمسافرين والتجار. وقد ظهرت الخانات في الدولة الإسلامية منذ فترة مبكرة في عصر الدولة الأموية في أواخر القرن الأول من الهجرة» (٢). ومن أقدم المصادر التاريخية التي ذكرت الخانات واهتمام ولاة المسلمين ببنائها، نجد ابن سعد (ت٢٣٠هـ/٨٤٤م) في «الطبقات الكبرى»، فقال: «كتب عمر بن عبدالعزيز أن تعمل الخانات بطريق خراسان» (٣).

وقد كان وجود الخانات ضروريا نتيجة للمساحة الهائلة للدولة الإسلامية من بلاد ما وراء النهر شرقا إلى المغرب والأندلس غربا، ومن بلاد الروم شمالا إلى بلاد النوبة والسودان جنوبا وغربا، وهو ما أدى إلى التمازج بين أبناء هذه الدولة، وازدهار حركة العلم وطلبه، والتجارة والمعاملات الاقتصادية، فكانت الخانات تيسيرا على هؤلاء من عناء السفر.

أنماط الخانات

كانت الخانات في أول عهدها بسيطة الشكل، تؤدي الحاجة المطلوبة منها، ثم سرعان ما تطور شكل الخان ونمطه ليلبي المرجو منه، متأثرا بالثقافة والعمارة الإسلامية. فقد جرت العادة أن يتألف الخان من باب كبير ذي مصراعين ضخمين يتسع لدخول الرواحل المحملة بالبضائع، أو من باب كبير واحد فيه باب صغير في وسطه، يسمى «الخوخة»، لدخول الناس إذا لم تكن هناك حاجة لفتح الباب الكبير. وهذا الباب تحيط به واجهة مزخرفة ذات عقود وأبراج، ويؤدي إلى باحة سماوية واسعة قد تتوسطها بركة ماء، وتحف بالباحة حجرات متنوعة، ومحلات لإيداع البضائع أو بيعها، ومكاتب للتجارة تودع فيها العروض وما إليها، إضافة إلى المسجد، وبئر الماء في جانب تلك الباحة. وثمة أقسام ملحقة بهذا الطابق الأرضي لإيواء الدواب، وفيه أيضا بيطريون وعلف للرواحل.

وفوق هذا الطابق الأرضي طابق علوي مخصص لنوم نزلاء الخان من المسافرين والتجار والحجاج وطلاب العلم الوافدين من بلاد أخرى، فيجتمعون في الخان، الذي يشرف على إدارته رجال مهمتهم تجهيز النزلاء بما يحتاجون إليه من مبيت وإقامة، يضاف إليهم عمال يقومون بتنظيم أمور الخان وتنظيفه (٤).

على أن الخانات في بلاد الشام والعراق ومصر والروم، قد اتخذت، في الغالب، نمطين من الأشكال، تنوعا بحسب مكان الخان، فالخان الذي في طرق السفر والمناطق النائية والبعيدة

عن المدن والعمران، غالبا ما كان يبنى بالقرب من الأنهار والآبار والعيون، وكل ميزته وجود مكان للدواب في الأسفل والمسافرين في الأعلى لا غير. بخلاف الخان الذي كان يبنى في المدن أو في مداخلها، فقد كان يشترك مع خانات الطرق في ما تقدم، لكنه يمتاز عنها بخدمات أخرى، كوجود الحمام والمطعم والبيطار وقربه من الأسواق أو فيها (٥).

وظيفة الخان الحضارية

أنشئ الخان كمصلحة اقتضتها الحاجة الملحة. واللافت أن هذه المنشأة الخدمية لم يتوقف بناؤها على عاتق الدولة الإسلامية فقط، فقد قام أهل الخير والغنى بإنشاء هذه الخانات والفنادق في طول البلاد وعرضها؛ ابتغاء للأجر والثواب. واللافت كذلك اشتراك بعض المحدثين وطلبة العلم في إنشائها، فهذا المحدث أحمد بن محمد الأستراباذي يبني خانا في بلدته أستراباذ في شمال إيران فيشتهر به (٦). وهذا أبو جعفر محمد بن عاصم، الشهير بصاحب الخانات، المحدث الشهير في بغداد وغيرهما (٧).

وهذا باب عظيم لم نكد نراه في أي حضارة من الحضارات السابقة على هذه الصورة التي قدمتها الحضارة الإسلامية وتوسعت فيها؛ إذ كان كثير من هذه الخانات موقوفا؛ والوقف، كما هو معروف، حبس الأصل وتسبيل المنفعة ابتغاء لرضا الله وثوابه، أو كان أهل اليسار والغنى يوقفون على هذه الخانات أوقافا؛ لعمارتها وتجديدها وتقديم ما يلزم للمسافرين والتجار وطلبة العلم والقائمين عليها من وسائل الراحة والأمان والغذاء والكسوة في بعض الأحيان من دون تقديم مقابل مالي، اللهم في حالات قليلة أخرى!

فهذان عالمان يحضر أحدهما للآخر المسافر في خان قرب دمشق للتدارس في حديث رسول الله ﷺ في القرن الرابع الهجري على ما يذكر ابن عساكر في تاريخه (٨).

وهذان شاعران أحدهما الشاعر الشهير دعبل بن علي والآخر أحمد بن الحجاج مولى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي، يلتقيان في القرن الثالث الهجري

بخان على الطريق من بغداد إلى مصر، يذكر صدفة اللقاء في الخان وطرافة قصتهما ابن المعتز (ت٢٩٦هـ/٩٠٨م) في كتابه «طبقات الشعراء» (٩).

وهذا المحدث سعدان بن يزيد البزاز (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م) يتقي المطر والرعد بخان في الطريق يتأمل فيه عظمة الخالق، فيقول: «كنت في بعض أسفاري، فنزلت بعض الخانات، فكانت ليلة مطيرة ورعد وبرق، فنام أهل الخان، وجلست أفكر في عظمة الله، يعني: فنمت، فإذا ابن لي قد كنت أقصيته وأبعدته، وإذا هو يخضع لي ويقرب مني، وأنا أقصيه وأبعده، ثم انتبهت، فصاح بي صائح من جانب الخان، يا سعدان بن يزيد قد رأيت عظمته، فافهم كذا يغضب عليك إذا عصيته ويتحنن عليك إذا أرضيته» (١٠).

وقد وصف لنا المستشرق الفرنسي جاستون فييت بعض خانات القاهرة في العصر المملوكي في كتابه الماتع «القاهرة مدينة الفن والتجارة» بقوله: «هناك خان من نوع خاص عند مدخل المدينة شمالي باب الفتوح سمح للمسافرين بالنزول فيه مجانا، ونظرا لموقعه في ظاهر المدينة فقد تحول إلى مستشفى للمرضى بأمراض معدية. وهناك خان آخر استخدم كمصرف أودع فيه التجار صناديق المال المملوءة بالذهب والفضة... وفي الحي نفسه كان هناك خان قوصون، أو وكالة قوصون، الذي استخدمه التجار السوريون لخزن بضائعهم مثل الزيت والسيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب. وكان فندق دار التفاح بالقرب من مسجد المؤيد أشبه بوكالة كبيرة للفواكه على اختلاف أنواعها، كما وجد خان آخر كانت تستخدم إيراداته لفدية أسرى الحرب، واشتمل على اثني عشر حانوتا وخمسة حمامات وثمانية وخمسين مخزنا وست غرف كبيرة وفناء وخمسة رباع، وخمسا وسبعين حجرة للنزلاء، وخمسة حمامات في الطوابق العلوية» (١١).

ويفهم من هذا أن وظيفة الخان في المدن في العصور الإسلامية المتأخرة، كانت استقبال التجار بشكل عام؛ من باعة الجملة ومروجي البضائع ومراسلي المستوردين والوسطاء. وفي هذا المكان كان يتم البيع والشراء، وكأن المكان لم يعد لإيواء المسافرين، بل استقبالهم ريثما يتمون تجارتهم. وكما كان لكل بضاعة دار، صار لها خان يرتبط اسمه بها، إن لم يرتبط باسم مؤسسه أو مالكه؛ فهنالك خان الحرير وخان الحبالين في دمشق، وخان الجوخ في إسطنبول، وخان الخياطين والصابون في طرابلس، وخان الزيت وخان الحرير في حلب. وكان بعضها عظيم الاتساع كخان الجمرك في حلب، الذي يعود تاريخه إلى عام ١٥٧٤م، فقد ضم اثنين وخمسين مخزنا، وسبعا وسبعين غرفة، وسوقين مبنيين بالحجر المهندم، يصل إليهما الضوء من قبب عشر تعلوهما، وكان مجموع دكاكينه ثلاثمائة وأربعة وأربعين، وإلى جانبها سبيلان ومسجد (١٢).

وبعد هذا التطواف السريع رأينا كيف أن منشأة الخان أو الفندق أو الوكالة، كانت إبداعا حضاريا إسلاميا رائعا، قدمت عبر مئات القرون خدماتها المجانية في الغالب لكل الناس من المسافرين والتجار وطلبة العلم وغيرهم، داخل المدن الإسلامية وخارجها، فكانت صورة ذهبية من صور هذه الحضارة الخالدة واهتمامها بالمسلم في ترحاله!

الهوامش

١ - ابن منظور، لسان العرب، مادة خون ١٤٤/١٣، دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت.

٢- Encyclopedia Britannica -khan.:

٣ - ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، ٢٦٦/٥، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠م.

٤ - محمود الفاخوري، الموسوعة العربية، مادة «الخانات»، ص٧٤١.

٥ - انظر: ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص٧٠ وما بعدها، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

٦ - الجرجاني، تاريخ جرجان، تحقيق محمد عبدالمعيد خان، ص٥١١، عالم الكتب، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٨٧م.

٧ - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد، ٢٣٢/٤، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢م.

٨ - تاريخ ابن عساكر، تحقيق عمرو ابن غرامة العمروي، ١١٥/٥، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٩ - ابن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق عبدالستار فرج، ص٣٠١، دار المعارف، الطبعة الثالثة، القاهرة.

١٠ - تاريخ بغداد، ٢٨١/١٠.

١١ - جاستون فييت، القاهرة مدينة الفن والتجارة، ص١٩٨ و١٩٩، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨م.

١٢ - نبيلة القوصي، الخانات في دمشق القديمة ١، مقال على موقع نسيم الشام على الإنترنت.

ضوابط النشر

حرصًا من إدارة مجلة «الوعي الإسلامي» على إشاعة الثقافة الواعيـة والمعلومة الصحيحة المنضبطة بضوابط التوثيق العلمي، فقد رأت المجلة أن تعيد التذكير بضوابط النشر على صفحاتها وفقا لما يلي من الشروط:

ما يتعلق بالكاتب

- أن يكون الكاتب متخصصًا في مجال كتابته وأن تؤهله ثقافته للكتابة في الموضوع الذي يتطرق إليه.
- أن يرسل صورة شخصية رقمية حديثة لشخصه الكريم بالإضافة إلى سيرته الذاتية.
- أن تكون المراسلات باسم رئيس التحرير.
- أن يكون العنوان كاملاً، مع كتابة رقم الهاتف، والفاكس، وضرورة إرسال البريد الإلكتروني.

ما يتعلق بالمادة العلمية

- أن يعالج الموضوع فكرة متميزة أو ملمحًا فريدًا يخدم المعنى العام للوعي الإسلامي، والثقافة النيرة والعلم الشرعي.
- أن يكون المقال بلغة واضحة سليمة تناسب أكبر شريحة من القراء.
- أن تكون الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة مخرجة.
- أن تكون المراجع في هوامش المقال مشارًا إليها بأرقام تشتمل على اسم الكاتب واسم المؤلف ودار النشر وسنة الطبع.
- الالتزام التام بالأمانة العلمية.
- ألا يزيد المقال على ثلاث صفحات A4، وأن يبتعد الكاتب عن المقالات المتسلسلة ما أمكن.
- أن تكون الحوارات والتحقيقات والاستطلاعات مقرونة بالصور الفوتوغرافية الملونة.
- ألا يكون المقال منشورًا في الصحف والمجلات المطبوعة و الإلكترونية.

ملاحظة:

-المجلة غير ملزمة بإعادة المواد المرسلة في حال عدم نشرها.

-المجلة لن تستقبل أي مادة ورقية ترسل عبر العنوان البريدي.

الوعي الإسلامي

كنوز الذاكرة .. ركن نرجع فيه بالقارئ الكريم إلى بدايات القرن الماضي وما تلاه، نقرأ لعباقرة ذاك الزمان، بحروف وطباعة تلك الأيام، حتى نعيش معا الذكرى بشكلها ومضمونها.

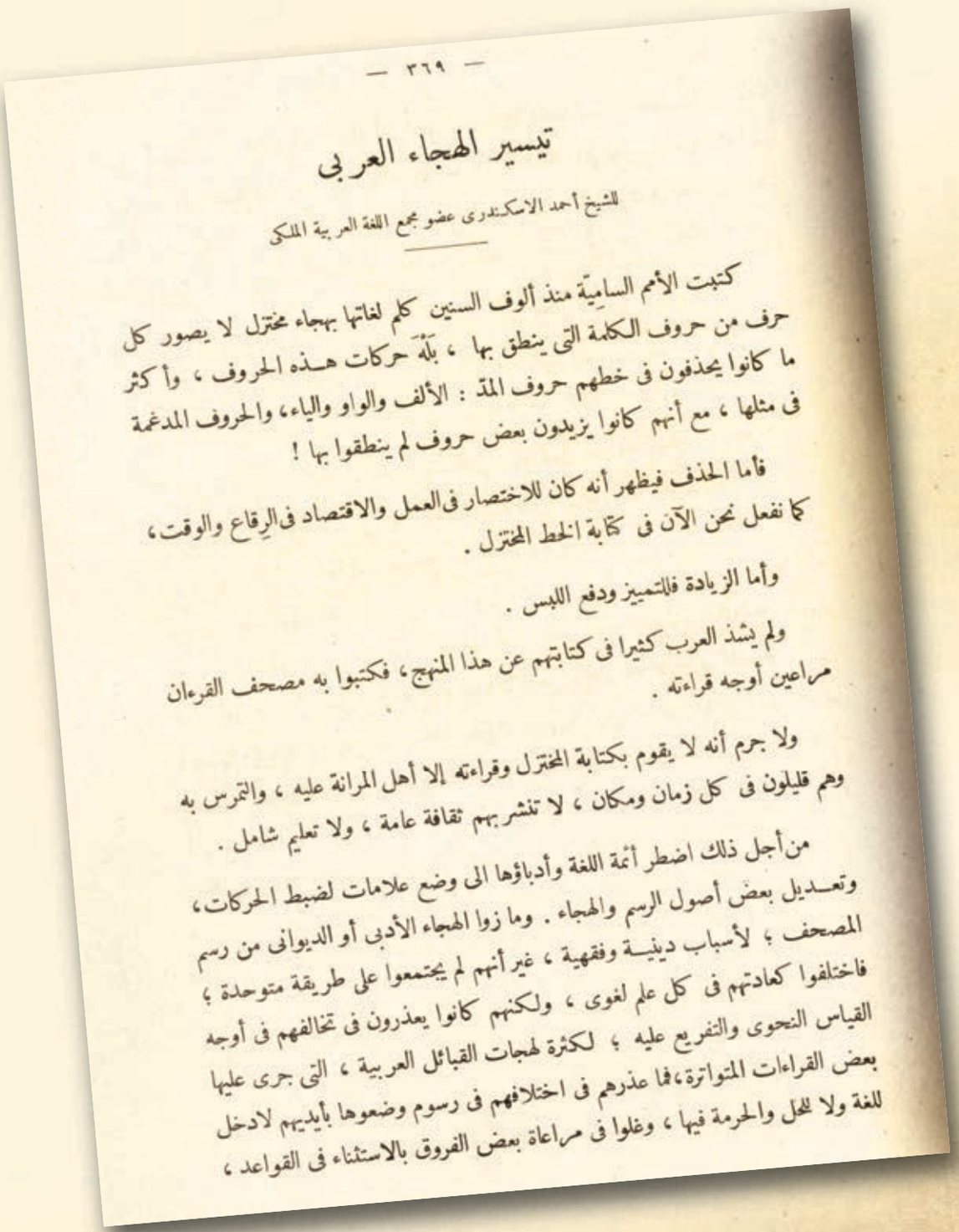

— ٣٦٩ —

تيسير الهجاء العربى

للشيخ أحمد الاسكندرى عضو مجمع اللغة العربية الملكى

كتبت الأمم السامية منذ ألوف السنين كلم لغاتها بهجاء مختزل لا يصور كل حرف من حروف الكلمة التى ينطق بها ، بَلْهَ حركات هـذه الحروف ، وأكثر ما كانوا يحذفون فى خطهم حروف المدّ : الألف والواو والياء، والحروف المدغمة فى مثلها ، مع أنهم كانوا يزيدون بعض حروف لم ينطقوا بها !

فأما الحذف فيظهر أنه كان للاختصار فى العمل والاقتصاد فى الرِقاع والوقت، كما نفعل نحن الآن فى كتابة الخط المختزل .

وأما الزيادة فللتمييز ودفع اللبس .

ولم يشذ العرب كثيرا فى كتابتهم عن هذا المنهج، فكتبوا به مصحف القرءان مراعين أوجه قراءته .

ولا جرم أنه لا يقوم بكتابة المختزل وقراءته إلا أهل المرانة عليه ، والتمرس به وهم قليلون فى كل زمان ومكان ، لا تنشر بهم ثقافة عامة ، ولا تعليم شامل .

من أجل ذلك اضطر أئمة اللغة وأدباؤها الى وضع علامات لضبط الحركات، وتعـديل بعض أصول الرسم والهجاء . وما زوا الهجاء الأدبى أو الديوانى من رسم المصحف ؛ لأسباب دينيـة وفقهية ، غير أنهم لم يجتمعوا على طريقة متوحدة ؛ فاختلفوا كعادتهم فى كل علم لغوى ، ولكنهم كانوا يعذرون فى تخالفهم فى أوجه القياس النحوى والتفريع عليه ؛ لكثرة لهجات القبائل العربية ، التى جرى عليها بعض القراءات المتواترة، فما عذرهم فى اختلافهم فى رسوم وضعوها بأيديهم لادخل للغة ولا للحل والحرمة فيها ، وغلوا فى مراعاة بعض الفروق بالاستثناء فى القواعد ،

حتى أصبحت لا قيمة لها ، لقلة اطرادها . وما زال المحدثون يتخبطون فى الزيادة والحذف فى تعديل الرسم الى وقتنا هذا ؛ لأنها مسألة ذوقية ، والذوق يختلف باختلاف الأفراد والزمان والمكان ؛ فأصبح أهل المغرب يخالفون فى بعض رسمهم أهل المشرق . وطالما ضج الأدباء بعامة والمعلمون بخاصة من هذا التخبط ، حتى دعا بعضهم الى الكتابة بالحروف اللاتينية ، أو وضع حروف جديدة غير الحروف العربية ، وبعضهم الى كتابة كل ما ينطق به من حروف وحركات بحروف عربية كاملة الصورة .

واذا كان من أغراض مجمع اللغة العربية الملكى سلامة اللغة : باستحياء آثار السلف ، من المؤلفات التى تعد بألوف الألوف ، رأيت أن يكون إصلاح الهجاء تدريجا لا طفرة ، فاخترت طريقة معتدلة مستخرجة من كلام أئمة اللغة ، للجرى عليها فى تعليم النشأ الصغار ، ورفعت فيها أكثر المستثنيات من القواعد ، وقربت بها ما بين النطق والرسم . وهأنذا أقدمها لقراء مجلة المجمع ، وخاصة المعلمين منهم. فان رأوا الاكتفاء بها ، وإلا دعوتهم الى العمل بالطريقة الأخرى المختزلة ، التى ألحقتها بالمعتدلة . وليس وراء هذه المختزلة غاية إلا الخروج عن نطاق الرسم العربى بتة ، وقطع الصلة بين القديم والحديث . وهذا ما لا أرجوه ولا يرجوه أعضاء المجمع . فليدل أبنائى واخوانى من المعلمين والأدباء بآرائهم فى مجلة المجمع ؛ فكلنا طلاب إصلاح ، وما توفيق إلا بالله .

التعريف بمجلة مجمع اللغة العربية الملكي:

هي رافد علمي من روافد المجمع اللغوي الذي تأسس في عهد الملك فؤاد الأول، وكانت مهتمة بخدمة اللغة العربية، وتهيئة الوسائل اللازمة لعصرنتها، ووقاية اللسان العربي من العجمة السارية في كثير من البلدان العربية.

وقد قام على المجلة في بداية تأسيسها محمد حلمي باشا (وزير المعارف آنذاك)، ومحمد توفيق رفعت باشا (رئيس المجمع اللغوي).

الأستاذ أحمد علي عمر الإسكندري:

ولد في مدينة الإسكندرية، وتعلم في المعاهد الأزهرية، وتخرج في دار العلوم سنة ١٨٩٨م، ودرس فيها.

- اختير عضوا بالمجمع اللغوي عند إنشائه عام ١٩٣٤م.
- صدرت له مؤلفات عدة عن الأدب العربي في مختلف عصوره، وعدد من الكتب الدراسية لتعليم الناشئة.

توفي بالقاهرة.

إعداد : د. محمود محمد الكبش
الباحث بوحدة البحث العلمي
(إدارة الإفتاء)

خطأ المفتِي.. أثره وضمانه (٢/٢)

قد يترتب على فتوى المفتي ما يكون سببا في إتلاف ممتلكات العباد وحقوقهم، كأن يفتي المفتي بنجاسة السمن، مثلا، لمن أفتاه فيه، فيتلفه صاحبه بناء على فتواه، أو كانت الفتوى متعلقة باستيفاء القصاص من أحد، ثم يتبين بعد ذلك خطأ الفتوى، فهل يضمن المفتي شيئا من ذلك؟

للعلماء في هذه المسألة أربعة أقوال:

● القول الأول: التفريق بين حالين للمفتي: فإن «كان أهلا للفتوى» وخالف نصا قاطعا من الكتاب والسنة، أو الإجماع، فإنه يضمن؛ وإلا فلا.

وإن «لم يكن أهلا للفتوى»؛ فلا ضمان عليه.

وهو مذهب كثير من الشافعية، ووجه عند الحنابلة ذكره ابن حمدان وابن مفلح، وأنكره ابن القيم، رحمه الله تعالى.

وعلة الضمان: تقصير المفتي في البحث إن كان أهلا. وعلة عدم الضمان لغير الأهل: تقصير المستفتي في البحث عن المفتي المجتهد. (أدب الفتوى لابن الصلاح ص ٦٣).

● القول الثاني: التفريق كذلك؛ فإن كان المفتي مقلدا، ونفذ ما أفتى به بنفسه؛ ضمن.

وأما إن كان مجتهدا؛ فأفتى، أو لم

تعزير السارق عقوبة له

(رقم الفتوى ٦٢٣٦)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

إننا نقوم بنشاط بيع التجزئة للمواد الغذائية، ونرجو بيان حكم الشرع في ما يلي:

تعلمون أننا نراقب أسواقنا بكاميرات سرية، وعندما نمسك بلص يسرق، ومقابل عدم إبلاغ الشرطة نأخذ منه إقرارا بأنه قد سرق، ويدفع لنا غرامة مالية، عشرة أضعاف المسروق.

فما رأيكم في ذلك؟ وما هو التصرف الأمثل في مثل هذه الحالة من أجل الحفاظ على أموالنا من اللصوص، وردعا لهم؟

أجابت اللجنة بما يلي:

ترى اللجنة أنه ليس للمستفتي أن يأخذ من اللص أكثر مما سرقه منه، أو قيمته عند تلفه، وله مع ذلك رفعه للقضاء؛ لتعزيره أو إقامة حد السرقة عليه، وفقا لأحكام الشريعة، وليس له أن يأخذ من اللص أكثر من ذلك، لأن العقوبة من حق القاضي وحده. ولا مانع من أن يحصل صاحب المحل على إقرار من السارق على ما وقع منه.

وتنصح اللجنة صاحب المحل التجاري بأن يكتفي من السارق باسترداد ما سرقه منه أو قيمته مع إقراره بالواقعة، وتعهده بألا يعود إلى مثلها من دون زيادة على ذلك، ما لم يتكرر منه فعل السرقة، فإذا تكرر منه ذلك يرفعه للقضاء. والله أعلم.

التنازل عن عقوبة خائن الأمانة

(رقم الفتوى ٤٢٢٥)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

لي ابن عم كان يعمل «مندوب جمع تبرعات» في جمعية خيرية، وقبل شهر تقريبا اتهم من قبل الجمعية بخيانة الأمانة بسرقة مبلغ معين، واستردت الجمعية هذا المبلغ، لكنها رفعت عليه قضية خيانة أمانة، وهو الآن موقوف في السجن على ذمة القضية، ولما ناشدناهم التنازل عن القضية، لاسيما أنه تم إرجاع المبلغ، قالوا لنا: «يمكن أن نتنازل عن القضية إذا أفتت لجنة الفتوى بجواز مساعدة المتهم بالتنازل عن القضية»، آملين منكم أن تفتونا في ذلك الأمر، حيث لم تصل القضية بعد إلى المحكمة، وجزاكم الله خيرا.

أجابت اللجنة بما يلي:

ما دام المتهم قد أعاد المبلغ المتهم بأخذه بغير حق إلى الجمعية، ولم تصل القضية بعد إلى المحكمة، فإن حق

يتول تنفيذه بنفسه؛ فلا ضمان عليه.
وإن لم يكن من أهل الاجتهاد؛ ضمن وأُدِّب أيضا.
وهذا هو المشهور من مذهب المالكية.
قال التلمساني: «وسئل المازري عمن أفتى رجلا فأتلف بفتواه مالا، فأجاب: إن كان المفتي من أهل الاجتهاد والنظر، لم يلزمه ضمان ما ذهب بسبب فتواه. وإن كان على غير ذلك، فقد تكلف ما لا يجوز، ويضمن ما تلف، ويجب على الحاكم التغليظ عليه إذا قامت البينة عنده، ولو أدب لكان لذلك أهلا، إلا أن يكون تقدم له طلب في العلم؛ فيسقط عنه الأدب، وينهى عن الفتوى إن لم يكن لذلك أهلا». (المعيار المعرب ٤١٣/٢).

● القول الثالث: إن المفتي لا يضمن أبدا بأي حال؛ وهو قول لبعض الحنفية.
وعلة ذلك: أنه بهذه الحالة يكون متسببا، وليس مباشرا، وإنما يكون الضمان على المباشر. ينظر: «حاشية ابن عابدين ٤١٩/٥».

● القول الرابع: إن المفتي يضمن إن لم يكن أهلا للفتوى، أو خالف دليلا قاطعا.
أما إن كان أهلا لها، أو كانت المسألة اجتهادية؛ فإنه لا يضمن، بل الضمان على المستفتي.
وهذا قول الحنابلة على الصحيح عندهم؛ وذلك لأنه إتلاف حصل بفعله؛ فأشبه ما لو باشر.
قال ابن النجار رحمه الله: «وإن عمل المستفتي بفتيا المفتي في إتلاف نفس أو مال؛ فبان خطأ المفتي في فتياه قطعا؛ أي: بمقتضى مخالفته دليلا قاطعا؛ ضمنه، أي: ضمن المفتي ما أتلفه المستفتي بمقتضى فتياه.
وكذا يضمن إن لم يكن أهلا للفتيا على الصحيح، خلافا لأبي إسحاق الإسفراييني وجمع، بل أولى بالضمان ممن هو أهل للفتيا». (شرح الكوكب المنير ٥١٤/٤).
ورجح كثير من الباحثين هذا القول؛ وذلك لقوة دليله ووضوحه.

طلب معاقبة المتهم هو حق شخصي للجمعية، فإن رأت الجمعية أن المتهم قد تاب توبة نصوحا وعزم على عدم العودة إلى مثل فعلته الأولى، وسعها إعفاؤه من المطالبة بإنزال العقوبة به، وإن رأت أنه لم يتب بعد، كان لها رفع أمره إلى القضاء لينال عقوبته المناسبة، حسما لمادة الفساد، وليرتدع به غيره. والله أعلم.

كتمان الشهادة عن صاحب الحق

(رقم الفتوى ٥٥٠٠)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

ما حكم كتمان الحق عن صاحبه مع العلم بوجود الضرر على صاحب الحق؟ وهل يدخل كتمان الحق في شهادة الزور؟

أجابت اللجنة بما يلي:

كتمان الحق عن صاحبه عند حاجته إليه وتعين شهادته عليه به مع القدرة على الإفصاح عنه - وذلك بألا يلحقه ضرر في بدنه أو ماله أو أهله - نوع من الخيانة، وهو حرام، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ (البقرة:٢٨٣). والله أعلم.

كفالة الشركة لأشخاص لا يعملون فيها من دون مقابل

(رقم الفتوى ٣٩٢٦)

عرض على «لجنة الفتوى» في دولة الكويت الاستفتاء التالي:

تمتلك زوجتي رخصة مؤسسة للتجارة العامة والمقاولات، وأنوب عنها في التوقيع على جميع المعاملات بموجب توكيل رسمي بذلك .

ويتقدم أحيانا بعض الزملاء يطلبون كفالة بعض أقاربهم ونقل إقامتهم على المؤسسة من دون مقابل مادي (عمل خير فقط)، علما بأنهم لا يعملون لدى المؤسسة.

لذا أفيدونا في ذلك وفقكم الله لما فيه الخير.

أجابت اللجنة بما يلي:

هذا العمل، وإن كان في ظاهره هو عمل خير، لأنه لا يؤخذ على هذه الكفالات مقابل، إلا أنه يجب الالتزام بقوانين الدولة في مثل هذه الأمور، فإذا كانت القوانين تمنع أن تكفل شركة شخصا من دون أن يعمل فيها فيجب تنفيذ هذه القوانين، لأن طاعة أولي الأمر في الأمور المباحة المنظمة لشؤون الدولة من طاعة الله ورسوله، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ (النساء:٥٩)، هذا مع ما في هذا من الكذب، والكذب حرام. والله أعلم.

إعداد: علاء عبدالفتاح

موقع «الوعي الإسلامي».. والأبحاث العلمية

أسرة التحرير المحترمين، بعد التحية والسلام، الحمد لله على كل حال، اسمي محمد عبدالقادر بن عبدالناصر، باحث أعد أطروحة الدكتوراه في قسم اللغة العربية، وموضوع بحثي «أساليب التعلم والتعليم في ضوء القرآن الكريم والأحاديث النبوية».

تسرني وتسعدني دائما زيارة موقع مجلتكم على الإنترنت، وكلما طلبت مواد مطابقة ومعلومات مناسبة عن بحثي وجدت ضالتي فيه، بالإضافة إلى أني وجدت مجلتكم الغراء مفيدة بشكل عام.

أدعو الله عزوجل أن يتقبل خدماتكم الطيبة ويبارك لكم في الدارين.

مع تحياتي: محمد عبدالقادر بن عبدالناصر، الباحث في الدكتوراه (رقم التسجيل ٢٧٤٠٨ يناير ٢٠١١-٢٠١٦)، كلية جمال محمد، تروشيرابلي، صوبة تامل نادو - الهند.

المحرر: الأخ الفاضل محمد عبدالقادر، شكرا جزيلا لكم على الاهتمام والمتابعة، متمنين لكم دوام التوفيق .

نداء إلى المسجد الأقصى

ذكرتك فاكتوى قلبي بشوق
وسال الدمع يجري في المآقي
كتبت الشعر من ماء الجفون
وقومي راقدون بلا فواق
أنادي المسجد الأقصى بصوت
تقطع من لظى ألم الفراق
أيا أقصى بعيدا عن عيوني
سدود بيننا... أنّى التلاقي؟
ويا مسرى الحبيب متى أراك
طليق الساعدين بلا وثاق؟
أرى في وجه قبتك المآسي
وأسمع للجدار أنين راق
عزيز أن نرى الأقصى جريحا
تلطخ ثوبه بدم مراق
فلا صوت هناك سوى نداء
حبيس ليس يجتاز التراقي
تصبر يا حمى الأقصى وأبشر
بنصر الله، إن الله باق
ستعلو راية الحق ويبدو
شعاع الفجر من بعد انطباق

● معان محمد الحلوجي

كتاب « اللّٰه رب العالمين »

من المغرب الشقيق وصلتنا رسالة رقيقة مرفق بها كتاب يحمل عنوان «الله.. رب العالمين»، ألفه محمد أحمد الرقيوق، ضم بين جنباته مقالات شتى، هي حصيلة القراءة والمطالعة للكتب والمراجع، كما قال المؤلف في تذييل كتابه، وقد كتبها بأسلوب عذب واضح، نسأل الله أن ينفع بها الأمة الإسلامية والبشرية جمعاء.

يقول الرقيوق في بداية الكتاب «هذا الكون الشاسع كله بدائع، وهذه الكواكب والنجوم إنها آيات وآيات من الله الواحد.

روائع في الأرض كثيرة، وروائع في السماوات كثيرة، كل شيء مفروش بالسناء والضياء.

فهذه السماء وهذه الأرض، الفضاء، الشمس، القمر، الليل، النهار، المساء، الصباح، الكل يعانق هذا الكوكب.. التاريخ يسير ومعه هذا الإنسان كل هذا وذاك الخالق هو الله.

الماء ينساب، والثلج يذوب، والفجر يبتسم، والنسيم يتحرك، ما أجمل السهل والبذرة، ما أجمل السماوات والأرض، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ (سبأ:٢٤)».

القراء الأعزاء: نستقبل اقتراحاتكم ومساهماتكم التي تساهم في نشر الوعي وتثقيف الناس على البريد الإلكتروني:

info@alwaei.com

aelbarbary@live.com

الإرجاف الإعلامي

في أيامنا هذه أصبح أمر التقصي والوصول إلى صحة الخبر صعبا وشاقا، فنلجأ إلى أيسر الطرق، التي نظن أنها ستنهي المشكلة وتعطينا صحة الخبر. نادرا ما تجد أفكارا بناءة بل على العكس تجد إرجافا وكذبا وضلالا وتجارة في الكلام، إنه أمر يؤدي بنا إلى الهلاك ورواج الفتن؛ لما فيه من إشاعات وأخبار مفبركة.

أصبحت بعض برامج الفضائيات تحصر فكر المشاهد تحت هدف ملء عقله بالأكاذيب والاستخفاف بعقله. تشعر وكأنك ترى وشاة مفوهين بكلام محفوظ يبدو لك معسولا حتى يداروا عيوبهم وأخطاءهم على حسابنا.

لقد اختفت - أو كادت - الأفكار البناءة وكل شيء يتعلق بالإيجابية، ونحن من يدفع الثمن.

● **حسن محمد حسن**

المحرر: لحديثك أخي الكريم منطق وجاهة ولكن علينا أن نتذكر مسؤولية المتلقى العظيمة التى تقتضي منه أن يحسن اختيار المصدر الإعلامي الذي يستقي منه معلوماته، لقد تعددت المصادر بين صحف ومجلات وفضائيات وإذاعات ووسائل اتصال اجتماعي وبقي علينا التأمل فيها واختيار الأصدق.

جيل جديد.. ولكن!

هذه مشاعر من رأى عددا من الشباب لا هم لهم إلا تقليد الشرق والغرب في كل شيء، والسخرية من الدين وشعائره، وأنهم بسلوكهم قد أساءوا إلى دينهم وبلادهم وأمتهم، وأصبحوا ضحايا شهواتهم، فهم حكموا على أنفسهم بالموت قبل أوانه، إذ هم أجسام تتحرك بلا عقول.

بلاد لا تعيش بها الفضيلة
وأفكار الشباب بها دخيلة
تعيش بها النساء بلا حياء
وتنمو بينهم سوق الرذيلة
يؤذن للصلاة وهم نيام
وإن قاموا فأرواح عليلة
شباب في بلاد الغرب صارت
من التقليد للأعدا «عميلة»
يصرفها العداة بما أرادوا
وأعينها عن العقبى كليلة
سمان كالبغال لها ظهور
ولكن العقول بها هزيلة
إذا نطقوها سمعت لهم صياحا
كمثل الثور إن نادى خليله

● **عبدالعزيز بن صالح العسكر**

من نسمات الرحمة

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق» (مسلم ٢٦٢٦).

إحدى نسمات الرحمة الإلهية، إذ أكثر من فتح أبواب الخير وسهلها.

فإن بخل الإنسان بالنفقة، وكسل عن القيام، وعجز عن الصيام، وجبن عن الجهاد، وانشغل عن الصلاة فيما دون الواجب من كل ذلك! فما أعجز ذلك الإنسان أن يلقى أخاه بوجه باش؟!

فما عساها أن تكلفه تلك البسمة البريئة؟!

ولا مراء أنه لا قيمة للبسمة ما لم تقترن بسلامة صدرك لأخيك.

ولا ريب في عدم جدوى البسمة ما لم تشتمل على سلامة أخيك من كل جوارحك.

فقد يقدم الإنسان شيئا لا يكلفه أدنى مشقة، أو جهد، أو وقت، أو مال، ومع ذلك يكون له أبلغ الأثر في الدنيا، قبل الآخرة.

خذ مثلا: عندما هجر المسلمون كعب بن مالك رضي الله عنه عقوبة له على تخلفه عن غزوة تبوك بلا عذر حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

ثم أنعم الله عليه بنعمة التوبة، وهنأه الصحابة رضي الله عنهم.

يقول كعب: «حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس. فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني. والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة» (رواه البخاري ٤٤١٨).

فما الذي تكبده طلحة حين قام؟

لا شيء من المال، أو الجهد، أو الوقت.

فما تراه سر هذا الفرح الطاغي لكعب بقيام طلحة، وتهنئته، حتى قال: «ولا أنساها لطلحة»؟

إنها الدلالة الرمزية.

وهي أبلغ أنواع المشاركة الوجدانية.

إنه نبل أخلاقي، وسمو روحي يوحي بشعور قلب طلحة بالمعاناة النفسية التي كابدها كعب طول فترة الهجران.

● **محمد فريد فراج**

خطأ نحوي

كان قاضي القضاة صدر الدين المناوي الشافعي، رحمه الله بالقاهرة، وكانت بضاعته في العربية مزجاة، فجاءه يوما قاضي القضاة شمس الدين الركراكي لأمر ما، فتذاكرا إلى أن أتيا على ذكر شيء من النحو، وكان الركراكي كثير الدهاء، وبينهما في الباطن شيء، فكان مما قاله المناوي: ما زلت أسمع أن الباء لا تدخل على الفعل المضارع حتى وجدت لدخولها شاهدا من كلام العرب، وهو قول الخنساء في أخيها صخر:

وما بيكون مثل أخي ولكن أسلي النفس عنه بالتأسي

وأنشده بتقديم الباء على الياء.

فقال له الركراكي: والله حسن يا سيدي قاضي القضاة كثر الله فوائدكم.

ثم دخل عليه جماعة من القضاة وطلبة العلم وغيرهم، فقال له الركراكي: يا سيدي قاضي القضاة لا بأس بذكر تلك الفائدة للسادة -وقصد بذلك افتضاحه وهو لا يشعر- فتكلم ابن المناوي في المسألة وأنشد البيت كما تقدم؛ فأطرق القوم.

فقال له الركراكي: يا سيدي قاضي القضاة، لعله: «وما يبكون» من البكاء فتصحف عليكم، فخجل خجلا شديدا. وحفظت عنه وسطرت في الدفاتر.

(السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة ٦٢٣/٢).

لقد أغنى عمر الناس

قال عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب رحمه الله: إنما ولي عمر ابن عبدالعزيز ثلاثين شهرا، لا والله ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله يتذكر من يضعه فيه فلا يجده، لقد أغنى عمر الناس.

(فتح الباري ٢١٢/٦).

الاحتساب

قال شداد بن أوس: «أيها الناس لا تتهموا الله في قضائه، فالله لا يبغي على مؤمن، فإذا أنزل بأحدكم شيئا مما يحب؛ فليحمد الله، وإذا أنزل به شيئا مما يكره؛ فليصبر وليحتسب؛ فإن الله عنده حسن الثواب».

(تفسير ابن كثير ٤٤٢/١).

إعداد: تركي النصر

من ثمرات تدبر القرآن

ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما.

(مدارج السالكين ٤٥١/١).

حكم

إذا انقطع رجاؤك من صديقك؛ فألحقه بعدوك.

ضيف البخيل آمن من التخمة.

من أنزل نفسه عاقلا؛ أنزله الناس جاهلا.

السكوت يزين الأحمق، والكلام يشينه.

(الكنز المدفون والفلك المشحون ص ٦٠).

فضل المال

قال الجاحظ: اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين وتأليف للإخوان، وأن من فقد المال قلت الرغبة إليه والرهبة منه، ومن لم يكن في موضع رغبة ولا رهبة؛ استهان الناس به، فاجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا.

وقال حكيم لابنه: يا بني عليك بطلب المال، فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك، لكفى.

وقال عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: الدنيا عافية، والشباب صحة، والمروءة الصبر، والكرم التقوى، والحسب المال.

وقال سعيد بن عبادة: اللهم ارزقني جدا ومجدا، فإنه لا مجد إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال.

وقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: يا حبذا المال، أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي.

(كشكول ابن عقيل ص ١٥٤).

القناعة بالقليل

أرسل سليمان (أمير البصرة والسند)، إلى الخليل بن أحمد ليحضر عنده لتأديب أولاده، فأخرج الخليل خبزا يابسا، وقال: «ما دام هذا عندي؛ لا حاجة لي فيه».

(تهذيب التهذيب، ١٦٣/٣)

الصبر والنفس

● «النفس مطية العبد التي يسير عليها إلى الجنة أو إلى النار، والصبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية، فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام، شردت في كل مذهب».

● «النفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكا عما يضره».

(عدة الصابرين، لابن قيم الجوزية)

الغنى يطلب بالقناعة

قال سعد بن أبي وقاص لابنه عمر: «يا بني، إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإن لم تكن لك قناعة فليس يغنيك مال».

(عيون الأخبار، ١٨٧/٣)

حقيقة الرضا

قال عبدالله بن عون، رحمه الله: «لن يصيب العبد حقيقة الرضا حتى يكون رضاه عند الفقر كرضاه عند الغنى، كيف تستقضي الله في أمرك، ثم تسخط إن رأيت قضاءه مخالفا لهواك؟... ما أنصفت نفسك، ولا أصبت باب الرضا».

(صفوة الصفوة، ٢٢٣/٣)

فائدة في أنواع الولائم

صيانة النفس

قال بعض الحكماء:

● الهوى شريك العمى.

● أفضل الأعمال خلاف هوى النفس.

● جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم.

● ما أشد فطام الكبير.

● لا يعرف نفسه من صحبته شهوته.

● إذا سمعت المراء فأقصر.

(حياة السلف بين القول والعمل، ص ٤٢٧)

موعظة موجزة

قال إبراهيم بن أدهم: «بلغني أن عمر بن عبدالعزيز، رحمه الله، قال لخالد بن صفوان، رحمه الله: عظني وأوجز. فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إن أقواما غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين، وبثناء الناس مسرورين، وعما افترض الله علينا متخلفين ومقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى عمر، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى».

(الحلية، ٤٨٥/٢)

مفهوم السلام الاجتماعي

د. نبيه الحصري
باحث أكاديمي

واحد من أهم المبادئ التي استهدف الرسول ﷺ ترسيخها في مجتمع المدينة المنورة الجديد كان مبدأ «السلام الاجتماعي» الذي لم يكن سائدا فى جزيرة العرب من قبل.

كان مجتمع جزيرة العرب في حالة صراع واقتتال دائم فيما بين عناصره، حتى أبناء البلد الواحد مثل يثرب، كانوا يقتتلون قتالا ضاريا لا يخمد إلا ويقوم من جديد، والمقصود بذلك نار الحرب التي كانت مستعرة ما بين الأوس والخزرج، العنصرين الأساسيين بالمدينة إلى جوار اليهود الذين كانوا يعملون على بقاء نار الصراع بين الطرفين لا تهدأ أبدا، وذلك حتى يتاح لليهود السيطرة الاقتصادية والعلمية والسياسية على يثرب.

قام الرسول ﷺ بتحقيق السلام بين الطرفين فاستقبلوه بلهفة وشوق بعد أن ذاقا ويلات الحروب والتطاحن فيما بينهما لأعوام عديدة، ومجتمع العلم والمعرفة الذي استهدف الرسول إرساءه في جزيرة العرب لا يتحقق إلا بالسلام والأمن والهدوء لكي يعرف أفراد المجتمع الجديد أين هم من ركب الحضارة العالمية، ومن ثم يستكشفون إلى أين يتجهون. وما كان للنفوس ولا العقول أن تتقبل العلم الجديد والهدى الفريد الذي ارتبط بنزول القرآن الكريم إلا بعد أن تتفرغ من شواغلها السخيفة التي تستغرق ملكاتها وقدراتها فيما لا محصلة من ورائه إلا الدمار والخراب.

لذا عمل الرسول ﷺ على توطيد السلام في أركان المجتمع الجديد وعناصره، بالإضافة إلى أولئك الذين وفدوا بالفعل إلى المدينة، أو الذين كان يخطط لإيفادهم إليها.

احتاجت النفوس لمثل تلك المفاهيم البسيطة الرقيقة لكي تبدأ في المرحلة الجديدة، مرحلة العناق الدائم ما بين العلم والعمل، لكي تتوافر البيئة المناسبة للحلم الجديد، كانت مرحلة تأهيل اجتماعي يبتغى من ورائها إيجاد براعم تصلح للقيادة بعد ذلك في كل المجالات المختلفة التي ستحتاجها الدولة الفتية.

لم يكن تحقيق الصلح بين الأوس والخزرج هو مفهوم أو موضوع السلام الذي عمل الرسول ﷺ على ترسيخه في المجتمع الجديد فحسب، ولكن مسالمة الجيران أيضا حتى من أصحاب العقائد الأخرى، أو أولئك الذين يشاركونهم المسكن بالمدينة مثل اليهود.

ولكن السلام الجديد هو سلام مبني على العلم. العلم بحقيقة أولئك اليهود ونواياهم وأساليبهم، سلام مبني على الحذر من تخطيطاتهم ومكرهم، حتى في حال مسالمتهم و مهادنتهم.

لم يستطع أحد أن يقضي على مبدأ السلام الاجتماعي المبني على العلم الذي عمل محمد بن عبد الله ﷺ على توفيره كأحد مبادئ الحياة في المجتمع الجديد في المدينة المنورة، حتى في غمار المعارك التي حدثت ما بين المسلمين وغيرهم في عهده ﷺ، كانت المدينة أو دولة المدينة المنورة دائما تعيش في مرحلة رائعة من التعايش الاجتماعي السلمي في داخلها وفيما بين عناصرها.

ولذا استدار الرسول ﷺ على اليهود ليؤدبهم بعد محاولتهم ضعضعة الأمن الداخلي للمجتمع الإسلامي الوليد بالمدينة بتعاونهم السري مع أحزاب الجزيرة الراغبة في القضاء على الإسلام.

هكذا دائما يحتاج السلام الاجتماعي في كل مكان، وفي كل زمان إلى اليقظة التامة لمواجهة كل أولئك المتربصين به، الساعين إلى عودة الصراع الفتاك ما بين عناصر المجتمع.

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

فيديو كليب

بسم الله

فيديو كليب توعوي يعلم البسملة للصغار
بأسلوب تربوي متعدد اللهجات والأفكار
نهديه إلى المسلمين في جميع الأقطار

الإعلام الهادف... غايتنا

الإشراف العام
صلاح أبا الخيل

الآن.. اطلب نسختك

إدارة الإعلام الديني - مجمع الوزارات
بلوك ١٦ - الدور الأول - وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
تلفون: ٨ / ٢٢٤٨٧٣٢٧ - فاكس: ٢٢٤٨٧٣٢٦
تفضلوا بزيارتنا .. للفوز بجوائزنا
www.nafaess.com

youtube.com/nafaesscom
twitter.com/nafaesscom
facebook.com/nafaesscom

www.alwaeialshababy.com

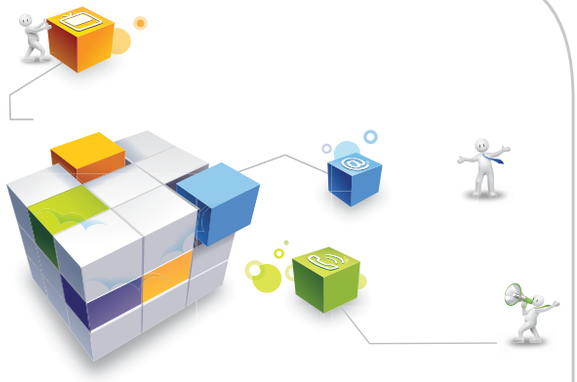

www.alwaeialshababy.com

الوعي الشبابي

www.alwaeialshababy.com

- مواضيع حيوية ومعاصرة
- حوارات حصرية مع الشباب المبدعين
- مقالات لأبرز الكتاب الشباب

« الوعي الشبابي » مجلة شبابية
إلكترونية تصدر عن مجلة «الوعي الإسلامي»
رئيس التحرير : فيصل يوسف العلي

Shabab alwaei

@alwaeialshababy